



جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات النحوية واللغوية
تخصص علم لغة

العناصر الدالة على المعنى في سورتي آل عمران والنساء
دراسة لغوية دلالية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية تخصص علم لغة

إعداد الطالب:

خليل إبراهيم أحمد محمد

إشراف الدكتور:

عباس السر محمد علي

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

تم الآية

قَالَ تَعَالَى:

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

[سورة الرحمن ، الآية ١-٤]

الإهداء

إلى مَنْ عَاشُوا لِرُدِّعِ الظُّلْمِ نَوْمًا

وَأَقْنُوا أَعْمَارَهُمْ فِعْلاً وَقِيَالًا

إلى مَنْ خَطَّ حَرْفًا فِي الزَّمَانِ

وَأَشْعَلَ عِلْمَهُ نُورًا جَمِيلًا

وإلى كل من له عليّ فضلٌ

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله
وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فلا شك أنّ وراء كل عمل علمي جهود محفزة، و متممة له، وأحمد الله الذي
غيض لي نَفراً كريماً ممن كان لهم أثر طيب ليصبح هذا البحث بحثاً بهذا الشكل.
ولذا فلا بد من إهداء الشكر الجزيل والتقدير لكل من أسهم بوقته وجهده
ناصحاً وموجهاً ومناقشاً لهذا البحث.

وأخص أستاذي الجليل الدكتور/ عباس السر بأسمى آيات الشكر والتقدير
لتفضله بالإشراف على هذا البحث وصبره الجميل على ذلك.

والشكر موصول إلى جميع أساتذتي الأكارم بكلية اللغة العربية جامعة أم
درمان الإسلامية الذين حبيبوا إلينا لغة القرآن الكريم وشجعوني على البحث فيها. كما
أشكر كل من أسهم بجهد وفكر وإرشادٍ حتى اكتمل هذا البحث.
ونسأل الله الحفظ والأمان للجميع..

مقدمة

حظيت اللغة العربية بقدر مقدر من الدراسات والبحوث بوصفها لغة الوحي؛ إذ نزل بها القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿لَسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآية ١٠٣]

ففي سبيل الكشف عن المعاني الكامنة في ألفاظ القرآن الكريم واللغة انبرى عدد من العلماء قديماً وحديثاً لدراسة جوانبها المختلفة شملت مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لأن هذه العناصر الدالة على المعنى التي عالجها الباحث تعد نسيجاً محكماً تتشابه فيما بينها لاستبانة المعنى المرجو من النص القرآني واستنباط أحكامه ومعرفة أمره ونهيه ويكون ذلك باستصحاب هذه العناصر المختلفة التي تتمثل في العنصر الصوتي، والصرفي، والنحوي، والسياق بقسميه اللغوي وسياق المقام بالإضافة إلى العنصر المعجمي. فالمعنى الدلالي للفظ لا يعرف المقصود منه ولا يستبين أمره إلا بمعرفة تلك العناصر، لأنها وسيلة إليه وأداة تؤدي إليه كما هو معروف عند علماء اللغة.

ولما كان القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية وكتابها المقدس ومصدر تشريعها الأول كان لازماً على كل من أراد أن يفهم هذا الكتاب إتقان لغته بأقسامها المختلفة ليتجلى له معنى اللفظ الكامن في هذه الأواني (الألفاظ) ويعرف مراد الله من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأن اللغة العربية لغة مبينة وغاية في الفصاحة والإبانة وهي من أوسع اللغات وأحفلها في الألفاظ والمفردات والدلالات والمعاني، كما أنها لغة تمتاز بثروة غنية من المشتقات ذات الأثر الكبير في بلاغة الكلام العربي وتنوع دلالاته ولهذا لا بد من الدراسة الشاملة الكاملة لتلك العناصر المختلفة.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- الذي دعاني إلى البحث في هذا الموضوع هو ما أَلحظه من أهمية باللغة في جانب هذه العناصر التي لا يمكن أن يفهم القرآن الكريم خاصة أو اللغة العربية عامة إلا بها.
- ٢- لأن الإدراك الحقيقي لفهم المعنى الدلالي لألفاظ القرآن الكريم ألا يكون إلا بمعرفة مكونات أفرع هذه اللغة من أحوال الكلمات وما يتصل بها.
- ٣- لأن هذه العناصر تتيح لي الاستفادة من معطياتها في خدمة لغة القرآن الكريم، والوقوف على هذا الكتاب العظيم وبلاغة ألفاظه الإعجازية البيانية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:

- ١/ الكشف عن حقيقة المعنى في اللغة العربية وإلى معرفة قوانين اللغة العربية والتي تساعد بدورها على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد وما ينطوي تحته من مضامين دلالية مختلفة.
- ٢/ كونه مرتبطاً بالدراسات القرآنية.
- ٣/ الباحث لم يعثر على دراسة مشابهة أو مطابقة له.
- ٤/ البحث يضيف إلى حقل الدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن الكريم إضافة جديدة.
- ٥/ فتح مجال للباحثين في الدراسات الدلالية المختلفة.

الدراسات السابقة:

لا شك إن ظواهر القرآن الكريم الدلالية والمعجمية في الموضوعات التي شُغل بها العلماء قديماً وحديثاً، ومن ثم كثرت المؤلفات التي عُنت بالكتاب الكريم إلا أنها مهما تعددت أقوال المفسرين ويحث الباحثين في شرح ألفاظ القرآن فلا يعدو ذلك كونه تقريباً وتوضيحاً للمعنى؛ لأن القرآن ألفاظه معجزة بلاغية. فوجدت بعض الكتب التي تناولت هذا الجانب مثل:

التطور الدلالي بين اللغة والشعر ولغة القرآن لعودة خليل عودة ولغة القرآن الكريم في جزء عم للدكتور محمود نحلة، ومن إعجاز القرآن لبوسعدة والبيان في

روائع القرآن الدكتور تمام حسان والموضح في وجوه القراءات وعلها د/ مجدي محمد القراءات القرآنية وما يتعلق بها. الدكتور/ فيصل حسن التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، الدكتور/ الهادي نهر، وغير ذلك من الكتب والرسائل الجامعية.

منهج البحث:

أعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وآثرت في البدء أن أعرض نبذة عن الدلالة وأهميتها في الدراسة اللغوية بصفة عامة، لتكون المدخل الأصلي للموضوع.

هيكل البحث:

يحتوي البحث على الآتي:

مقدمة ذكرت فيها أهمية هذه العناصر في دراسة ألفاظ القرآن الكريم.

* (تمهيد) تحدثت في التمهيد عن أهمية الدلالة وجهود العلماء فيه قديماً وحديثاً علاقة هذه العناصر بعلم المعنى الذي هو الغاية المنشودة من الألفاظ والحدث الكلامي.

* الفصل الأول: الدلالة الصوتية وأثرها على النص الغوي : وتحت مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بعلم الأصوات وأهميته:

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني.

* الفصل الثاني: الدلالة الصرفية

وتحت مبحثان

المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

* الفصل الثالث: الدلالة النحوية:

وتحت مبحثان:

والمبحث الأول: التعريف بالنحو وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

* الفصل الرابع: السياق وأثره في تحديد المعنى:

وتحت ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسياق وأهميته وأنواعه
المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي على النص القرآني
المبحث الثالث: أثر سياق المقام على النص القرآني
* الفصل الخامس: الوقف وأثره على المعنى
وتحته مبحثان:

المبحث الأول: أهمية الوقف وأقسامه
المبحث الثاني: الوقف وأثره على النص القرآني
خاتمة

نتائج

توصيات

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهذا ما قدر لي أن أجمعه في هذه الدراسة، ولا أدعي أنني أحطت الموضوع
بكل جوانبه فما زال للحديث بقية.. وما تقدمت به إنما هو جهد متواضع لطالب علم
أراد أن يسهم ويفهم أكثر في هذا المجال وما توفيقي إلا بالله.

تمهيد:

شغلت قضية المعنى اللغوي جميع المتكلمين باللغة على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية وهذه ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، ولهذا تعددت المناهج والمدارس الناظرة في دراسة المعنى؛ إذ يمثل المعنى في الدراسات اللغوية نقطة أساسية، بل هو جوهر الدراسات اللغوية وقمتها^(١).

ولهذا كان لا بد من الوقوف على العناصر الأساسية الوظيفية؛ لأنها هي الوسيلة لتحقيق المعنى المرجو من تلك الألفاظ، وبهذا يعد المعنى هو غاية الدراسات النحوية والصرفية والمعجمية.

"وبعد علم المعنى أحد مستويات الدرس اللغوي الحديث بما يعرف بعلم الدلالة (السيمانتكس semantic)، وقد تناوله بالبحث والدراسة علماء ومفكرون من شتى الميادين، منهم الفلاسفة، والمناطقة، وفقهاء الشرائع السماوية، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، والنقاد، والأدباء، ولكل من هؤلاء منهجه الخاص وأسلوبه المتميز، وقد اختلفوا في وظيفة علم المعنى، فمنهم من يقصره على البحث والدراسة حول الألفاظ ومعانيها، وآخرون يوجهون اهتمامهم لدراسة المعنى، وأخيراً ظهر من يهتم بالجانبين"^(٢).

وإذا كان موضوع الدراسة هي العناصر الدلالية رأى الباحث أن يذكر نذراً يسيراً عن علم الدلالة وأهميته داخل الحقل اللغوي وعلاقته بتلك العناصر التي هي بمثابة الوسيلة إليه.

"علم الدلالة (Semantic): الدلالة مصدر من الفعل (دَلَّ)، وسجلت المعاجم اللغوية لهذه المادة معاني متعددة، من بين هذه المعاني الهداية والإرشاد على نحو ما جاء في لسان العرب (دَلَّ فلان إذا هُدِيَ)، ومنه قوله ﷺ: (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَّاعِلُهُ)"^(٣).

(١) التفكير اللغوي بين القديم والحديث د. كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت: ص ٣٩، ٤٠.

(٢) الدلالة والحركة: محمد محمد داود، ط ٢٠٠٢م، دار الغريب، القاهرة، ص ٤١.

(٣) سنن أبي داود، باب في الدال على الخير كفاعله ٧٧٥/٢، رقم الحديث: ١١٥١٤٤، دار الفكر بيروت، د.ت.

ويعرفه بعضهم بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى" (١).

وقال الخطيب الغزوي: علم الدلالة: (هو العلم الذي يُعرف به إرادة المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه" (٢).

"ومصطلح علم الدلالة (بفتح الدال وكسرهما ودُلولة بضم أو الفتح يتسع بمعاني متعددة، ويقابله في الإنجليزية (Semantics - علم الدلالة) أي العلم الذي يختص بدراسة المعنى" (٣).

"ولقد نشأت الدراسات الدلالية الأولى عند العرب في أحضان الدراسات القرآنية، وظلت تدور في رحاها ربحاً من الدهر قبل أن يتعرف عليها علماء العربية على جهود الهنود واليونانيين الذين كان لهم السبق من الناحية التاريخية. ولكن لم يكن العرب عالة عليهم في معرفة هذا العلم فجميع الشواهد تؤكد أن القرآن الكريم هو الذي أغرى علماء العربية ببحث معانيه للتعرف على مواطن إعجازه وأحكامه، فاهتدى العرب لأول مرة إلى ضرورة بحث لغتهم والعناية بها ووضع قواعدها، وجمع مفرداتها.

والفضل كل الفضل يرجع إلى القرآن الكريم، وهذا لا يعني أننا ننكر اطلاع العرب على تراث سابقهم وتأثرهم في مجال البحث اللغوي، فقد استفاد علماء العربية كثيراً من جهود غيرهم فقد توسعوا في مجال الدراسة وعرفوا جوانب بحثية جديدة، كما استفادوا من علوم الهنود، واليونانيين في البحث اللغوي.

ولقد اتبع بعض الدارسين المحدثون مسلكاً تجاهلوا فيه جهود علماء العربية في مجال البحث اللغوي وخاصة البحث الدلالي، فقد دأبوا أن ينسبوا بحوث اللغة والدلالة إلى الدراسات الغربية، وكأن العرب لم يضعوا لبنة واحدة في صرح الدراسات اللغوية" (٤).

(١) علم الدلالة: أحمد مختار، عالم الكتاب، بيروت ط ١٩٩٨م، ص ١٠.

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، ترجمه وضبطه وشرحه عبدالبر قوقي، ط ٢، بيروت، دار الفكر العربي، ص ١٧٤.

(٣) الدلالة اللفظية، د. محمود عكاشة، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢٠٠٢م، ص ٨-٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦ - ٧.

"والحقيقة أن البحث الدلالي عند العرب سبق بأثرهم بالثقافات الوافدة إليهم؛ لأن البحث الدلالي صاحب نزول القرآن الكريم، وأول من أسهم فيه هو النبي الكريم ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون، ثم بعد ذلك بدأت المرحلة العلمية فيه مع شيوع تدوين العلوم الدينية مثل: التفسير والحديث وعلوم الشريعة واللغة. وعلماء التفسير هم الذين قادوا غافلة البحث الدلالي، وذلك من خلال تسجيل ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من شروح بعض ألفاظ القرآن الكريم كما قاموا بشرح المفردات التي قد يصعب معرفة معانيها وتتبعوا معاني المفردات التي أتت في أكثر من موضع في سياقات مختلفة فقاموا بجمع هذه الألفاظ في باب واحد يعرف بها، وقد عرفت هذه الدراسة بين المفسرين، واللغويين بالمشترك اللفظي، والوجوه، النظائر، أو الأشباه والنظائر وقد توسع البحث الدلالي فشمّل الشعر وكلام العرب واللغة عامة"^(١).

"كذلك نجد علماء الغرب قد تصدوا لمشكلة المبنى والدلالة والمفكرون الغربيون في مجال "حقل علم العلاقات (Semiotic) أو علم التأويل (Hermeneutic). ويهدف البحث في الدلالة اللغوية إلى الكشف عن حقيقة المعنى في اللغات الإنسانية، وإلى معرفة القوانين اللغوية التي تساعد على معرفة العلاقات التي تربط بين أجزاء المعنى الواحد، وما ينطوي تحته من مضامين). وعلى الرغم من اختلاف الثقافات البشرية والمجتمعات الإنسانية، واختلاف الزمان والمكان إلا أن الطريقة التي يتكون بها المعنى واحدة، لهذا كان علم الدلالة من العلوم اللسانية النظرية التي تدرس المعنى باعتباره ظاهرة لغوية عامة"^(٢).

(١) الدلالة اللفظية، محمود عكاشة، ص ١٥.

(٢) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٣.

"لذلك نجد أن الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان تعرضوا في بحوثهم ومناقشتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة، ومعنى هذا أن الدلالة قديمة قدم التفكير الإنساني ومواكبة لتقدمه وتطوره كما نجد أن أرسطو مثلاً: تكلم عن الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التطور الموجود في العقل وميز أرسطو بين أمور ثلاثة:

١/ الأشياء في العالم الخارجي.

٢/ التصورات: المعاني.

٣/ الأصوات: الرموز والكلمات " (١).

"أيضاً من الذين تعرضوا للعلاقة بين اللفظ ومدلوله أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية مدعياً أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نبين بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلاً تفسيريّاً.

وأما أرسطو فكما سبق الحديث عنه فكان يدعم فريقاً آخر يرى أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعد أن تكون صلة إصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس وقد أوضح آراءه تلك في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة بيّن فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه" (٢).

"ولم يكن الهنود أقل اهتماماً بمباحث الدلالة من اليونانيين، فقد عالجوا منذ القدم ومن وقت مبكر الكثير من القضايا التي ترتبط بفهم المفردات والجملة.

فمن دراستهم مثلاً نجدهم قد قسموا الدلالات إلى أربعة أقسام:

١/ قسم يدل على مدلول عام أو شامل: (رجل)

٢/ قسم يدل على كيفية: (طويل - قصير)

٣/ قسم يدل على حدث: (جاء - ضرب)

٤/ قسم يدل على ذات: (على محمد)

(١) علم الدلالة: أحمد مختار، ص ١٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٩.

كما نجدهم أشاروا إلى مسائل متفرقة من اللغة التي ما زالت موضع نقاش بين المحدثين من علماء اللغة مثل أهمية السياق ووجود الترادف والاشتراك اللفظي وكظاهرة عامة في اللغات ودور القياس والمجاز في تغيير المعنى^(١).

وأما العرب فكما ذكرنا لم يكونوا أقل اهتماماً ممن سبقهم في البحث اللغوي بصفة عامة والدلالي بصفة خاصة وقد ذكرنا في مقدمة البحث أن العرب كانوا قد اهتموا بالجانب الدلالي منذ وقت مبكر وكان ذلك مصاحباً لنزول القرآن الكريم وتفسيره وتدوين العلوم الدينية والشعر والحديث وكلام العرب.

فنذكر هنا بعض الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب في المباحث اللغوية والدلالية مثل:

"تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ومثل الحديث عن مجاز القرآن ومثل التأليف في الوجوه والنظائر حتى ضبط المصحف بالشكل نفسه يعد في الحقيقة عملاً دلاليًا؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة وبالتالي تغيير المعنى.

لذلك نجد اهتمامات العرب تنوعت في جوانب كثيرة متعددة.

نجد مثلاً محاولة ابن فارس في معجمه المقاييس ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.

أيضاً محاولة الزمخشري في معجمه أساس البلاغة التفرقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ومثل الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس والخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي - وغير ذلك من جهود علماء العربية في الجانب الدلالي^(٢).

"كما نجد أن الدراسات الدلالية نشطت على نحو بارز في السنوات الثلاثين الأخيرة، (وهذا أمر تعرفه الثقافة الإنسانية إذ تتبلور جوانب متعددة في المعرفة، وتتكامل لتغدو علماً له قوامه"^(٣).

(وقد تبلور مصطلح "علم الدلالة" في صورته الفرنسية (Semantique) لدى اللغوي الفرنسي بريال (Breal) في أواخر القرن التاسع عشر أي ١٨٨٣م ليصير

(١) علم الدلالة د. أحمد مختار، ص ٢٠.

(٢) الدلالة والحركة، محمد محمد داود، ص ٢٠.

(٣) علم الدلالة العربي: د/ فائز الدايدة، ط ١٩٨٥م، دار الفكر للطباعة، دمشق، ص ٥.

فرعاً من فروع علم اللغة العام وهو علم (الدلالة) ليقابله علم الصوتيات الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية" (١).

إلا أن سمير شريف يقول: "إن علم الدلالة يرتبط ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة وعلم النفس والمنطق وعلم المعنى الذي يعرف عند علماء العربية فرعاً من فروع علم البلاغة" (٢).

لذلك نجدهم يقولون: "إن خصائص المعنى كثيرة جداً ومع ذلك تؤثر بمجملها في التفكير اللغوي وتتأثر بعوامل نفسية واجتماعية أو ثقافية وأهم هذه الخصائص الطبيعة العقلية.

وبهذا يشيرون إلى مرحلة نظم اللغة إذ يجعل الكلام فكرة ثم مرحلة تنظيم هذه الأفكار ثم التعبير عنها بالكلام المركب من الأصوات، فالكلمات فالجمل يعبر بها عن المعنى وهذه في ذاتها درجة من التجديد تتناسب مع النحو العقلي المطرد؛ إذ إن إقامة الجملة تعتمد على تجديد علائقي بين طرفين سماهما المنطقة (الموضوع والمحمول) وهما بعبارة النحاة المسند والمسند إليه، فالعلاقة بينهما ذهنية منطقية خالصة" (٣).

ولهذا فإن هنالك علاقة وثيقة بين علوم اللغة وعلم الدلالة

" إذا لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة، فكما تستعين علوم اللغة بالدلالة للقيام بتحليلها؛ كذلك يحتاج علم الدلالة لأداء وظيفته إلى الاستعانة بهذه العلوم. ولكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

١/ ملاحظة الجانب الصوتي الذي بدوره يؤثر على المعنى، مثل: وضع صوت مكان آخر، وأيضاً النبر والتتغيم وغير ذلك وفي هذا يقول أحمد مختار: (إن المستمع إلى قوله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاءُ﴾

(١) علم الدلالة العربي، د. فائز الداية، ص ٦.

(٢) اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، د/ سمير شريف دائرة المكتبة الوطنية الأردن، د.ت، ص ٢٥٧.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٥.

إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَرَّؤُهُ مِنْ وَجِدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَّؤُهُ^ع كَذَلِكَ نَجْزِي

الظَّالِمِينَ ﴿[سورة يوسف الآية ٧٤ - ٧٥] فلا شك أن التنغيم في جملة (قالوا فما جزاء) بنغمة الاستفهام، وجملة من وجد في رحلة فهو جزاء بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ويكشف مضمونها ومحتواها.

٢/ ملاحظة جانب التركيب (الصرف) في الكلمة، وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها فلا يكفي في كلمة استغفر لبيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر)، بل لابد من أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة الوضعي ووزن الفعل يستفعل لأن (الألف والسين والتاء) تدل على الطلب وغير ذلك من الزوائد في الصيغ الصرفية. (١)

٣/ مراعاة الجانب النحوي أو الوظيفة النحوية لكل كلمة في الجملة، ولو لم يؤد مكان الكلمات في الجملة لتغيير وظيفي نحوي أو إلى تغيير في المعنى ما كان هناك فرق بين قولك (طارد الكلب القط) و(طارد القط الكلب).

٤/ مراعاة المعنى المفرد لكل كلمة وهو ما يعرف بالمعنى المعجمي. خلاصة القول في هذا المبحث: إن الكلمة دائماً إذا أطلقت تحمل عدة أنواع

دلالية:

١. الدلالة الصوتية: تتمثل في النبر والتنغيم وما يطرأ على الصوت من تغييرات.

٢. الدلالة الصرفية: تتمثل في الصيغ الصرفية والبنية التحتية والتغييرات التي تحدث لجزء الكلمة.

٣. الدلالة النحوية وتتمثل في علاقة الكلمة وتدخل الجملة في صرفها وتركيبها.

٤. الدلالة المعجمية: تتمثل في استخدام المفردة في مجتمع معين.

بالإضافة إلى الدلالات الأخرى المصاحبة للغة أو اللفظ مثل الدلالة الثقافية وأثرها على المعنى وهي الدلالة التي ترتبط بحياة الشعوب والأمم وعاداتها وهذه

(١) علم الدلالة، أحمد مختار، ص ١٥٨.

الدلالة تفهم في إطار فكر الجماعة الذي تحكم بنظام في حدود وأعراف معينة مثل الأدب والتحية والترحيب والعقائد وغير ذلك من أنواع الثقافات.

أيضاً من الأشياء التي يجب مراعاتها في الجانب الدالي الدلالات غير اللغوية مثل الرموز والحركات والسلوك وهذه العناصر لها قيمة دلالية وقد جاءت في القرآن الكريم وأنها من الممكن أن تكون أداة تواصل في المجتمع وإن وكانت في نطاق ضيق".

أيضاً نجد أن علماء الغرب قد ناقشوا قضية الدلالة ما لها وما عليها، كأصحاب المذاهب البنيوية (structuralism) أمثال سوسير وتشومسكي وخاصة الأخير عندما تحدث عن البنية السطحية (Surface structure) والبنية العميقة (Deep structure) و دورهما في توليد الجمل والمعاني.

وهذا التأثير في الدراسات الدلالية أدى إلى تطور في الكلمة دلالة (Semantic) التي ظهرت لأول مرة في الإنجليزية في القرن السابع عشر في كتاب جون سبنسر ثم استعملها اللغوي الفرنسي ميشيل بريال (M. Breal) ولكن ليش Leech يرى أن المصطلح ظهر لأول مرة سنة ١٩٠٠م في ترجمة بريال وهذا يحدد مصطلح تاريخ استعمال (الدلالة) كمصطلح لغوي وقد عرفها هياكاو (Hayakawa) بقوله: (الدلالة إنما في الأصل تعنى الدراسة التاريخية لتغير معنى الكلمة، ثم توسع هذا المصطلح عند علماء النفس والأنثروبولوجيا والفلسفة والاجتماع والبلاغة لأن هذه العلوم تقوم على بيان العلاقة بين الأسماء والمسميات أو بين الدال والمدلول.

أيضاً من الكتب التي أثارت الاهتمام (في البحث الدلالي) كتاب (معنى المعنى) (The meaning of the meaning) للغويين أو جدن وريتشاردز (Ogden and Richavds) وقد عرضا مشكلة المعنى من جوانب مختلفة وأوردوا فيه اثنين وعشرين تعريفاً للكلمة^(١).

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الطبعة ١٩٥٥م، الناشر الأنجلو المصرية، ص ٢٢.

وكانت دراسة المعنى تقوم على بيان التفسير والتطور الذي يصيب المعنى عبر العصور وهو ما يعرف بالمنهج (التاريخي) ولكنه فرض في الدراسات اللغوية فرضاً وتقوم دراسة المعنى على بيان العلاقات المعنوية الثابتة.

ويعتبر اللغوي السويسري (دي سوير) رائداً في هذا الاتجاه فقد فرق بين الكلام واللغة ويعتبر دي سوير رائد الاتجاه البنيوي (Structuralism) في الدراسات اللغوية الحديثة فقد شبه اللفظ والمعنى بالجسم الواحد الذي يتكون من روح وجسد، وبالماء الذي يتكون من أكسجين وهيدروجين فهو يشير إلى عدم الفصل بين (الدال والمدلول) أو بين (اللفظ والمعنى) وأن اللغة ليست لغة بدون تواجد وهذه هي الثنائية (أي الدال والمدلول)^(١).

(١) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص ٢٤.

الفصل الأول

الدلالة الصوتية

المبحث الأول: التعريف بعلم الصوت.

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني.

المبحث الأول

الدلالة الصوتية: (Phonetic - Semantic):

التعريف بأهمية الدلالة الصوتية:

" يعد علم الأصوات التشكيلي اليوم من أبرز الدراسات الصوتية، إذ يتناول بالدرس أصوات اللغة: وهي في شكل نسق بنائي يكوّن كلمات منطوقة دالة على المعنى، وهذه الكلمات والعبارات والجمل قد تختلف دلالتها على وفق الطريقة التي تُتطَّق أو تُؤدَّى بها تنغيماً برفع الصوت، أو خفضه، أو نبراً على مقطع من ذلك التركيب دون غيره" (١).

"وعلم الأصوات، علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة، فهو فرع من علم اللغة العام، ويتميز عن غيره من فروع اللغة؛ بأنه يُعنى بجانبها المنطوق فقط، كما يعنى بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة، والأصوات أصل طبيعة اللغة، والكتابة لاحقة لها، وهي رمز للصوت وتجسد مادي له، وتنقسم أصوات اللغة إلى نوعين هما: (الصوامت، والصوائت) فالصوامت هي الأصوات التي تتعلق بمخرج معين يتعرض الهواء الصادر من الحنجرة حين أداء الصوت المراد اختياره، ويشكل هذا النوع معظم أصوات العربية، ويمثله جميع أصوات العربية عدا الحركات القصيرة، Short Vowels، (الفتحة، الضمة، الكسرة) والحركات الطويلة (Long Vowels)، أصوات المد الساكن (الألف، الواو، الياء).

أما الأصوات الصائتة هي: التي لا يعترضها عضو من أعضاء النطق، تنطق بمخرج صوتي يثني النفس (الهواء الصادر من الحنجرة) عن امتداده، فيكون الصوت أثناء النطق به ممتداً حراً لا يعوقه عائق حتى ينفذ، ويمثّل هذا النوع أصوات المد أو اللين أو العلة (الألف، الواو، الياء حال سكون الواو والياء) وتعد الحركات القصيرة أبعاض هذه الأصوات، أو جزء منها، لكنها لا تبلغ مقدارها من ناحية الطول وكم

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر استاذ اللغويات بجامعة اليرموك وعميد كلية الدراسات اللغوية والأدبية، الناشر عالم الكتاب الحديث، ط ١ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٨م الأردن، ص ٥٢.

الهواء المندفع وهذان النوعان (الصوامت، والصوائت) يشاركان في الدلالة أكثر من الحركات القصيرة" (١).

"والدلالة الصوتية تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية، والتي يرمز إليها بالحروف الألف بائية: (أ، ب، ت، ث، ...) ويشكل منها مجموع حروف تأليف كلمات الجملة، وطريقة أدائها الصوتي، ومظاهر هذا الأداء، وتعد هذه العناصر أكثر إسهاماً في الدلالة من العناصر الصوتية الأخرى التي تصاحب الكلمة المفردة، ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأول، أو الصوت التركيبي (Simmental Phoneme)، وهو أصغر وحدة صوتية ويضمنون هذا القسم قسماً آخر سموه بالصوت فوق التركيبي (Semantically Phonemes)، وهو ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة له، تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع المعاني و مثلما نشارك فيه الأصوات التركيبية" (٢).

"والأصوات فوق التركيبية ليست بصوت رئيس، بل هو صوت ثانوي يصاحب الصوت الرئيسي، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية وتسمى أيضاً بالمصاحبات اللغوية (Pavalinauistic)، أو السمات اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي (Vocaber formance)، وهو ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي Verbalbehavior، الذي يتمثل في دراسة بنية اللغة الصوتية وما يصاحبها من

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة صوتية صرفية نحوية معجمية محمود عكاشة ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م النشر دار النشر للجامعات ص ١٧.

(٢) يقول الدكتور محمود عكاشة: فقد اختلف العلماء حول الأصوات فوق التركيبية في اللغة العربية، هل هي عناصر ثانوية كما قال علماء العرب، أم هي عناصر صوتية أساسية مثلها مثل الأصوات القطعية، والتي تمثل في الصوامت Consonants، والصوائت Vowels، التي تتمثل في الحركات الأصوات اللين في اللغة العربية وهي تنقسم إلى حركات قصيرة وهي الفتحة والضممة والكسرة، الحركات الطويلة هي: (الألف المد، واو المد، ياء المد) وأرى أن العناصر فوق التركيبية (النبر والتغيم والمفصل والطول) لا تدخل في تركيب أصوات الكلمة لأنها ليست صوتاً رئيسياً من أصواتها. انظر التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ١٨.

عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في المستمع، وتتمثل المصاحبات اللغوية أو السمات شبه اللغوية في ثلاثة أنواع:

١- السمات التحبيرية الصوتية Prosodic features، وهي تعرف بالتطور الصوتي Prosody، وهي التي تصاحب الكلام أو الخطاب المنطوق، وتتمثل في النبر، Stress، والتنغيم (tention)، والوقفات أو السكتات الكلامية، أو الفواصل Pauses، ومعدل الأداء الكلامي Tempo، ودرجة الصوت Pitch، وصفته وقوته (Volume).

٢- الأصوات الكلامية Non- Speech sounds أو الفضلات الصوتية Vocal segregates، مثل الضحك والبكاء والصراخ والتأوه والنحنة والسعال وغير ذلك من الأصوات التي تصاحب الأداء الكلامي في الخطاب المنطوق، وتشارك في الدلالة أو يفهم المستمع منها معنى^(١).

٣- الأصوات غير الإنسانية Non- human sounds مثل أصوات الحيوانات ومظاهر الطبيعة مثل: الرياح وأصوات الكهوف وحفيف الهواء بالأشجار وغير ذلك بالإضافة إلى الأصوات الصناعية مثل أصوات الآلات والأجراس والأبواق التي تستخدم للدلالة على معان معينة^(٢).

ورأى الباحث أن يقوم بدراسة النوع الأول لارتباطه الوثيق بالحدث الكلامي واشتراكه في الأداء الدلالي بصفة أكبر وأوضح من النوعين الآخرين.

"ويعد ابن جني^(٣) رائد دراسة الدلالة الصوتية قبل أن يتوسع فيه علم اللغة الحديث، فقد اكتشف ابن جني وجود صلة بين بعض لأصوات وبين ما ترمز إليه، وأول ما حداه بهذا الاكتشاف تسمية بعض الأشياء بأصواتها وذهب ابن جني إلى أبعد من هذا وهو دلالة الصوت (الفونيم) في الكلمة على المعنى، وقد رأى بعض المحدثين أن هذا الرأي تَمَعُر، وبعضهم حذب هذا الوجه ودعا إلى التوسع فيه، ولكن

(١) الدلالة الصوتية: د. كريم زكي حسام الدين، ص ١٧.

(٢) التحليل اللغوي: في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ٢٠.

(٣) ابن جني: هو عثمان ابن جني الموصلي من الموصل أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو توفى ٣٠٩ هـ من أهم مؤلفاته المحتسب في القراءات، وسر صناعة الإعراب، والخصائص، انظر: الأعلام للزركلي، ٢٠٤/٤.

ابن جني لم ير هذا الرأي مطلقاً بل خص به بعض الأصوات في بعض الأبنية، وأنه بناه على ملاحظته الشخصية ولم ينقله من غيره^(١).

"قال ومن طرق ما مرَّ بي في هذه اللغة التي لا تكاد يعلم بُعدها ولا يحاط بقاصيها، ازدحام الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون. وإذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوها"^(٢).

"واحتج ابن جني لما رآه من دلالة هذه الأصوات على الوهن الضعف بكلمات وردت فيها مثل: الدالف للشيخ الضعيف، والشيء التالف، الطليف، والتطليف المجان وليست له عصمة الثمن،... الخ. ومثل الفارط أي المتقدم المنفرد، ومثل: الفتور الضعيف، الرفت الكسر"^(٣). وغير ذلك من الأصوات التي جاءت فيها أصوات الدال، والتاء، والفاء، أو الراء، اللام، أو النون، مع صوت الفاء، الذي جاء قسيماً لهذه الأصوات في بعض الكلمات للدلالة على الوهن والضعف.

ورأى ابن جني أن هناك أصواتاً أقوى في المعنى من غيرها: وكذلك لها دلالة تميزها عن قيمتها في معظم الأصوات مثل قضم، وخضم، وفقضم، تستخدم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف و ضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف وغير ذلك من الأمثلة.

ولم يقض ابن جني بحتمية هذا الرأي بل طرحه أمام العلماء ليبحثوه، فقد أنهى أطروحته هذه بقوله: "الآن قد آنستك بمذهب القوم وأوقفتك على طريقه وأبديت لك مكنونه، وبقي عليك أنت التنبه لأمثاله، وإنعام الفحص، فإنني إن زدت على هذا مللت وأمللت ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً"^(٤).

وقد توسع ابن جني في هذا لبحث، فبحث دلالة الأصوات كوححدات مستقلة، ودرس الكلمات المتشابهة صوتياً والعلاقات الدلالية التي قد تنشأ نتيجة اشتراكها في

(١) التحليل اللغوي، د. محمود عكاشة، ص ٢١.

(٢) الخصائص لابن جني، ط ٢، الناشر عالم الكتاب بيروت، ١٠٨/٢.

(٣) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص ٢١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢.

معظم الأصوات، أو تقارب الأصوات، وتختلف في تركيبها مثل جذب وجذب وهو ما أطلق عليه اسم الإشتقاق الأكبر الذي يقوم على تقليب الأصوات^(١).

"وتجئ أصوات الكلام الصامتة والصائتة في نسق متعارف عليه عند أهل اللغة، وكل صوت منها يقابل الآخر؛ أي له وظيفة تختلف عن غيره؛ غير أن الملاحظ أن الكلام ليس مجرد أصوات قطعية يتبع بعضها بعضاً، بل يتضمن شيئاً إضافياً، وهو يمكن تسميته بموسيقى الكلام، فهناك طبقة صوتية تنتهي بها الجملة، ويعرف منها ما إذا كانت استفهامية أم تقريرية، وهناك وقفات بين أجزاء الكلام تفيد السامع في معرفة المعنى ويدل كذلك موقع النبر في الكلمة أو الجملة على معنى، وهذه الظواهر الصوتية التي تصحب الكلام، تسمى الأصوات فوق القطعية، وتتمثل في النبر والوقفة ونمط التنغيم وطبقة الصوت، ومن هذه الملامح أيضاً علو الصوت الذي يدل غالباً على الغضب ومعدل السرعة في الأداء النص يرتبط بمعاني الإلحاح أو الانفعال أو التأكيد أو الترويح وغير ذلك من الأمثلة"^(٢).

"وقد قام علماء اللغة بدراسة هذه العناصر في عربيتنا فاختلّفوا في وقوعها فيها كما اختلفوا في موقف القدماء منها، وترجع أسباب الخلاف إلى أن علم اللغة الحديث

(١) وفي ذلك يقول د. محمود عكاشة ، قامت الدراسة اللغوية الحديثة ببحث دلالة الحرف أو الصوت في الكلمة، وهي الدراسة التي سبق إليها ابن جني وقد اختلف علماء العربية المحدثون حول طبيعة هذا البحث فبعضهم يرى أن ما ذهب إليه ابن جني من التكليف الذي لا يقوم على أساس واضح ، ويعد مبالغة ويرى فريق آخر أن هذا البحث يعد خطوة متقدمة في مجال البحث الصوتي سبقت الدراسات الغربية الحديثة، ويدعون إلى التوسع فيها وتعميقها في البحث اللغوي العربي، وفي ذلك يقول الدكتور عكاشة (ونحن نميل إلى الفريق الآخر لما وجدناه من أمثلة بيّنة احتج بها ابن جني من القرآن الكريم واللغة وشواهد واضحة في ذلك والفروق الدلالية ، ولكنها لا تعم جميع اللغة ويوافق الباحث الرأي الأخير أيضاً لما فيه من الشواهد التي تؤيد هذا البحث بالنسبة لابن جني، انظر: التحليل اللغوي، ص ٢٤.

(٢) كتاب الأصوات اللغوية الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو ١٩٩٠م ص ٢٤ ، وفي ذلك إشارة إلى أن وجود النبر أحياناً يؤثر في ذلك بسقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر فقد دلت الملاحظة مثلاً ، على أنه إذا توالى في اللغات السامية مقطعان قصيران أولهما منبور فإن حركة المقطع الثاني تسقط في الكلام، ففي العربية مثلاً يقال كثيراً (وهو) بدلاً من (وهو) و(معه) بدلاً من (معه) ، فليذهب بدلاً من (فليذهب) (ويدكر) الناتجة بحسب قانون المماثلة من (يتذكر) بدلاً من يتذكر.

وسقوط حركة لام الأمر الداخلة على المضارع عند اتصالها بالفاء أو الواو أمر لازم في قراءة القرآن الكريم فلم ترد الصورة الأصلية للظاهرة في أية قراءة قرآنية ، ويقول ابن خالوية فلو قرأ قارئ (فليُنظر الإنسان) بكسر اللام فكان سائغاً في العربية غير أنه لا يقرأ به إذ لم يتقدم به أمام، والقراءة سنة يأخذها آخر عن أول ولا تحمل على قياس العربية إعراب ثلاثين سورة في القرآن الكريم، ابن خالويه، ص ٤٢.

نشأ في الغرب واتخذ لنفسه اصطلاحات حديثة، وقد لا توجد عند علمائنا القدماء، واتخذ البحث الحديث لنفسه مناهج وأسساً تقوم على التخصيص والتفريع بينما درس القدماء اللغة عامة فتداخلت الموضوعات، ولم يضعوا حدوداً فاصلة بين بعض الفروع إلا في مرحلة تلت اكتشاف علم اللغة الحديث^(١).

لذا نجد أن علماء العربية وخاصة القدماء منهم اختلفوا في قضية النبر في العربية ومنهم المستشرقون الذين يرون "أن نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى نحاة العرب بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم"^(٢).

ويرى الباحث أن كلامهم صحيح إلى حد ما في الناحية النظرية خاصة في جانب التعريف والتوضيح في النبر كعنصر له دور في تفسير المعنى الدلالي أو حتى يساعد على اكتشافه، أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئياً، وذلك في حالة واحدة حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة) - وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للنبر. وقال بعضهم: "إن دراسة النبر ودراسة التنغيم في اللغة العربية تتطلب شيئاً من المجازفة؛ لأنها لم تعرف من قبل ذلك، ولم يسجل لنا القدماء شيئاً عن هاتين الناحيتين"^(٣).

(١) التحليل اللغوي، محمود عكاشة، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٥.

ويقول محمود عكاشة: "إنه من الصعب التعرف على المصطلحات الحديثة مثل النبر والتنغيم في ترتنا، لكننا لا ننكر وجود هذه المصطلحات في مسميات أخرى في كتب القراءة وكتب النحو والصرف المعاجم والبلاغة وشروح الشعر والكتب التي تناولت الخطابة و تناولت الموضوعات التي ترتبط بعملية الأداء"^(١).

إلا أن محمود عكاشة قال في ذلك رداً على من أنكر هذا الموضوع:

"أن هذا الرأي فيه تجني على عربيتنا وجهود علمائنا في هذا المجال فقد توصل علماءنا منذ وقت مبكر إلى أهمية العناصر الصوتية في الدلالة، وعلى رأس هؤلاء علماء القراءات الذين وضعوا قواعد دقيقة لقراءة النص القرآني حفاظاً على معانيه، ودلالته، غير مسبوقه في التراث العالمي، وأصبح للأصوات علم خاص بها في العربية ولم تعرف هذه الدراسات إلا في العصر الحديث، وإننا لا ننكر إن المصطلحات الحديثة مثل (الفونيم) والمقطع والنبر (Stress) و(التنغيم) درجة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، لم يستخدمها قدامؤنا على هذا النحو الحديث، لكننا نجدهم يدركون دلالة هذه العناصر في التأثير في المتلقي وعالجوا أثر الصوت في الدلالة ويفهم ذلك قول ابن جني: وقد حذف الصفة ودلت عليها الحال، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب (سيبويه) من قولهم (سير عليه ليل) وهم يريدون (ليل طويل)، وكأنّ هذا إنما حذف في الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك إنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح، والتفخيم يقوم مقام قوله: طويل ونحو ذلك"^(٢).

(١) لقد عالج أبو علي الفارسي هذه الموضوعات في كتابه الحجة الذي تناول فيه القراءات القرنية السبعة المشهورة، ثم أكمل تلميذه ابن جني هذا الموضوع بدراسة القراءات الشاذة، كما تناول الجاحظ هذه الموضوعات في البيان والتبيين.

(٢) التطريح هو رفع الصوت وعلوه أو طوله وارتفاعه ، التطويح يعني به تنذبذ الصوت علواً وانخفاضاً واعتدالاً ويعني به مستوى قوة الصوت ومستويات الصوت جميعها من طوح به ذهب به هنا وهناك. والتفخيم منح الصوت قيمة صوتية أكثر مما هو عليه أو تغليظ الصوت في موضعه وهو ضد الإماله: انظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ٢٧.

وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: (كان -والله- رجلاً ! فتزيد في قوة اللفظ (الله) وهذه الكلمة تتمكن في تمطيط الكلام وإطالة الصوت بها"^(١).

إذن الدلالة الصوتية Phonetic-semantic هو ما يصاحب الصوت من ظواهر تطراً على الكلمة أو الجملة من نبر وتنغيم وتفخيم وإيقاع وارتفاع، وانخفاض وغير ذلك من الصفات التي تطراً على الكلام المنطوق، ويبدو أن هذه الظواهر لها دور وأثر على الدلالة، خاصة النبر والتنغيم ولذلك نريد أن نسلط الضوء على هاتين الظاهرتين ظاهرة النبر وظاهرة التنغيم.

أولاً: النبر (Stress):

"يقصد بالنبر القوة أو الجهد النسبي الممنوح لمقطع معين ليسمع أوضح من باقي المقاطع، أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة، فالنبر عبارة عن ارتفاع ملحوظ في درجة الصوت، في نطق مقطع من مقاطع الكلمة، فيميزه عن غيره من مقاطعها، فالنبر يتحقق من خلال المقاطع ويظهر من خلال الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء، أو المنطوق، لهذا يرتبط بالدلالة السياقية"^(٢).

"والنبر يرتبط بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب وهو يتفرع إلى

نوعين:

أ/ نبر الكلمة

ب/ نبر الجملة.

أ/ نبر الكلمة:

هو النبر الذي يقع على مقطع من مقاطعها، وتتفاوت درجته حسب صفة النطق وتجاور المقاطع دلالتها على المعنى وقد رأى بعض علماء العربية أن فيها نبراً صرفياً يتعلق بالكلمة ونبراً سياقياً يتعلق بتركيب الجملة.

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة محمود عكاشة- ص ٢٧.

(٢) لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال دار النشر للجامعات، د. محمود

عكاشة، د.ت، ص ٢.

ويمثل ذلك الجملة الآتية: (كيف حالك) تحتوي هذه الجملة على أربعة مقاطع تحمل أربع درجات من مستويات النبر فكلمة (كيف) تتكون من مقطعين (كي/ ف) = < ص ح < ص < ح < ح، نلاحظ أن المقطع الأول منها يتحمل نبراً أقوى من الواقع على المقطع الثاني، بل يمثل أعلى مستويات النبر في الجملة هو النبر الأول. والمقطع الثاني يحمل النبر المتوسط، تتكون كلمة (حالك) من < ح/ك = < ص ح < ح < ح < ح الأول وهو المقطع الثالث في الجملة من النوع الطويل المفتوح، ويليه في الأداء درجة أقل من المقطع الأول ويمثل أعلى درجة من بعده من باقي المقاطع، ويسمى النبر الثانوي، والنبر الواقع على المقطع الأخير (لك) < ح < ح < أقل درجان النبر قوة: في الجملة ولهذا يطلق عليه النبر الضعيف" (١).

وفي ذلك يقول الهادي نهر: في أهمية النبر ودوره في الدلالة "هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات وهي التي نطلق عليها اسم الدلالة الصوتية ومن مظاهر هذه الدلالة الصوتية (النبر) فقد تتغير الدلالة باختلاف موقعها من الكلمة فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل (أسماءً إذا كان النبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل إلى المقطع الآخر أصبحت (فعالاً) وتستعمل حينئذ استعمال الأفعال" (٢).

ب/ نبر الجملة:

"يعرف نبر الجملة عند بعض العلماء بالنبر السياقي أو ارتكاز الجملة (Sentence Stress) وهو النبر الذي يقع في الجمل وليس على الكلمات. وهو النبر الذي يشارك في دلالة الجملة عن طريق سياق الأداء، وهو أيضاً يقع في نطاق مقاطع الكلمة، لكن دلالة التركيب تؤثر في موقعه من كلمات الجملة. ويتمثل نبر الجملة في عنايتنا بنطق لفظ فيها أو حرف وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيداً من قوة الصوت في الأداء ليؤدي دوراً وظيفياً في التركيب ومن ثم يؤثر في دلالاته، ويسهم في المعنى على النحو الآتي:

(١) التحليل اللغوي - د. محمود عكاشة - ص ٤٤.

(٢) علم الدلالة د. الهادي نهر ص ٤٦.

أ- التعريف بين معنى ونقيضه.

- هذا ما قتلتَه (الجملة منفية)

- هذا ما قتلتَه (الجملة مثبتة).

وقع النبر على (ما) في الجملة الأولى فأبرز دلالتها في التركيب فأعطيت معنى النفي، ووقع نبر الجملة في الجملة الثانية على (قتلت) فيدل على أن اسم موصول بمعنى الذي فأصبح معنى التركيب (هذا الذي قتلتَه) وقد شارك السياق الأدائي في تحقيق الدالتين معاً^(١).

ب- إظهار بعض الكلمات والأدوات في الجمل مثل:

أدوات الاستفهام، والنداء وأدوات النفي والنهي، فالنبر يقع عليها لإظهار وظيفتها في التركيب مثل:

(لا تخرج من هنا)، (لم يذاكر على دروسه)، (وما ذاكر على دروسه) هل

ذاكر على دروسه. وقع النبر في هذه التراكيب على:

لا، ولم، ما، هل، يقع النبر في الجملة الشرطية على الأداة مثل: ﴿أَيَّنَمَا

تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء ٧٨].

كما يقع النبر في الجملة الاستثنائية على الكلمات الطليبية أفعالاً وأسماءً،

(توكل على الله) (حذار من السرعة) كما يقع أيضاً على أداة النداء لإظهار

وظيفتها الدلالية مثل: (يا محمد)، (يا علي).

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د. محمود عكاشة ص ٤٠-٤١.

نجد أن النبر هنا وقع على كلمة (توكل) و(حذار من السرعة) لذلك لتدل على
الطلبية في الأمر والنهي وكما وقع النبر في أداة النداء (يا)

ج- تحديد المعنى المراد والإخبار عنه، مثل (محمد في الدار) جواب السؤال
(أين محمد) وقع النبر على الخبر؛ لأنه هو المستفهم عنه والمراد الإخبار عنه.

ويمكن الاستغناء عن المعنى المعروف عن الكلام السابق دون المعنى
المستفهم عنه والذي وقع عليه النبر، أو المعنى المستفاد من الإخبار مثلاً إذا قيل:
(من السارق)؟ الجواب: (عزيز) وأصل الكلام (السارق عزيز) كما يحدد نبر الجملة
الظرف اللغوي الذي قيلت فيه الأدوات المستخدمة وصيغ الطلب^(١).

ويقول محمود عكاشة: "إن النبر في الجمل الإخبارية يقع حسبما تقتضي
الدلالة أو المعنى المراد، مثل (نحن أبناء العروبة)؛ المراد الافتخار بالذات فوق
النبر على المبتدأ (نحن) ويقع النبر على الخبر للدلالة على تأكيد الانتماء القومي.
وليس النبر وفقاً على المبتدأ في جميع التراكيب.

ويقع النبر في التركيب الفعلي الاختباري على الجزء المراد به المعنى مثل:
(أكل محمد التفاح).

وقع النبر على المفعول به؛ التفاح لأنه المراد في الإخبار تنبيه ومثل: (قتل
اليهود المصلين) المراد إثارة المشاعر والتنبيه إلى شناعة الفعل فوق النبر على
المفعول (المصلين)"^(٢).

ويقع النبر في: (فتح عمرو بن العاص مصر) على الفاعل؛ لأنه المخصص
بالإخبار وعندما يريد المتكلم تأكيد المعنى باستخدام الأداة يقع النبر على الأداة مثل:
(ليبق كل في مكانه) (إن العلم نور)^(٣) ويساهم نبر الجملة مع التنغيم في نقل دلالة

(١) التحليل اللغوي، محمود عكاشة، ص ٥٣-٥٤.

(٢) لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء النظرية الاتصال، ص ٤٨.

(٣) يطلق اسم النبر القوي Emphatic stress على النبر الذي يشارك في الدلالة على التأكيد والدلالة على
الانفعال Emotional Stress، المرجع السابق، ص ٤٨.

الجملة الإخبارية التي تخلو من أداة الاستفهام إلى معنى الاستفهام (نجح محمد) التي تعني الاستخبار و(هل).

وبشارك السياق المقالي والحالي النبر في تحقيق الدلالة المقصودة^(١).

ولذلك عدوه واحداً من الفونيمات فوق التركيبية (Suprase-mentelphamemes) بالرغم من اشتراكه في تركيب البنية اللغوية واقتضائه لتحقيق طاقة وجهداً عضلياً، وجاء عن أبي زيد الأنصاري أنه قال:

"أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، ووقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قوم تميم إلا النبر - وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا" - وفي هذا تبين أن النبر، وهو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب، وأن كليهما يتطلب نشاطاً متحداً من أعضاء النطق والرتتين وعضلات الصدر وأقصى الحنك والشفنتين واللسان مما يؤدي إلى تعاضم مسافة السعة في الذبذبات الصوتية، وأن هذه الشدة والقوة بسياق نسبي، أي يعني أنها ليست حالة مطلقة، وإنما تقاس على أساس قوة التنفس في نطق شخص ما^(٢).

ويقول الهادي نهر في ذلك: "وقد عرفت العربية النبر وعبرت عنه بمسمياتها المختلفة، (الهمزة والعلو، الرفع) مطل الحركات الارتكاز الإشباع المد التوتر والتضعيف وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي"

ومن ذلك قوله: "أكلت لحماً شاة أراد لحماً وشاة فمطل الفتحة ألفاً - وذكر أيضاً أن الحركات عند التذكر يمطن، وذلك كقولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت (قمتاً) ومع الكسرة (قمتى)، والواو في قمتوا إذا علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع من أجل تحقيق غرض قصدي^(٣).

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: د. محمد عكاشة ص ٤٨.

(٢) علم اللسانيات الحديث، د. عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ٣٠٤.

(٣) علم اللسانيات الحديث، ص ٣٠٩.

وتتوقف وظيفة النبر على الدلالة التمييزية، وهنا يمكن أن النبر سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه، إذا استطاع أن يحقق الغرض القصدي، ويعتبر من الملامح التمييزية، أو التنوعات الصوتية التي تنوع الدلالة ويعتمد عليها السياق، وهذا لا يتحقق إلا في مواضع معينة.

إما إذا أخفق في توجيه الدلالة فشأنه شأن أي فونيم في اللغات الأخرى، إذا فقدت القوة والقدرة على التبادل الموقفي وللتباين الدلالي إنها تسقط، وتصبح شواخص تطريزية، ولذلك نجد أن العرب نظروا إلى التنغيم وعدوه جرس الكلام وحسن الصوت في القراءة وغيرها وقد وصفوه بأنه أحد عناصر تحديد المعنى، أيضاً فقد لفت النبر والتنغيم كثيراً من أصحاب كتب معاني القرآن وإعرابه في النص المعين، من ذلك قولهم بحذف الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ ۗ قَالَ هَذَا رَبِّي ۗ ﴾ [الأنعام: ٧٦]، على تقدير الهمزة الاستفهامية وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ۗ ﴾ [المتحنة، الآية ١] وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ أَنَّ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۗ ﴾ [الشعراء الآية ٢٢] (١).

وفي ذلك يقول هادي: "فإن النبر عندهم عنصر من عناصر تحديد المعنى، فمن تلك الأمثلة قولك: (هل سافر أخوك أمس؟) فإذا نبر المتكلم على لفظ (سافر) فهذا يعني أنه ظن أن حدث غير السفر قد تم، إذا نبر لفظ (أخوك) وهذا يعني أنه ربما شك في فاعل السفر.

ويتضح موقف العلماء العرب القدامى عن دور النبر في تحديد الدلالة في دراستهم البلاغية على وجه الخصوص وتوزيعهم الطلب إلى دلالات كثيرة، وتقسيم كل دلالة إلى معان إضافية تزداد على النمط اللغوي المعين، فعندهم أن لاستفهام يخرج إلى دلالات كثيرة، منها: الإنكار والتفجع، والتوجع، والاستغراب، والدهشة، والدعاء، وغير ذلك مما أفاضوا فيها نظيراً وتطبيقاً" (٢).

كما يوجد نبر آخر يسمى النبر الصرفي.

"ويعرف بنبر الصيغة لتعلق النبر بها، فالنبر الصرفي يختص بالميزان الصرفي أو بنية الكلمة.

(١) علم الدلالة د. هادي نهر، ص ٥٢-٥٣.

(٢) علم اللسانيات الحديث، ص ٥٤.

مثال ذلك: بناء فاعل ينبر المقطع الأول منه وهو (فا) (ص ح ح) لإظهار بناء الصيغة، وينبر كل ما جاء على هذا الوزن: قاتل، سارق نائم فيقع النبر على ما يقابل المقطع الأول في بناء (فاعل) و(مفعول) يقع النبر على العين مثل (مقتول، مضروب لإظهار صيغ المفعول، ويقع النبر على التاء في بناء (مستعمل) في مثل: مستدرك مستخرج)، ولهذا فإن النبر يعد فونماً في الكلمة؛ لأنه يؤدي وظيفة في دلالتها فبالتالي فهو يفرق بين نطق ونطق، وقد يبرز وظيفة عنصر من عناصرها في النطق، فاللغة العربية تلجأ إلى نبر ألف الاثنين في مثل كتباً استطاعاً لإظهار وظيفة ألف الاثنين في الجملة وحتى لا يلتبس ذلك بصيغة الماضي استطاع (بالفتح والقصر) وقد دل نبر المقطع الأخير من الكلمتين على أن الفاعل هو ألف الاثنين)، ومثال ذلك في الأسماء مسلمو أوربا (كتاباً محمد) ونلاحظ، النبر وقع على الواو وألف الاثنين، ولكنه لم يقع على المقطع الأخير في مثل: كتبوا؛ لأن واو الجماعة أو الضم الطويل لا يلتبس بحركة الماضي (الفتح) في كتب، ولكن واو الجماعة تنبر في الأسماء مثل مسلمو أوربا ومعملي الجامعة وهذا يختلف عن النبر الواقع في كلمة ملتقى الذي يقع على التاء)، كما يرف النبر بين الدلالة الكلمات مثل (أسد، وأسد كلمة (أسد) من (السداد) وكلمة (أسد) اسم حيوان تتشابهها عند الوقوف عليهما بالسكون لا يكادان يتميزان عن بعضهم البعض إلا بموضع النبر فالنبر في الأول في كلمة تنتهي بمقطع عنقودي يقع على المقطع الأخير ويقع في الكلمة الثانية (علم الأسد المقطع الأول)^(١).

(١) ينقسم النبر إلى نوعين: صرفي وهو الذي يختص ببنية الكلمة، ونبر سياقي، وهو الذي يقع على الجمل وليس على الكلمة (المفردة) وقد أطلق الدكتور السعران على الأخير ارتكاز الجملة *Senten Stress* ويوضح الدكتور محمود عكاشة النوع الأخير فيقول: أما أن يكون تأكيدياً أي رفعة الهواء أقوى وأعلى من التقريري وأما أن يكون تقريرياً وهذان وصفان لا يمكن أن نصف بهما نبراً الصفة وأي مقطع في المجموعة الكلامية سواء كان في وسطها أو في آخرها صالح؛ لأن يقع عليه مثل هذا النبر، والمسافة بين كل نبر في الكلام المتصل متساوية، وهذا ما يسمى بالإيقاع، انظر: منهج البحث في اللغة، محمود عكاش، مكتبة الأنجلو، ط ١٩٥٥م، ص ١٦٠-١٦٢.

المبحث الثاني

أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني

كما ذكرنا آنفاً، "إنَّ علم الأصوات الوظيفي هو العلم الذي ينظر في جهاز التواصل اللساني، وتندرج تحته قضايا صوتية هامة فمن تلك القضايا: مثل الفونيم، المقطع الصوتي، النبر والتنغيم^(١)، لذا رأى الباحث أن يأخذ هذه العناصر الأساسية ويطبّقها على نماذج من الآيات، وذلك إيماناً منه بدور تلك العناصر التي تؤدّي داخل دلالة النص القرآني، وإسهامها الفعال في الدلالة المرجوة من النص اللغوي".

أولاً: دور الفونيم في التفريق بين المعاني:

الفونيم كما عرفه علماء اللغة، "هو أصغر وحدة صوتية تتغير به معنى الكلمة إذا استبدلت بوحدة أخرى وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته إذاً الفونيم هو وحدة صوتية قادرة على التفريق بين المعاني"^(٢). وإليك بعض الأمثلة التي توضح لنا دور الفونيم في التفريق بين المعاني للكلمة الواحدة وذلك من خلال تغيير الشكل أو الزيادة والنقصان في بنية الكلمة.

فمن تلك الأمثلة قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاحة، الآية ٣] هنالك قراءتان متواترتان للقراء السبعة إحداهما ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بالألف وهي قراءة عاصم، الكسائي، والثانية (مَلِكٍ) وهي قراءة السبعة^(٣). وإذا كانت القراءتان متواترتين فحري قبولهما، فنجد أن فونيم الألف، قد لعب دوراً هاماً في دلالة هذه الكلمة.

ويقول فيصل حسن نقلاً عن ابن جرير عند تفسير هذا الآية الكريمة للقراءتين قوله: (ومع انه أرشدنا إلى أن اختياره لأحدى القراءتين فضّل في كتابه القراءات، فقد أطال النفس وأتم وأنجد وبلغ عن وجهة نظره مبلغاً عظيماً، إذ يقول وأولى التأولين

(١) مناهج في علم اللغة، د. حلمي، جامعة الشارقة، ط ٢٠٠٨م، ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٢٣.

(٣) الحجة للقراءات السبعة للفرسي، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠١م، ١/١٠٣.

وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ (مَلِك) ويبدأ بإقامة الحجج على ما ذهب إليه.

فحجته الأولى أنّ (المَلِك) بضم الميم الذي تدل على قراءة مَلِك أعم من المالك (بكسر الميم) الذي تدل عليه قراءة (مالك) فكل مَلِك مالك وليس كل مالك ملكاً وعلى هذا فقراءة مَلِك هي الأخرى بالقبول والترجيح^(١).

الحجة الثانية "إنّ قراءة (مالك) ينبني عليها محذور يجلب عنه القرآن، لذا فهي حرية بأن تكون مرجوحة لا راجحة ويفصل في ذلك حجته كما يلي: أنّ (مالك) معناها الرب قد تقدم في الآية الكريمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومن معاني كلمة الرب: المالك، وعلى هذا فتكون كلمة مالك قد ذكرت مرتين ذكرت بلفظها في قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وذكرت في قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا تكرار غير محمود في كتاب الله تعالى، إلا هنالك من اعترض على قول ابن جرير في قوله بالترجيح بين القراءتين ويتمثل هذا الاعتراض في الآتي:

إن قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني عالم الدنيا وأن قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إنما يعني يوم القيامة وعلى هذا فلا تكرار في المعنى؛ لأنّ كلمة (مالك) التي ذكرت بلفظها أنبأت عن يوم القيامة وكلمة (مالك) التي ذكرت بمعناها تتحدث عن الدنيا. إلا أن ابن جرير يعترض ويقول: إن زعمت أن كلمة العالمين تدل على عالمي الدنيا فإن آخر سيقول: إن كلمة عالمين تدل على الذين كانوا في عهد النبي ﷺ خاصة.

ولما كان هذا غير جائز فقولك فيما زعمته أن العالمين يقصد بها عالم الدنيا غير جائز كذلك.

ويتصور ابن جرير اعتراضاً آخر وهو أن معنى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي مالك إقامة يوم الدين هذا الاعتراض كذلك، لأن الذين سيحييهم الله يوم القيامة هم الذين

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٥.

كانوا في الدنيا فكلمة (الرب) في الآية الأولى تغني عن كلمة (مالك) في هذه الآية الكريمة وعلى هذا فقراءة (ملك) هي سيدة القراءتين^(١).

إلا هنالك من اعترض على أقوال ابن جرير ورد عليه في الآتي:
"أولاً قولهم: لسنا معه في أن (الملك) بضم الميم أعم في الملك (بكسر الميم) فقد يكون أحدهما ولا يكون الآخر فبينهما عموم وخصوص من وجه".
ثانياً: ولسنا معه كذلك في كلمتي (رب ومالك) متساويتان فنحن مع من ينكرون الترادف في العربية ولاسيما في كتاب الله.

حتى لو كان هنالك ترادف فهاتان الكلمتان ليستا منه وأن استعمال كل من الكلمتين في موضعها يدل على ما يبينهما من فروق فكلمة (الرب) أعم من كلمة (مالك) فإنما تأتي كذلك بمعنى المصلح والسيد، ثم إن اشتراك الكلمتين في الدلالة على (الملك) لا يدل على ترادفهما، فكلمة (الرب) إنما تدل على ملك، وما كان ذا بال وأهمية ألا تراهم يقولون ربات الحجول ورب السيف ورب القلم ولا يعنون به بالطبع الذي يملك قلم رصاص فكم من مالك مائة قلم ومائة سيف ولكن لا يقال له رب السيف ولا رب القلم: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٠] وعلى هذه فكلمة (مالك) يقيناً لا تتساوى مع كلمة (رب).

والذي ندين به ونلقى الله عليه كلا القراءتين صحيحة أداءً ومعنى ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز وبيان ذلك: إن الناس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم فإنما لله وحده ملك يوم الدين وصاحب السلطان لا سلطان لأحد غيره وهذا ما ترشد إليه القراءة الأولى ملك يوم الدين، وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شئون الناس والكون، وهو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك)^(٢).

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٨.

"ولكل من القراءتين شاهد وسند من كتاب الله فقراءة (ملك) يشهد بها قوله

سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر ١٦].

ويشهد لقراءة (مالك) قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] وبعد هذا كله فلا ينبغي أن نفاضل بين هاتين القراءتين فإن لكل منهما معنى أرشدت إليه من جهة كما إن لكلا القراءتين شاهد من كتاب الله تعالى من جهة.

فكلتا القراءتين إذن تدل على معنى مستقل عن الآخر وكل من المعنيين لابد منه في بيان اليوم الآخر ولقد أحسن صنعا أبو حيان -رحمه الله تعالى- فبعد أن ذكر القراءات في الآية الكريمة بين أن الأصل واحد وإن كانت الصيغ تختلف من حيث المعنى^(١).

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة ٣٦].

قراء جمهور (أزلهما) بتشديد اللام، وقرا حمزة من السبعة (أزالهما)^(٢) بألف من الإزالة، ومعنى القراءة الأولى أي: جعلهما يزلان ويقعان في الزلّة والخطيئة فالهمزة للتعديّة كما يقول أبو حيان، ومعنى القراءة الثانية أزالهما أي نحّاهما وأبعدهما والقراءة الأولى تتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْ الْجَمْعَانَ إِنَّمَا أَسْرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران ١٥٥].

والقراءة الثانية يدل عليها قوله تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَائَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يُنَزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهَمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف ٢٧].

(١) القراءة القرآنية وما يتعلق بها، فيصل حسن، ص ٢٢٩.

(٢) النشر في القراءات العشر، ص ٢١١.

والذين أبوا إلا أن يرجحوا بين القراءات المتواترة ذهبوا إلى ترجيح القراءة الأولى وإن اختلفوا في سبب هذا الترجيح فبينوا سبب الترجيح في ذلك بقولهم: "فعله من قرأ بغير ألف الإجماع في قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْهُمُ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ [آل عمران ١٥٥]. أي أكسبهم الزلة فليس للشيطان قدرة على زوال أحد من مكان إلى مكان إنما قدرته على إدخال الإنسان في الزلل فيكون ذلك سبباً إلى زواله من مكان إلى مكان بذنبه ويقوي ذلك أنه قال في موضع آخر: ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [الأعراف ٢٠]. فالوسوسة هنا ليس بإزالتها من مكان إلى مكان وإنما هي تزيين فعل المعصية وهي الزلة لا إزالة وأيضاً قد يحتمل أن يكون معنى (فأزلهما) من: زل عن المكان إذا تنحى عنه فيكون في المعنى كقراءة من قرأ بألف من الزوال.

والاختيار للقراءة بغير ألف لما ذكرنا من العلة، ولأنه قد يكون بمعنى فأزلهما فيتفق معنى القراءتين ولأنه إجماع من القراءة غير حمزة، ولأنه مروى عن ابن عباس (١).

فقد بدا من خلال ما سبق دور الوحدة الصوتية فونيم (الألف) في تغيير معنى الكلمة وذلك من خلال القراءتين كما نجد لكلي القراءتين ما يؤيدهما في دعم معناها، لذا يجب علينا أن لا نغفل دور هذا الفونيم الذي هو أساس في اختلاف القراء بينهم والمفسرون والنحاة من جهة أخرى.

ونقل عن ابن جرير في القراءة الثانية (فأزلهما) على أن أولى القراءتين بالصواب وقراءة من قرأ (فأزلهما) لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه وذلك هو معنى قوله: (فأزلهما) فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج - أن يقال ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا

(١) القراءات القرآنية، ما يتعلق بها، فيصل حسن، ص ٢٢٨.

كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ فيكون كقوله فأزلهما الشيطان عنها فأزلهما مما كانا فيه.

وقراءة أزال كما يرى بن جرير إذن يلزم عليها تكرار ينبغي أن نحيد الآية الكريمة عنه، ولو أن غير ابن جرير قال هذا لكان له عذر في أنه ليس ملماً بأساليب العرب كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره فما كان له وما كنا نرضى منه أن يذهب هذا المذهب، وأساليب العرب شاهدة على أن هذا الفاء العاطفة قد تأتي للتفصيل والتفريع" (١).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران ١٧٨].
"قرأ عاصم والكسائي بالتاء وقرأ الباقون بالياء" (٢).
وهذا يدل على أمرين اثنين:

أولاً: أن القراءة سنة متبعة لا مجال فيها لاجتهاد الناس ولا مكان فيها لرأي فرد أو جماعة.

ثانياً: ذكر البيانين والبلاغيين أسلوب الالتفات في ذلك، وإن خلاصة القول أنه نوع من الالتفات أي انتقال من تكلم إلى الغيبة أو الخطاب إلى الغيبة والغرض منها لفت النفس وتوجيه ذهن المخاطب إلى ما يوجه إليه ويلقى إليه، وهذا هدف عام للالتفات.

ولكن هناك هدفاً خاصاً لكل التفات على حده:

ولقد أشار الزمخشري في كشافه إلى شيء من هذا في سورة الفاتحة عند قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والحق أن دراسة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى تفتح أبواباً في أسرار القرآن وإعجازه، فقد يكون الالتفات انتقالاً من الخطاب إلى الغيبة ويكون الغرض منه تصنيف أولئك المخاطبين والإعراض عنهم، كأنهم ليسوا أهلاً للخطاب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ٥٥/٢.

[الملك ١٨] وقوله ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَن

فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿ [الملك ١٦-١٧]

وقد يكون انتقالاً من الغيبة إلى الخطاب ورضه التضييق على المخاطبين وإلزامهم الحجة بحيث لا يدع لهم فرصة ولا يبق لهم طريقاً لمهرب وذلك مثل قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك ٢٠] بعد قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك ١٩].

ولو أن هذه الآية جاءت بأسلوب الغيبة هذا أي ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾ ما كان فيه هذا الإلزام ولكن الأسلوب الخطابي فيه تقريع وإلزام بالإجابة على السؤال الموجبة إليهم.

ولذا فإن الآيات التي وردت تارة بأسلوب الغيبة وتارة بأسلوب الخطاب يمكن أن نضعهما على هذا التوجيه البياني لكل أسلوب^(١).

وهذا الحديث يجرنا إلى أن اللغة متكاملة لا بد من أن يصحبها كل باحث أي أن اللغة العربية لا يمكن أن نأخذ النحو دون الصرف ولا الصرف والنحو دون البلاغة وعلم اللغة وغيرها من العلوم التي لها علاقة الأداء والكلام من سياق لغوي وتاريخي وسلوكي.... الخ. ففيها إلزام لهم بالدلالة الصوتية هنا تظهر في تغيير حرفي المضارعة (التاء والياء) فوضع فونيم المخاطبة في موضع فونيم الغيبة يؤدي إلى تغيير دلالي واضح في سياق الجملة برمتها.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿لَنَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ١٦٢].

(١) القراءات القرآنية وما يتعلق بها، فيصل حسن، ص ٢٩٢-٢٩٣.

"وردت (وَالْمُقِيمِينَ) منصوبة وهي ضمن نسق مرفوع ما قبلها وما بعده"^(١). وهنا يظهر أثر الفونيم الصوتي الذي يعتبر أصغر وحدة صوتية ذات قيمة دلالية واضحاً وجلياً في تنوع النص القرآني، وهذا الفونيم وهي حرف (الياء) فقد دار خلاف عميق بين علماء القرآن الذين يقولون أنه من خطأ الكتاب أو لحن وقع، وبين النحاة الذين يؤولون في ذلك النصب وجوهاً عدة وهي (الياء) الناصبة لجمع المذكر السالم والتي هي سبب هذا الخلاف بين علماء القرآن أنفسهم من جهة وبينهم وبين علماء العربية من جهة أخرى. وهناك من أثر بتأملات، فمن تلك التأملات قولهم: "ومن تأمل الآية الكريمة يجد فيها استثناء من الله سبحانه لمن هذه صفتهم من أهل الكتاب من اليهود والذين رسخوا في العلم وآمنوا بالقرآن فقادهم هذا الرسوخ إلى الإيمان بالدين كله، فجاء عميقاً راسخاً لا سطحياً"^(٢).

مما أعطى الآية الكريمة بعداً رجحياً في الثناء عليهم ومدهم بورود (لكن) التي دخلت بين نقيضين وجزئهما وهما الكافرون والعذاب الأليم، والمؤمنون والأجر العظيم، فلما طال الكلام نصب (وَالْمُقِيمِينَ) وقيل أن العرب تخرج من الرفع إلى النصب إذا كثر الكلام ثم تعود إلى الرفع على القطع، فيتحول التركيب كي تنشأ عنه جملة فعلية جديدة بفعل محذوف تقديره أعني المقيمين، أو مدح المقيمين ويعضد ذلك قوله سبحانه وتعالى: مرفوع على إضمار: هم المؤمنون؛ إذ لا يجوز أن يعطف على المرفوع الذي سبقه، لأن النعت إذا انقطع في شيء منه لم يعد ما بعده على إعراب المنعوت وهذا القطع جاء لبيان فضل الصلاة والزكاة، ومنهم من أنكر النصب في (وَالْمُقِيمِينَ) وعده مجرور بالعطف على قوله سبحانه وتعالى (بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) (بيد أن هذا الإعراب غير جائز لاختلاف المعنى، إذ التقدير يكون: ويؤمنون بالمقيمين وذهب آخرون مذهب الكسائي في الجر، ولكن بحجة العطف على الضمير في (إليك)، وهذا غير جائز أيضاً لكونه عطف مظهر على مضمرة ولا

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ط ٢٠٠١م، عبدالعباس عبدالجاسم أحمد،

المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١١٥.

يجوز، ومما جاء مؤيداً لنصب في قوله تعالى (وَالْمُقِيمِينَ) ما ذهب إليه أهل التفسير من أن المعنى بذلك هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يخل شرع أحد منهم من الصلاة مستنديين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء ٧٣] (١).

ويرى آخرون أن سبب النصب نتج عن هذا التحول المعنوي في الكلام الذي صحبه تحول في الإعراب؛ لأن الله سبحانه لم يرد مجرد الإخبار في قوله، وإنما أراد الحث على إقامة الصلاة بوصفها عمود الدين فمدح المقيمين لها. وبعض العرب يقول (الحمد لله رب العالمين) بفتح (رب) أنها عربية ومثل ذلك قوله عز وجل ﴿لَنْ كُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] (٢).

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَتْ سَوْهَتَهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران ١٢٠].

قرأ ابن كثير وأبي عمرو ونافع (لا يضرركم) بكسر الضاد وتخفيف الراء وقرأ الباقر (يضرركم) بضم الضاد وتشديد الراء" (٣). يتجلى الدور الصوتي هنا في لقراءات التي ذكرت وذلك الاختلاف الدلالة التي تفهم من هذين الفونيمين فمن قرأ بضم، الضاد وتشديد الراء، (يضرركم)، وكسر الضاد وتخفيف الراء (يضرركم).

(١) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ، الناشر، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع د.ت، ٣/٣٩٥، وانظر الكشف، ١-٥٨٢.
(٢) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ص ١١٣-١١٧.
(٣) الحجة في القراءات السبع، للفارسي ٣٦/٢.

"فمن قرأ (لا يضركم) بضم الضاد وسكون الراء رد الفعل (يضركم) إلى: ضار، يضير، مثل باع يبيع، وهو مثل قوله تعالى في: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء ٢٦]"^(١).

وهذه القراءة موافقة للسياق النحوي، لأن جملة الفعل (يُضْرُكُمْ) بضم مع التشديد فيرى علماء المعاني في توجيهها - أن الفعل في قوله سبحانه (لَا يَضْرُكُمْ) مجزوم لكن لتثقيل الحاصل في حركة الفعل أدى إلى التحريك بالرفع، وعدوه من ضَرَّ يَضْرُّ لا من ضار يضير، لأن العرب تميل إلى (ضَرَّ) أكثر من (ضار) وهو كثير في القرآن الكريم كقوله سبحانه: ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [المائدة ٧٦] وقوله سبحانه: ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف ١٨٨]، ولما كان في القرآن كثيراً فلا يتصرف عن شيء كثير منه، ويرى آخرون أن الفعل مجزوم وضم لالتقاء ساكنين، ذلك لأنه يشبه المرفوع، والضم ثقيل، والذين أكدوا الجزم أضمرُوا له الفاء، وقيل الإضمار حاصل للاضطرار ورد أنه ليس في القرآن اضطرار"^(٢).

إذاً يتبين مما تقدم أن الآية يمكن أن تحمل توجيهاً آخر في الإعراب مبنياً على معنى يكاد يكون غير الذي ذهب إليه أغلب علماء المعاني والتأويل.

"فالآية الكريمة وما سبقها في الذكر الحكيم كانت في طلب الكف عن اتخاذ المشركين، والمنافقين من اليهود وغيرهم أخلاء كما كانوا عليه في الجاهلية، والنهي عن استمرار هذه المودة بما صدر عنهم من بغضاء ورجبتهم بوقوع المؤمنين في الشدة بإبعادهم عن دينهم وما خفي في صدورهم كان أعظم، وقد نبههم الله عن ذلك في قوله (ها أنتم أولاء) مقصود بها المنافقون) ولكن الله سبحانه أدخل الاطمئنان في قلوب المؤمنين بعد أن دعا على المنافقين بالموت الحاصل في غيظهم فلا ضير ولا ضرر مما يحصل فيهم من السوء الذي يقع عليهم لما أصابكم من خير أو الفرح مما حلّ فيكم من أذى ومكروه وهو أمر متوقع حصوله منهم فصبركم على ذلك وتقواكم ريبكم وامتناعكم عن معاصيه وامتثال أوامره خيركم لكم من خوفكم كيدهم؛ لأن كيدهم

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات القرآنية، عبد العباس، ص ١٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٩.

مكر ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [سورة فاطر ٤٣] وقد أكد سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران ١٢٠] (١).

ولذا فإن جواب الشرط في قوله سبحانه وتعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا) "محذوف، وتقديره إن تصبروا وتتقوا في كلام أحسن لكم لدلالة السياق وما سبقه في كلام اتضح الشرط، والجزاء حتى يكون التركيب الوارد في قوله: (لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ) متسعاً لجميع مكاييد المنافقين مهما تغيرت أشكالها وأزمانها وهو مما يكون في دلالة الجملة الفعلية وبه يكون رسوخ الإيمان في قلوب المؤمنين أشد وأقوى يصلب عود الصبر في نفوسهم، وحذف جواب الشرط في القرآن الكريم واردٌ حينما يكون السياق ملائماً كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس ١٩] أي أنن ذكرتم تطيرتم وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتِطْعَتَ أَنْ تَبْنِيَ فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَّمَا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي فإن استطعت فأفعل (٢).

فخلاصة القول في ذلك فإن (الضم والكسر) بالإضافة إلي التضعيف قد لعب دوراً مهماً في تنويع دلالة تلك الكلمة ولذا يبدو الرفع في (لا يضرركم) يوحي بالتحول من الجزاء إلى الشرط لتثبيت الإيمان عند المسلمين وتقويته إذ أن الله تعالى أدرى وأعلم بالمؤمنين في عبادة وهو سبحانه محيطٌ بكل شيء (٣).

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَجْحَشَةٍ فَعَلِمْنَ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ

(١) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب، د. عبدالعباس، ص ٢٠٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحق إبراهيم المعروف بالزجاج، تحقيق د. عبد الجليل، دار الحديث للنشر، القاهرة، ط ١٩٩٤م، ص ٢٣٢١.

(٣) التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، ص ٢٠٢.

أَلْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ [النساء: ١٩].

"قرأ حمزة، والكسائي وأبو بكر: (فإذا أحصن) بفتح الألف والصاد وقرأ الباقر: بضم الألف وفتح الصاد" (١)

ومن قرأ بالفتح في الألف وكسر الصاد أراد تزوجن جعلوهن مفعولات بإحصان أزواجهن:

وتأويله إذا أحصنهن أزواجهن ثم رد إلى ما لم يسم فاعله نظير قوله (الْمُحْصَنَاتُ) بمعنى أنهن مفعولات وقد اختلفوا في جلد الأمة على مذاهب، فذهب ابن عباس أنه لا تجلد الأمة إذا زنت حتى تتزوج وكان ابن مسعود يقول إذا أسلمت وزنت جلدت إن لم تتزوج.

والقراءة بالبناء للمفعول توجب الحد على المملوكة ذات الزوج دون الأيم في إجماع الجميع على وجوب الحد على المملوكة غير ذات الزوج.

وبهذا دليل على صحة من فتح الألف وأنهم لم يرفعوا الحد عن الأمة بالتزويج دون الإسلام وهم يريدون تهوين أمر الزنا بل يريدون إطلاق يد الإمام ليعاقبهما بما يردعهما، أما الحد فهو من خصائص المحصنات" (٢).

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تِلْثُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴿١٩﴾ [النساء ١٩]

"قرأ حمزة والكسائي (كرها) بالضم والباقر بفتحها" (٣).

(١) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ص ٧٦/٢.

(٢) التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، الدكتور الهادي نهر أستاذ اللغويات في جامعة جدار الدارسات العليا، عالم الكتب الحديث الأردن، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٦٣.

(٣) الحجة في القراءات السبع، للفارسي ٧٣/٢.

"فمن قرأ بالضم وهي المشقة وبالفتح الإجماع على الشيء؛ إذ أنّ تحريم ورثة النساء كرهاً، أو كرهاً فلا يحل إجبار الأرملة على نكاح من لا تريد ولا يحل إجبارها على ذلك بعد موت الزوج عنها ولو كان ذلك على شخص بعينه وهو مقتضى ما قرره اللغويون من الفرق بين الكره بالكسرة والكره بالضممة"^(١).

وسواء أكانت القراءة بالفتح أو الضم فإن الدلالة مختلفة لاختلاف الصوتين الفتحة والضممة ويبدو دور الدلالة الصوتي واضحة من خلال هاتين القراءتين في تنوع المعنى المراد من النص.

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿هَآأَنُتُمْ أَؤُلَآءَ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعِيْظَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران ١١٩]

"الهاء للتنبيه أي على أن المخاطبين مخطئون في اتخاذهم بطانة ولذلك ليس المراد من ها ذا أنا أو أفعل وها أنت ذا تفعل للتفريق بل المراد استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور من المتكلم أو المخاطب فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال والإشارة للتحقير فاستعملتها ها هنا للتوبيخ أي كأنه أراد بهم ازدراء لظهور خطئهم في اتخاذ ذلك"^(٢).

فالدلالة الصوتية هنا نجدها في كلمة (ها أنتم) حيث يشعر القارئ بنوع من التنبيه المشعر بالتحقير والتوبيخ وشناعة من يفعل ذلك إذ إن النبر في كلمة (ها أنتم) وهو نبر الكلمة حيث وقع عليها أكبر جهد من النطق المشعر بالإهانة والتحقير.

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ت ٢٤٤/٤.

(٢) المصدر السابق، ٢٤٤/٤.

تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿ [سورة النساء ٢٠-٢١].

قوله (أَتَأْخُذُونَهُ) نجد أن النبر واضح في "الهمزة أي الشيء الذي تأخذونه (بُهْتَنًا وَإِيمًا مُبِينًا) وهو استئناف مسبق بتقرير النهي والاستفهام الإنكاري والتوبيخ، وقوله (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ)" (١).

ف نجد نبرة قوية في كلمة (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) وهو ما سمي بنبر الجمل وهو إنكار بعد إنكار.

"قد بولغ فيه كما في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة ٢٨] وقيل تعجب منه سبحانه وتعالى أي أخذكم له أمر عجيب، إلا أن في قوله (تَأْخُذُونَهُ) مفيدة لتأكيد التنكير وتقدير الاستبعاد أي على أي حال أو في تأخذونه والحال قد وقع منكم ما وقع" (٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٤١] ففي هذه الآية الكريمة: "تهويل وتضخيم وهو مستفاد من الاستفهام أو الفعل المعدي كما قرر صاحب الدر المصون والجار متعلق بما بعده أي: كل قليل وكثير يجازى عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون وكيف يكون حالهم يوم القيامة إذا جاءوا" (٣).

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ٨٠]

قوله (أَيَأْمُرُكُمْ) نجد أن النبر في كلمة (يَأْمُرُكُمْ) واضح ذلك للاستفهام الإنكاري والواضح كما تنكر من شخص حكيم فعلاً لا ينبغي أن يقع فنقول له على سبيل

(١) روح المعاني الألويسي ٤/٤٣٢.

(٢) المصدر السابق، ٤/٤٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٧.

الإنكار والاستغراق (أفعلت هذا) "ما كان ليزيد أن أكرمه ثم يهينني ويستخف بي" والمعنى أن رسول الله ﷺ كان ينهي قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والسميح، فلما قالوا له أنتخذك رباً قيل لهم ما كان بشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة وينهاكم عن عبادة الملائكة" (١).

فالنبر هنا وقع على أدوات الاستفهام كيف والهمزة لحملهما معنى الإنكار واستبعاد الفعل والنهي عنه.

الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ٢٠]

قوله (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَمْتُمْ) ففي الآية الكريمة يتضمن الأمر أي هل انتم متبعون لي كما فعل المؤمنون، فإنه قد جاءكم من الآيات ما يوجبه ويقتضيه أم أنتم على كفرهم بآيات الله، وفي هذه الآية استفهام تقريرى وفي ضمنه الأمر المضمرة (٢).

اختلاف المقاطع الصوتية وأثرها على المعنى:

تختلف أنواع المقاطع من لغة لأخرى، أي لكل لغة مقاطعها الخاصة بها، والطريقة، لتي تستخدمها بها، فالمقاطع الصوتية تنقسم عموماً إلى قسمين:

١- المقاطع المفتوحة.

٢- المقاطع المغلقة.

أ- المقطع المفتوح: هو الذي ينتهي بحركة طويلة أو حركة قصيرة نحو (ر/س/م) في (رسم)، والمقطع الطويل في كلمة (لا) و (ما).

ب- المقطع المغلق وهو الذي ينتهي بحرف صامت أو حرفين والذي ينتهي بحرفين يسمى أحياناً مقطع مزدوج الإغلاق.

وانغلاق المقطع المديد المقفل بصامتين مثل (من) بالحرفين مثل (بنت).

(١) روح المعاني للألوسي، ٣٠٧/٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.

وعلى هذا فالمقاطع في اللغة العربية خمسة أقسام:

- ١- <صامت + حركة> نحو (قتل) (ق/ت/ل) ويسمى المقطع القصير المفتوح.
- ٢- <صامت حركة صامت> (من) (عن) ويسمى المقطع الطويل المغلق بحركة قصيرة.

٣- <صامت حركة صامت صامت> نحو (بنت)، شعب، في حالة الوقف يسمى المقطع المقفل بصامتين.

٤- <ص ح ح> نحو (في) (ما) ويسمى مقطعاً طويلاً مفتوحاً.

٥- <ص ح ح + ص> نحو (باب) يسمى مقطعاً طويلاً مديد مغفلاً بصامت.

٦- <ص ح ح + ص + ص> نحو (رادّ) ويسمى مقطعاً مديداً مغفلاً بصامتتين.

وقد أهل الدكتور إبراهيم أنس المقطع السادس لندرته فذكر خمسة مقاطع وهي الشائعة في اللغة العربية^(١).

أهمية دراسة المقطع:

"يتضح مما سبق أن لدراسة نظام المقاطع فائدة كبيرة في معرفة الصيغ الجائزة والصيغ غير لجائزة في اللغة العربية المدروسة ففي اللغة العربية تعيننا على معرفة نسج الكلمة العربية ونسيج ما ليس بعربي من الكلمات كما تعيننا دراسة المقاطع الصوتية على موسيقى الشعر وموازينه".

وقد اختلف اللغويون في أهمية المقطع فبعضهم صرح بأنه لا أهمية له مثل (sweet) الذي قال: (إن القسم الوحيد الذي يتحقق في الكلام عملياً هو المجموعات النفسية التي تعود إلى الضرورة العضوية للنفس"، وعده بعض اللغويين غربياً على التحليل اللغوي لكن الدراسة التجريبية للعملية الكلامية أثبتت أنّ الصدر لا يواصل صنفاً ثابتاً خلال المجموعة النفسية وأن عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع^(٢).

(١) ص = صامت، ح = حركة، ح ح حركة طويلة، انظر الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس، ص ١٦٣.

(٢) علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢٠٠٧م، ص ١٧٤.

خصائص المقطع العربي:

١- تميل اللغة العربية بطبيعتها إلى المقاطع الساكنة التي تنتهي بصوت ساكن ويقل فيها توالي المقاطع المتحركة.

٢- من خصائص المقطع العربي أنه يجب أن يبدأ بصامت وينتهي بحركة أي أن المقطع العربية لا يبدأ إلا بحركة مهما يكون موقعه من الكلمة.

كما أن اللغة العربية شديدة الفرار من تجاوز صوتين صامتين، ذلك ما نجده في فعل الأمر حيث اجتلبت له همزة وصل لتمكنه من النطق بالساكن".

كما نجد أن الفرد العربي أضاف همزة الوصل للكلمات الأعجمية حين ينطق بها فقال (افرنج) (اسطيل) (اسطول) (١). ولأهمية هذه المقاطع ودورها في نسج

الكلمة العربية أراد الباحث أن يأخذ نماذج من المقاطع الصوتية ذلك من خلال القراءات المختلفة، فمثلاً قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ

رِيثِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾ [آل عمران ١٤٦] فنجد هناك قراءتين مختلفتين لفظاً ومعنى وذلك بسبب اختلاف

المقاطع الصوتية فيظهر من خلال هذه الكلمة دور المقطع الصوتي الذي هو يكاد يكون بمثابة الميزان في النظام النطقي، لكلمة (قتل).

ففي هذه الآية الكريمة نجد أنه يختلف معناها باختلاف المقطع الصوتي. "فقد قرأ نافع وابن كثير والبصريان بضم القاف وكسر التاء من غير ألف (٢)

وهو مقطع قصير مفتوح (ق/ت/ل) ح ص ح + ص ح + ص ح، وقد قرأ الباقر بالألف (قاتل)".

وهو مقطع طويل مفتوح (قا/ ت ل) = ح ص ح + ص ح ص <.

فقد اختلف النص القرآني بسبب هذين المقطعين اختلافاً بيناً.

فمن قرأ بالمقطع القصير (قتل)

(١) علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، ص ١٧٥.

(٢) الروايات الأربع السائد في العالم الإسلامي / د/ الأمين محمد احمد، ص ١٨٦.

"وهو أسند الفعل إلى النبي ﷺ دون الربيين وبدل عليه قوله تعالى: ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ﴾... ومن قرأ بالمقطع الطويل (قاتل) تحتل وجهين:

١- إسناد الفعل للنبي ﷺ وجملة معه ربييون، مبتدأ وخبر صفة (نبي).

٢- إسناد الفعل للربيين وجملة (قاتل معه ربييون) صفة (نبي).

ففي هذا الوجه أن (ربيين) مرفوع (قتل) على المفعول الذي لم يسمى فاعله وعلى الوجه الأول مرفوع بالابتداء (ومعه) خبر مرفوع والجملة في الوجهين صفة للنبي " فقد بدأ دور المقطع جلياً في هذه الآية الكريمة من خلال المقطعين السابقين.

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتُوهُمْ نَصِيحُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣﴾ [النساء ٣٣]

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (عقدت) بألف وقرأ حمزة وعاصم والكسائي (عقدت)^(١).

نجد الاختلاف الدلالي بين المقطعين القصير والطويل واضحاً.

فمن قرأ بحذف الألف (عقدت) /ع/ق/دت = حص ح + ص ح + ص ح ص. فعلى هذه القراءة (إنه أضاف الفعل إلى الإيمان، أن المراد إضافة الفعل إلى المخاطبين المتحالفين دون من خالفهم وفيه حذف مفعول، والتقدير والذين عقدت إيمانكم حلفهم ثم حذف محمول على لفظ الإيمان فأسند الفعل إليهما دون أصحاب الإيمان فلما أسند الفعل إلى الإيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة؛ لأن يمين القوم الآخرون لا فعل لها فهذه القراءة محمولة على أصحاب الإيمان وهم فريقان كل واحد حالف محلوف فحمل على الفاعلة وهو باب المعاقدة بالإيمان، وقرأ الباقر بثبوت ألف (عقدت) أي بالمقطع الطويل (عاق/د/ت) = حص ح + ص ح + ص ح < جعلوه من المعاقدة وهي المحالفة في الجاهلية أي: أنه يواليه ويرثه ويقوم بثأره ويقوم بالوفاء لهم، فحسنت الألف هنا لأنها تجيء في بناء الاثنيين،

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٨٦.

وهي الأقوى، ولأن المقصود بالآية أصحاب الإيمان لأن لا فعل ينسب إليهما حقيقة فبابه المفاعلة وهو عليه أكثر القراء^(١).

والآية الرابعة عشر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء ١٢٨]

اختلف في ضم الياء وفتحها والتشديد من قوله جل وعز (أن يصلحا) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (يصلحا) بفتح الياء والتشديد وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يصلحا بضم الياء والتخفيف^(٢).

"فمن قرأ يصلحا بضم الياء (يصلحا) وكسر اللام وذلك على المقطع القصير المفتوح (يص/ل/ح) = <ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح> أي "على جعل الفعل مستقبل (أصلح، لأن الإصلاح في الصلح بين المتنازعين مستعمل كقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوبِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ١١٤]، وإتيان الصلح بعده ب، (يصلحا) نصب المفعول كما تقول (صلحت ثوباً) ويجوز أن تنصب على مصدر فعل مضمّر على تقرير (أن يصلحا)".

وعلى القراءة بفتح(الياء)(والصاد) مشددة وإثبات الألف تلاوة وفتح اللام^(٣). أي على المقطع الطويل أن (يصالحا) <ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح>. أي على جعل الفعل من اثنين من زوج وزوجة هما مذكوران في أول الكلام أتى الفعل من باب المفاعلة التي تثبت الاثنين فجاء على (تصالح الرجلان يتصالحا) وهو معروف في كلام العرب التصالح عند التنازع^(٤).

(١) الحجة في القراءات السبع، للفارسي، تحقيق: عبدالحليم بخار، د.ت. ٨٠/٢.

(٢) المرجع السابق ٨٥/٢.

(٣) إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، ص ٣١٦.

(٤) المرجع السابق ص ٣١٦.

الفصل الثاني

الدلالة الصرفية

المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته.

المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

المبحث الأول

الدلالة الصرفية: (Morphological- Semanticist)

التعريف بعلم الصرف وأهميته:

"الصرف، معناه التغير، والتغلب، والتحويل من جهة إلى أخرى، وفي الاصطلاح ما يلحق بنية الكلمة وجوهرها لمعرفة ما فيها من تغيرات عارضة طلباً لتكثير الألفاظ، ومن ثم تكثير الدلالات، وفقاً للتغيرات التي طرأت على اللفظ، وفي بعض الحالات يكون التغيير لا صلة له بالمعنى كما هو الحال في مسائل الحذف والإبدال والقلب والنقل والإعلال والإدغام وغير ذلك مما لا يتصل بضرب من ضروب المعاني"^(١).

إذاً "علم الصرف (Morphology) هو العلم الذي تُعرف به الأبنية المختلفة للكلام، ويشتمل منه كأبواب الفعل وتصريفه، وتصريف الاسم، وأصل بناء الفعل أو المصدر محل خلاف المصادر بأنواعها اسم الفاعل، واسم المفعول الصفة المشبهة وأفعال التفضيل اسمي الزمان والمكان واسم الآلة، والتصغير والنسب.. الخ"^(٢).

والنظام الصرفي في اللغة العربية الفصحى يبني على ثلاث دعائم هامة:

١- مجموعة من المعاني الصرفية التي ترجع بعضها إلى تقسيم الكلم، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

٢- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أو أدوات، قد يدل على المبني دلالة عدمية بالحذف، أو الإسناد، حيث تغني، القرينة في الحالتين عن الذكر.

٣- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني، وظائفه، أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

(١) علم الدلالة. د. هادي نهر، ص ٥٥.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ٦١.

"وعلم الصرف هو العلم الذي يبحث في طرق بناء الكلمة وما يطرأ على هذا البناء من تغيرات لفظية ويبرز هذا التعريف المجالات التي يتناولها علم الصرف بالبحث والدراسة كما يبرز أهم خصائص هذا العلم وحاجة اللغة إليه فهو العلم الذي يكشف عن الطرق التي تنمي اللغة وتزودها بالمباني التي يندرج تحتها ما لا حصر له من الكلمات وهو يكشف عن الجانب الإبداعي الخلاق في اللغة"^(١).

ولذلك فإن لكل بناء من تلك الأبنية التي أشرنا إليها، دلالة في المعنى، إلى جانب وظيفته التركيبية، وتحديد شكل البنية التي يقوم عليها المعنى المراد، فالمتكلم هو الذي يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية، بزيادة أو نقصان، أو نقل من زمان إلى زمان"^(٢). أو تحويل في الصيغ الصرفية.

نجدهم مثلاً يتصرفون من "مفعول إلى فاعل والعدول من صيغة الماضي إلى الاستقبال. ووضع اسم الفاعل مقام المصدر قم قائماً أي قياماً وغير ذلك من الأمثلة".

لذلك فإن هناك نوعاً من الدلالة كما ذكرنا يستمد عن طريق الصيغ الصرفية وأبنيتها المختلفة، وأن أي تحول في الصيغة الصرفية يؤدي حتماً إلى تغير في المحتوى الدلالي من خلال الإضافة الصوتية أو الحذف الذي يحل على تركيب الصيغة الصوتية، وهذا أمر ملموس بوضوح في أبنية الألفاظ.

"وقد تكون هذه الوحدة الصرفية جزءاً من كلمة قائمة بذاتها، وهو ما أطلق

عليها (قندوس) (دوال الماهية) وسماها ابن جني (الدلالة الصناعية)"

وسماها الغربيون المورفيم (Morpheme)^(٣).

ويقول عبدالقادر: "الصرف مورفيمات لها أسماء خاصة كالطلب، والصيرورة،

والمطاوعة والتعدي واللزوم، والافتعال، والتكسير، والتصغير، والوقف وكذلك ما

يتعلق بالأفعال وارتباطها بالأزمنة"^(٤).

(١) علم اللسانيات الحديث، د. عبد القادر، ص ١٥١.

(٢) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ٦١.

فكلمة مثل (الضرب) تتصرف إلى وجوه مختلفة فيبنى للماضي منه ضرب وللحاضر (يضرب) والمستقبل سيضرب والأمر أضرب والنهي منه لا تضرب والفاعل ضارب للمفعول مضروب للموضع المضرب وللوقت المضرب للآلة المضرب وتكثير ضُرب... الخ.

(٣) المدخل إلى علم اللغة رمضان عبدالقادر، الناشر مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٧هـ=١٩٩٧، ص ١٧٩.

(٤) علم اللسانيات الحديث د. عبدالقادر، ص ٢٦.

أهمية علم الصرف:

"علم الصرف هو الفرع من علم اللغة الذي يدرس تركيب المفردات اللغوية، وكيفية بنائها، وأنواعها المختلفة، لذلك هو يختلف من علم النحو الذي يبحث في بناء الجملة وأنواعها ووظائف مفرداتها.

"هو العلم الذي يبين لنا أن كلمة (حصان) (اسم) وكلمة (يركض) (فعل) وكلمت (في) (حرف).

ودراستنا لعلم الصرف هي الذي يدلنا على المفردات وجذورها ومشتقاها ولذلك نرى أن المورفيمات الصرفية كل ما أضيفت إلى بنية الكلمة أعطت دلالة غير التي قبلها فمثلاً: زيادة مورفيم (الألف) على الصيغة الصرفية نفسها فإنها تصبح (فاعلاً) وفي هذه دلالة جديدة أكسبها صوت الألف الصائت الطويل إلى الصيغة التي تدل على المشاركة في الفعل بين اثنين أو أكثر وليس من فعل واحد.

وأما إضافة المورفيم المقيد بدلالة التضعيف (فَعَّل) فإنه يكسب الصيغة الدلالة على التكثر وقد تكون دلالة إيجاب أو دلالة سلب (مَرَضْتُ) الرجل مورفيم مقيد للسلب حمل لدلالة على السلبية وفي حين تضعيف مورفيمين مقيدتين (تفعل) فإنهما يحملان دلالة التكثر المبالغ فيه^(١).

والنظام الصرفي في اللغة مكون من ثلاثة دعائم:

١/ يرجع القسم الأول إلى مجموعة المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى التقسيم كالاسمية والفعلية والحرفية.

٢/ يرجع القسم الثاني إلى التعريف، كالأفراد وفروعه والتذكير وفروعه، والتأنيث والجمع والتعريف والتتكير.

٣/ يرجع القسم الثالث إلى المقولات الصياغية الصرفية، كالطلب، المطاوعة، المبالغة، وغير ذلك من أنواع الصيغ الصرفية^(٢).

(١) علم اللسانيات الحديث، د. عبدالقادر، ص ٥٢٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ١٤٦.

إذن يتضح لنا من خلال ما ذكرنا أن الصرف له أثر قوي في تغيير المفردات وصياغة المفردات داخل الجملة مع تغيير في المعنى الدلالي بالإضافة إلى تغيير البنية للكلمة، ونجد ذلك الأثر واضحاً في الأمثلة الآتية من القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سورة سبأ: ١٩] فقرأ (ربُّنا) بالنصب على أنه منادى مضاف (وباعد) بصيغة الأمر وقرأ (ربُّنا) بالرفع و(باعد) بالفتح العين على أنه (فعل) ماضٍ وقرأ (بعَد) بفتح العين مشددة مع رفع ربنا أيضاً^(١).

(كل هذا يدل على أهمية الصيغ الصرفية وأثرها في تغيير المعنى وذلك من خلال الصناعة التي تطرأ على بنية الكلمة، ومن خلال هذه الآية الكريمة يمكن أن نقول ثمة علاقة وثيقة بين علم النحو والصرف.

'فكل جملة لا يتماشي نحوها مع صرفها، تصبح غير صحيحة؛ إلا أن الآثار اللغوية القديمة التي تناولت القضايا منتهجة في دراستها تكامل هذين العاملين، واعتماد بعضهما على بعض، وإنما استفاضت في معالجة القضايا الصرفية الجزئية التي تركز على الكلمات بوصفها ألفاظاً منزولة في التركيب، بغض النظر عن القواعد التي يمكن أن تستخلص منها لخدمة البحث في التركيب.

فالظواهر الصرفية التي يستفيد منها علم النحو في دراسته فهي تتمثل في

الآتي:

- ١- ما تؤديه المورفيمات^(٢) من وظائف نحوية عامة كانت أو خاصة.
 - ٢- الضوابط الصرفية التي تعد ملامح أساسية لعدد من الوظائف النحوية.
 - ٣- دور البنية الصرفية في الإعراب.
 - ٤- دور البنية الصرفية في التقديم والتأخير.
- ما تؤديه المورفيمات من وظائف صرفية ونحوية أخرى، فالمورفيمات الدالة على الأحداث مثلاً: (المورفيمات الفعلية تشترك في أداء الوظيفة النحوية العامة:

(١) الحجة للقراءات السبعة، للفارسي، ٧٠/٢.

(٢) مقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل، عالم الكتب الحديث، ط، ٢٠٠٦م، ص ٩٩.

وهي الإسناد إلى الغائب، وهو هنا يتكون من مورفيمين أحدهما يتمثل في الفعل (كتب) والثاني صوري يتمثل في الضمير هو".

"وهذه تسمى الوحدات الصرفية وهي تنقسم إلى قسمين:

١- وحدات صرفية حرة Free morphemes.

٢- وحدات صرفية مقيدة Bound morphemes.

والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة، يمكن أن توجد مستقلة أي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التي لا توجد إلا مرتبطة مثل (مصريون) لها وحدات صرفية حرة (مصر) وأخرى مقيدة مكونة من الكسرة والياء المشددة ولها وظيفة صرفية، تكوّن صيغة النسب.

أنواع المورفييمات هي: أما مورفيم جزر وإما زائد، والزوائد بالطبع مورفييمات حرة، والجزر هو المورفيم الأساسي في الكلمة وهو النواة التي تتركز حولها المورفييمات الأخرى ومن هنا يبرز دور الصرف وأهميته داخل النص اللغوي، وفي تحديد الإعراب كما ذكرنا ويعتمد دور البنية الصرفية في تحديد الإعراب على الشروط الصرفية للوظيفة النحوية المعينة، وهذه الشروط تعد بمثابة المعيار الذي يلتفت إليه في كثير من الأحيان، وذلك مع وجود المعايير الأخرى، بل قد يكون في بعض الأحيان المعيار الوحيد الذي يعول عليه في الإعراب.

فمثلاً: المصدر يقوم بوظيفة المفعول المطلق، والمفعول لأجله والاسم المشتق يرتبط بوظيفة الحال والنعته، بينما يصير بالجامد عن عطف البيان والبدل^(١).

وقد أشار ابن هشام الأنصاري إلى أن البنية الصرفية يمكن أن تلعب دوراً هاماً في تحديد وظيفتها النحوية، وذلك بعد النظر إلى موقعها وإلى السياق الذي وردت فيه، فهو يستدل في ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ البقرة ٢٤٩

(١) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية، إبراهيم النجار، دار الكتب العلمية، د.ت، ص ١٧٣.

فهو يقول: (إن فتحت (العين) فمفعول مطلق، وإن ضُمت فمفعول به ومثلها حسوةٌ حسودةٌ" (١).

عليه يمكن القول: بأن البنية الصرفية للكلمة من الملاحظ الدقيقة التي يمكن الاستعانة بها في تحديد ووظيفتها النحوية في التركيب أو في ترجيح وظيفة نحوية على أخرى (٢).

"ولذلك فإن التحويل في الصيغ الصرفية عند القدماء بل عند القراء دليل على منهجية التحويل في الإعراب وتوجيهه، وسبب في تحويل المعنى بحسب التحويل في الصيغ الصرفية، بل إن النحاة العرب أنفسهم قد قدموا لدراسة النحو بيان صرفي هو (اللام وما يتألف منه) فإن صنيعهم هذا يشير إلى أن النحو لا يفتو يستخدم معطيات الصوت والصرف المختلفة في عرضه الأغلب الأعم من تحليلاته، وفي الرمز والعلاقة وأبوابه، حتى إننا لنجد القرائن اللفظية والدلالية على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها عناصر تحليلية مستخدمة من الصوتيات والصرف من ذلك مثلاً.

اشتراط صيغة صرفية (ما) لتكن مبني لباب نحو (ما) أي قرينة لفظية على ذلك الباب كاشتراط المصدر للمفعول المطلق والمفعول لأجله وكالقول بالجمود للتمييز والاشتقاق للحال والنعت وكاطراد صيغة المبني للمفعول في الإسناد إلى نائب الفاعل وهلم جزاً، ومن هذا القبيل أيضاً التعبير عن الأسانيد المختلفة بالإلصاق والضمائر المتصلة بالأفعال ثم ما يتصل بذلك من إجراءات صوتية كالتحريك أو الإسكان أو النقل أو غير ذلك، كما قسم الكلام إلى ثلاثة أقسام يقول بن مالك:

(اسم وفعل ثم حرف الكلم)

ثم حاولوا راشدين عند إنشاء هذا التقسيم أن يبنوه على مراعاة اعتبار الشكل والوظيفة أو بعبارة أخرى المبني والمعنى؛ إذ ينشئون على هذين الأساسين قيماً

(١) انظر: (باب ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك، محمد علي، ط ٢٠٠٥م. ص ٥٥٨.

(٢) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية، إبراهيم النجار، ص ١٧٤.

خلافية يفرقوا بها بين كل قسم وقسم آخر من الكلم كما يفعل اللغويون المحدثون في يومنا هذا.

ويتضح دور المبنى والمعنى في التقسيم الآتي للكلام من قول ابن مالك:
بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ وَالتَّوْدَاعِ وَأَلْ * وَمَسْنَدٌ لِلْأَسْمِ تَمْيِيزُ حَصْلُ
بِتَا فَعَلْتَ أَتَتْ وَيَا أَفْعَلِي * وَنُونٌ أَقْبَلْنَ فَعَلٌ يَنْجَلِي
سَوَاهُمَا الْحَرْفُ كَهَلٌ وَفِي لَمْ * —

هذا يُبين لنا بعض العلامات التي تميز الأقسام الثلاثة، الاسم، والحرف، والفعل، كما يتضح أيضا في قول النحاة الآخرين " الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن، والحرف ما ليس كذلك"

ومن المعلوم أن المباني الصرفية تعبر عن المعاني الصرفية الوظيفية التي أشرنا إليها وأن هذه المباني تقسمها أبواب تدرج تحتها علامات تتحقق المعاني بواسطتها، وسنضرب لذلك أمثلة تتضح بها الصلة بين العلامات والمعاني النطقية كما يأتي في هذا الجدول^(١):

المعنى	المبنى	العلامة
الاسمية	صفة الاسم	زيد (مثلاً)
الفعلية	صيغة الفعل (فعل يفعل أفعل)	ضرب يضرب اضرب (مثلاً)
الإضمار	الضمير على إطلاقه هو أوهي (مثلاً)	هو أو هي بخصوصها (مثلاً)
التعريف	المعرفة على إطلاقها	ال (كتاب)
التأنيث	التاء للمؤنث	فاطمة
التثنية	الألف والنون (للمثنى)	الزيد (ان)

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ١٥٤.

"وقد أشار بكري محمد الحاج^(١) إلى دور الصيغ الصرفية وأثرها على المعنى تحت ما يعرف بدور الصيغ الصرفية في التغير الدلالي، فقد تناول دور مورفيمات المضارعة في الإشارة إلى المعنى الكامن في الأبنية الباطنية، والدلالية على بعض العناصر المؤلفة للجملة، وعلى وجه الخصوص تحديد الفاعل وبيان الطبقة اللغوية التي ينتمي إليها من حيث النوع (مذكر أو مؤنثة (مفرد أو مثنى أو جمع) ومن حيث الشخص (متكلم أو مخاطب أو غائب)"^(٢) وغير ذلك من الأمثلة. وذلك إشارة إلى المعاني الكامنة في الأبنية الصرفية للجملة والإسهام في التفسير الدلالي للجملة، ساندها في ذلك الحركات الإعرابية.

(١) هو الدكتور بكري محمد الحاج أستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية وعميد كلية اللغة العربية، أم درمان السودان.

(٢) أثر عناصر البناء الظاهري للجملة في التفسير الدلالي - الناشر دار جامعة أم درمان الإسلامية للطباعة والنشر - ط ١٩٩٦ - ص ١٢٦.

المبحث الثاني

أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني

ذكرنا آنفاً أن هناك نوعاً من الدلالة تعرف من خلال الصيغ الصرفية المختلفة، ولهذا فإن أي تحول في الميزان الصرفي كما يقول الصرفيون يؤدي حتماً إلى تغيير في دلالة الكلمة التي حصل فيها التغيير من زيادة أو حذف أو تضعيف أو غير من ذلك من أنواع المشتقات الصرفية، ومن خلال هذه التغيرات التي تطرأ على الكلمة رأى الباحث أن يأخذ نماذج من الآيات حتى تتضح له الرؤية أكثر في هذا العنصر المهم من عناصر اللغة العربية التي تعرف بأنها من اللغات المتصرفية.

الآية الأولى، قوله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

"فمن قرأ (كفلها) بتشديد (الفاء) على أنه فعل ماضٍ مضعف (العين) والفاعل ضمير يعود على الله تعالى و (الهاء) لـ (مريم) مفعول ثانٍ مقدم و (زكريا) مفعول لله تعالى وكذلك من قوله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ خَيْرٍ ﴾ فأخبر عن نفسه تعالى بما فعل بها، وكذلك يجري (كفلها) على ذلك يخبر بأنه كفلها زكريا أي ألزمه كفالتها، وقدّر ذلك عليه ويسره له؛ وبذلك يكون (زكريا) مفعول الثاني (لكفلها) لأنه بالتشديد يتعدى إلى مفعولين، ويقوى التشديد أن في الصحف أبي و (أكفلها) بهمزة الهمزة كالتشديد في التعدي.

وأما حجة من خفف؛ أنه اسند الفعل إلى (زكريا) أي أخبر الله تعالى عنه أنه هو الذي تولي كفالتها، والقيام بها، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ فأخبر الحق عنهم أنهم تنازعو في كفالتها وتشاجروا في الدين حتى رموا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، واستهموا بها على كفالة مريم فخرج قلم زكريا بإذن الله تعالى وقدرته فكفلها زكريا، فالفعل مسند إليه فيجب تخفيف (كفلها) وهو

الاختيار؛ لأن التشديد يرجع إلى التخفيف، لأن الله تعالى إذا كفلها زكريا بأمر الله تعالى وله لأن زكريا كفلها بمشيئة الله وقدرته وإرادته^(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران ٧٩]

"اختلف في فتح التاء واللام، والتخصيص فيهما، والتشديد في قوله جل وعز: (تعلمون الكتاب) فقرأ بن كثير ونافع وعمر (تعلمون) بسكون العين ونصب اللام، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي (تعلمون) مثقلة"^(٢).

"فعلى قراءة عاصم ومن معه بضم التاء وتشديد (اللام) من (التعليم)؛ لأن التعليم إنما هو من العلم؛ لأن كل معلم عالم بما يُعلم، وليس كل عالم بشي معلماً له، فالتشديد يدل على العلم والتعليم وهو أشمل وأعم، وقرأ بالتخفيف ابن كثير ونافع وأبو عمرو.

وحجة من قرأ بالتخفيف مع فتح اللام وهو من العلم فالتعلم أبلغ وأمدح كما أن حجة من خفف حملة على ما بعد من قوله تعالى: ﴿تَدْرُسُونَ﴾، مخففاً ولم يقل (تدرسون)، وكل من درس علم وليس كل من درس علم فحمل الفعلين على معنى واحد أليق وأحسن في المطابقة المجانسة"^(٣). إذاً من خلال القراءتين للآيتين السابقتين يتجلى دور الصيغ الصرفية وأثرها على دلالة الكلمة من خلال التضعيف الذي في كلمتي (كفلها، وتعلمون)

(١) الحجة في القراءات السبع، ص ٢٩.

(٢) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ١٩/٢.

(٣) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص ١٦٩-١٧١.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ [آل عمران الآية ٨٣]. "اختلفوا في الياء والتاء من قوله تعالى: (تبغون، ويرجعون)" فقرأ أبو عمرو وحده (بيغون، ويرجعون) بالياء، وقرأ الباقر (بيغون، وترجعون).^(١)

"قمن قرأ بياء الغيب في (بيغون)؛ وحجة من قرأ بالياء على أنه جعله إخباراً عن غيب لا لأنهم لم يكونوا بالحضرة، وأيضاً فإن قبله ذكر بالغيب في قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٨٢].

وقرأ الباقر بالتاء على أن إجراء الخطاب لهم أي أمر الله نبيه أن يقول لهم: (أفغير دين الله تبغون) أيها الكافرون وإليه ترجعون، لأنهم كانوا ينكرون البعث وينتحلون غير دين الله فخطبوا بذلك على لسان النبي ﷺ ويؤكد القراءة بالتاء في (ترجعون) قوله تعالى (مرجعكم) فالتاء كالكاف في الخطاب"^(٢).

الآية الرابعة: وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥] "اختلفوا في فتح الواو وكسره في قوله عز وجل (مسومين) فقرأ ابن كثير وعمرو وعاصم (مسومين) بكسر الواو وقرأ الباقر (مسومين بفتح الواو)"^(٣).

" فعلى قراءة ابن كثير وعاصم وابن عمر "قالمعنى الدلالي على وجهين: احدهما أن يكون المعنى ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ معلمين، وفي الحديث عن النبي ﷺ يوم بدر لأصحابه (سوموا فإن الملائكة قد سومت)"^(٤).

والمعنى الآخر أن يكون المعنى من (سومت الخيل) إذا أرسلتها فيكون المعنى (مرسلين خيلهم).

(١) الحجة في القراءات السبعة للفارسي - ٢٩/٢.

(٢) المصدر السابق، ٣٧/٢.

(٣) المصدر السابق، ٤١/٢.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٣١/٢.

وعلى قراءة (مسومين) بفتح الواو أيضا على وجهين: أحدهما أن يكون معناه (معلمين) بعلامة يعرفون بها ويقوى هذا المعنى ما قبله (منزليين) فهو اسم مفعول؛ لذلك يجب أن يكون (مسومين) اسم مفعول، والعرب تمدح الفارس في الحرب بمسوم كما قال عنتره:

وَمُسَوْمٌ كَرِهَ الْكُمَاءَ نَزَالَهُ * لَا مُمَعِنٌ ^(١) هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمٌ ^(٢)

الوجه الثاني: على أنه اسم مفعول مرسلين ^(٣).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيَّوْنَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران ١٤٧].
"اختلفوا في ضم القاف وفتحها وإدخال الألف، وإسقاطها من قوله تعالى: (قتل معه)، فقرأ ابن كثير وابن عمرو ونافع (قُتِل) بضم القاف من غير ألف، وقرأ الباقر (قاتل) بألف" ^(٤).

" فقد قرأ الجمهور بالألف من (قتال) وعلى هذه الوجه يكون قد اسند فعل (القتال) إلى النبي ﷺ ويكون ﴿ مَعَهُ رِيَّوْنَ ﴾ (مبتدأ وخبر) ورفع (رييون) بالظرف والجملة صفة للنبي ﷺ في الموضعين".

ويجوز أن تكون الجملة في موضع حال من الضمير في (قاتل) و(الهاء) في (معه) تعود على (نبي) ودل المعنى على أن (رييين)، قاتلوا أيضاً مع قتال النبي ﷺ وحسن ذلك لما جاء في الأثر (ما قتل نبي قط في قتال)، وكان إضافة القتال إليه أولى من إضافة القتل إليه ^(٥).

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص ١٧٩.

(٢) البيت لعنتره بن شداد في معلقته المشهورة، انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، ط ١٩٦٣م، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٤٥.

(٣) شرح الهداية للإمام أبي العباس محمد بن عمار الهروي تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، دار عمار للنشر والتوزيع، ص ٤٢٠.

(٤) المصدر السابق، ٤١/٢.

(٥) الحجة في القراءات السبعة للفارسي-٤١/٢.

المعنى الثاني: على أن يكون فعلاً وما بعده صفة النبي ﷺ، والفعل مسند إلى النبي بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾، فأخبر أن النبي قد يقتل وقوله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [البقرة 61]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ [البقرة 91] (١).

وهذا فيمن قتل النبي في غيره قتال، سياق الكلام في قوله تعالى: ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران ١٤٧]، وهذا كله يدل على أن القتل والقتال كان في الحرب في سبيل الله.

والوجه الثاني أن قتل وما بعده صفة أيضاً للنبي ﷺ والفعل مسند إلى (ربيون) فهو في هذا الوجه مرفوع ب(قتل) على المفعول الذي لم يسم فاعله وعلى الوجه الأول مرفوع بالابتداء و(معه) خبراً مرفوعان بالظرف، والجملة في الوجهين صفة (للنبي) وهذا الوجه كما ذكرنا يقوي قولهم: (ما قتل نبي في قتال قط) ويجوز الوجه الأول أن يكون (مع ربيون) في موضع الحال من الضمير في قتل ويعود إذا كان (معه ربيون) صفة للنبي ﷺ (٢). الأثر الصرفي نجده يظهر من خلال الصيغتين المختلفتين لكلمة (قتل وقاتل) ونجد هنالك اختلافاً بيناً في المعنى والإعراب.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ وَ مَن يُغَلَّلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٦١]. "اختلف في فتح الياء وضم الغين وضم الياء والغين من قوله عز وجل: (يغل) فقرأ ابن كثير وابن عمرو وعاصم ب(يغل) وقرأ الباقر (يغل) بضم الياء وفتح الغين" (٣).

(١) الروايات الأربع، د. الأمين محمد أحمد ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٣) الحجة للفارسي ٤٨/٢.

"فعلى قراءة من ضم الياء وفتح الغين دلالة ذلك على أنه حمل المعنى على النفي عن أصحاب رسول الله ﷺ، أن يخونوه في الغنائم وفيه معنى النهي عن فعل ذلك، هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ فدل على أنه كان في القوم غلول تنزيها للنبي ﷺ، وتعظيماً له أن يكون أحد من أمته نسب إليه الغلول^(١) بل هم المخطئون والمذنبون فالمعنى (ما كان لنبي أن يخان في الغنائم).
 وقرأ الباقون بفتح (الياء) وضم (الغين) (يَغْلُ) ^(٢)؛ أنه نفي الغلول، عن النبي ﷺ، وأضاف الفعل إليه ونفاه عنه أن يفعله، وقد ثبت أن الغلول وقع من غيري، فلا يحسن أن نفي الغلول عنه وهي خيانة في الغنائم - وقيل إن المنافقين اتهموا النبي ﷺ في شيء فُقد، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلَ ﴾ أي يخون أمته في الغنائم فنفي عنه الغلول فهو أخذ الشيء خفية" ^(٣).

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَاكَرٍ ﴾ [سورة النساء الآية ١٢]. "اختلفوا في كسر الصاد وفتحها في قوله عز وجل: (يوصي بها) فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (يوصي) بفتح الصاد وقرأ حفص وعاصم بكسر الصاد"^(٤).

"فمن قرأ بفتح (الصاد) في (يوصي) وحجته في ذلك، أنه لما كان هذا الحكم ليس يراد به واحد بعينه، وإنما هو شائع في جميع الخلق أجراه على ما لم يسم فاعله فأخبر عن غير معين.

(١) الروايات الأربع، الأمين محمد أحمد، ص ١٧٨.

(٢) الغل الأخذ من الغنائم خفية، وهو خيانة قال جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية يوم بدر قال كان أناس غلوا فنزلت فيهم فلم يخونوا العدو. غل غلواً وأغل إذا سرق من الغنيمة وأغل الجازر أي سرق من اللحم في الجلد، انظر: الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، ص ١٨٧.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٨٩.

(٤) الحجة للفارسي، ٧١/٢.

وعلى قراءة من كسر (الصاد) (يوصي) حجته، أنه لما تقدم ذكر الميت والمفروض في تركته أضاف الفعل إليه لأنه هو الموصي، كأنه قيل (من بعد وصية يوصي بها الميت ففيه تخصص للمذكور الميت) " (١).

بهذا الاختلاف في البناء الصرفي أدى بدوره إلى تغيير في المعنى بين نسبة الغلول إلى الرسول ﷺ والصحابة وما كان نتاج ذلك إلا بسبب الصيغ الصرفية والميزان الصرفي بين الفعل غُلّ، وعَلّ.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِمٌ ﴾ [سورة النساء الآية ١٤]. "اختلفوا في الياء والنون من قوله عز وجل (يدخله) فقرأ ابن عامر ونافع (ندخله جنات) بالنونين في الحرفين جميعاً وقرأ الباقون بالياء فيهما" (٢).

"فعلى القراءة الأولى (ندخله)، فحجة ذلك على أنه أخرج الكلام على الإخبار من الله عز وجل ذكره نفسه بعد لفظ الغيبة، وهذا مستعمل كثيراً في القرآن ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت ٢٣] فرجع الكلام إلى الإخبار من الله عن نفسه، وكذلك قوله ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٥٠] فأتى الكلام على لفظ الغيبة ثم قال ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ فرجع الكلام إلى الإخبار من الله تعالى عن نفسه.

وعلى القراءة بـ(بالياء) حجة ذلك على أنه رد آخر الكلام على أوله فلما أتى أوله بلفظ الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وقوله ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ النساء قال يعذبه بجعله بلفظ الغيبة يتكون الكلام على نظام واحد، ولأن أكثر القراء عليه، ولأنه أليق بالسياق في الكلام".

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٤ - ١٩٦.

(٢) المرجع السابق - ص ١٩٦.

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿ وَنَدْخَلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء الآية ٣١] "اختلفوا في ضم الميم وفتحها من قوله عز وجل (مدخلاً) فقرأ نافع وحده (مدخلاً) مفتوحة الميم وقرأ الباقون (مدخلاً) مضمومة الميم"^(١).

"فمن قرأ بفتح (الميم)؛ على أنه مصدر لفعل ثلاثي مضممر، دل عليه الرباعي الظاهر، وهو قوله تعالى: (ندخلكم) أي (ندخلكم فتدخلون مدخلاً أي دخولاً فدخلوا ومدخل مصدران للثلاثي بمعنى واحد ويجوز أن يكون (مدخلاً) بالفتح مكاناً أي (يدخلكم مكاناً) فيتعدي إليه (ندخلكم)، على المفعول به، وحسن ذلك لأنه، وقد وصف الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء ٥٨]. وقرأ الدوري، وحفص بضم (الميم)، على أنه مصدر للفعل الذي قبله، وهو (يدخلكم)، ولم يحتاج إلى إضمار ثلاثي، فنصبه على المصدر فالميم في حركتها كحرف المضارعة في حركته، إن كان مفتوحاً فتحت (الميم) وإن كان مضموماً ضمت (الميم)، وفي الكلام مفعول محذوف؛ لأن الفعل لما نفل للرباعي تعدي إلى مفعول، نقول: (دخلت في دار زيد، وأدخلت عمراً في دار زيد).

فأصل (دخلت) ألا يتعدي؛ لأنه نقيضه لا يتعدي وهو (خرجت) وحكى النحويون (دخلت الدار) فعدوه بغير حرف وهو شاذ و التقريب و(يدخلكم الجنة مدخلاً كريماً) أي إدخالاً فمدخل وإدخال مصدران لـ(أدخل)^(٢).

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٣٣].

"اختلف القراء في قوله عز وجل (عقدت) وقد تعرضنا لهذه الآية في الفصل الأول - أثر الدلالة الصوتية على المعنى -

"فعلى قراءة حذف الألف (عقدت) على أنه أضاف الفعل إلى الإيمان، المراد إضافة الفعل إلى المخاطبين المتحالفين في المعنى، دون من خالفهم، وفيه حذف

(١) الحجة للفارسي، ٧٨/٢.

(٢) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٧.

مفعول، التقرير، والذين عقدت إيمانكم حلفهم، ثم حذف وهو محمول على لفظ الإيمان، فأسند الفعل إليهما دون أصحاب الإيمان فلما أسند الفعل إلى الإيمان في ظاهر اللفظ لم يحتج إلى المفاعلة؛ لأن يمين القوم الآخرين لا فعل لها فهذا في هذه القراءة، محمول على أصحاب الإيمان وهم فريقان كل واحد حالف محلوف له فحمل على المفاعلة وهو باب المعاقدة بالإيمان.

وقرأ الباقر بثبوت الألف (عاقدت) على أنه جعله في المعاقدة وهي المحالفة في الجاهلية، أنه يواليه و ويرثه ويقوم بثأره، ويقوم بالوفاء لهم، فحسنت الألف هنا لأنها تجيء في بناء الاثنين، وهي الأقوى؛ ولأن المقصود بالآية أصحاب الإيمان، ولأن لا فعل ينسب إليهما حقيقة، فباباه المفاعلة، وهو عليه أكثر القراءة^(١). إذن هناك اختلاف في المعنى الدلالي بين الصيغتين لكلمة (وعاقدت) وهو ما أدى إلى تغيير في الإعراب والمعنى الدلالي.

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء ٤٢]. "اختلفوا في فتح التاء من (تسوى) والتشديد وضمها والتخفيف، فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمر (لو تسوى) مضمومة التاء خفيفة السين. وقرأ حمزة والكسائي (تسوى) مفتوحة التاء خفيفة السين. والواو ممالاة مشددة"^(٢). "فمن قرأ بفتح التاء (تسوى) وتشديد (السين) فأسند الفعل إلى (الأرض) فارتفعت بفعالها، وأصله الفعل (تسوي) (تتسوى) فأدغم التاء الثانية في السين فهو في العلة، والحجة في ذلك مثل (تساءلون) وتظاهرون، وذلك أنه جعل الأرض تتسوى بهم، والمراد به المخبر عنهم، وهم الذين كفروا يودون لو يصيرون يتسبون بالأرض، وعلى قراءة من ضم (التاء) وخفف السين، على أنه فاعل لم يسم فاعله من التسوية. مثل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاهُ﴾ [القيامة ٤] وأقام الأرض، مقام الفاعل

(١) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، الأمين محمد أحمد، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) الحجة للفارسي ٣٨/٢

على معنى لو يجعلون الأرض سواء أي ترابا كما فعل آبائهم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّا﴾ [سورة النبا الآية ٤٠].

الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء الآية ١٢٤]. "اختلفوا في ضم الياء وفتحها في قوله جل وعز (يدخلون الجنة) فقرأ ابن كثير (يدخلون) بضم الياء وقرأ خلف (يدخلون) بفتح الياء"^(١).

"فمن قرأ بضم (الياء) وفتح الخاء، المعنى أنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله عزز وجل إياها، فهم مفعولون في المعنى فنبوا الفعل للمفعول على ما لم يسمى فاعله، ولذلك نجدهم أجمعوا على قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة إبراهيم الآية ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْخُلُوهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة المجادلة الآية ٢٢]. وقرأ الباقر بفتح (الياء) وضم الخاء (يدخلون)؛ أي أنهم أضافوا الفعل إلى الداخلين؛ لأنهم هم الداخلون بأمر الله تعالى: لهم ودليل قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [سورة الأعراف الآية ٤٩] وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ﴾ [سورة الحجر الآية ٤٦] والقراءتان متداخلتان؛ لأنه إذا أمروا بالدخول دخلوا؛ لأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها فهم داخلون مدخلون"^(٢).

إن من خلال ما سبق يتبين لنا دور الصرف، وأثره في تفسير بعض آيات القرآن الكريم سواء كان على مستوى الجملة أو الكلمة أو الحرف بل حتى داخل السياق القرآن نجد أن الصرف يلعب دوراً مهماً فيه وذلك من خلال التقديم والتأخير وبناء الفاعل في مقابل البناء للمفعول وضمير الغيبة والمخاطبة وغير ذلك.

(١) الحجة في القراءات السبعة ٣٨/٢.

(٢) الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، أمين محمد أحمد، ص ٢٠٦.

الفصل الثالث

الدلالة النحوية

المبحث الأول: التعريف بعلم النحو وأهميته

المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

المبحث الأول

الدلالة النحوية (Syntactic- Semantic)

التعريف بعلم النحو وأهميته:

"يعد الإعراب من أبرز الظواهر اللغوية في العربية الفصحى، فقد اقترنت به واقترنت بها، وصارت إجادة الإعراب، والبراعة فيه من أول الدلائل على إجادة الفصحى"^(١).

وفي هذا الجانب نريد البحث عن العنصر النحوي وأثره على المعنى الدلالي. "وتتعلق الدلالة النحوية بالمهام والوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات اللغوية داخل بنية (النص)، من حيث تصنيفها وإيضاح طرق بنائها وبيان نوع العلاقة التي تربط عناصرها"^(٢).

"معنى الإعراب: جاء في لسان العرب لمادة (نحا) عدة معاني لكلمة إعراب فمن بعض معانيها الإفصاح والإيضاح. يقال: أعرب عما في ضميرك؛ أي ابن، ومنه قول النبي ﷺ (الثَّيْبُ تُعْرَبُ عَمَّا فِي نَفْسِهَا)^(٣). أي تفصح، وفي الاصطلاح النحوي^(٤): وهو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها وهو علم يبحث عن أواخر الكلم إعراباً وبناءً.. هو العلم الذي يختص بقواعد اللغة التركيبية، أيضاً من معاني النحو اللغوية: القصد والجهة (نحاة)، وفي الحضارة العربية يؤرخ لظهور مصطلح النحو في القرن الثاني الهجري؛ وكان هذا المصطلح يقصد به كتاب سيبويه للغة العربية وتأسيساً؛ لذلك صنف كتاب سيبويه بأنه الكتاب في النحو، وهو بهذا المفهوم يضم مجموعة من الدراسات التي تصنف ضمن موضوعات علم اللغة الحديث.

(١) العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، د. محمد حماسة، ط ٢٠٠١م، ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٦٠٢/١، رقم ١٣٧٢ دار الفكر بيروت، د. ت.

(٤) النحو مصدر من نحا نحواً، وقد أريد به اسم المفعول أي المنحو بمعنى المقصود، ويدل على هذا ما قيل حول نشأة علم النحو، فقد كان يقصد به القواعد المنحوة في وضع اللغة؛ أي المتبعة، فالنحو بمعنى المنحو مثل كلمة صيد في قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ [سورة المائدة الآية ٩٦] أي مصيده: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة، ص ١١٤.

وبعد ذلك انجرفت إذا صح التعبير دلالة النحو في العربية شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى مفهوم العلم الذي يعني بأواخر الكلم من إعراب وبناء، و صارت حركات الإعراب والعامل والقياس من أهم دعائم علم النحو بما في ذلك قضايا الاشتقاق و وما حولها من المسائل الصرفية، ثم انفصل مفهوم النحو عن الصرف حتى صار مفهوم علم النحو هو العلم الذي يعالج قضايا ترتيب وتنظيم عناصر الجملة ووظائفها"^(١).

"وفي اللغات الأوروبية نجدهم استخدموا Grammar و Grammatik لمفهوم العلم الذي يعنى بالقواعد المنظمة للغة، أما (Syntax سننات) فيقصد به دراسة القوانين المنظمة لتكوين العبارات والجملة نحويًا، أي أنه علم التركيب ويشمل علمي التركيب والصرف"^(٢).

إلا أن علم النحو في القديم يختلف عن مفهومه حديثاً؛ فعلماء العرب استخدموا مصطلح النحو بدلالة عامة، تعني دراسة، نظام ترتيب الجمل والنظام الصوتي والنظام الصرفي، نجد هذا في تناول علمائنا الموضح النحو في مؤلفاتهم القديمة، ويتبين هذا المفهوم من تعريفهم النحو، قيل: (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحجير والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك.

وهذا هو المفهوم العام لعلم النحو عند القدماء، ولكن هذه الموضوعات (التركيب والإعراب، والأصوات، والصرف) التي درست تحت اسم النحو، أخذت شكلاً أكثر دقة وموضوعية عند المحدثين الذين وظفوا المناهج الحديثة في دراسة هذه الموضوعات فيما يتعلق بالتركيب والإعراب، أطلق عليه اسم النحو، وما يتعلق بالأبنية وصوغها أطلق عليه اسم علم الأصوات، وما يتعلق بالمعنى أطلق عليه اسم علم الدلالة". وهذا الفروع يطلق عليها العلوم اللغوية وهو الاسم العام لهذه الفروع"^(٣).

"ويتبين من هذا أن مصطلح النحو في الدرس العام له دلالة عامة في الدرس القديم، ودلالة خاصة في الدرس الحديث، ومصطلح (Syntax) لا يعني النحو

(١) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية د. أحمد عبدالقدير أستاذ علم اللغة المشارك بكلية

الآداب الرياض وكلية الآداب جامعة القاهرة، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، ص ١٩.

(٢) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص ٥٩.

(٣) الاتجاهات المعاصرة، د. أحمد عبدالقادر، ص ٢٠.

بمعناه القديم وإنما يعني فرعاً من فروع النحو (Grammar) والأخير هو الذي يقابل المعنى العلم القديم، والتركيب (Syntax) يعني التأليف أو نظم المفردات في شكل معين وهو لا يعني الجملة المفيدة في كل السياقات، فقد يعني تأليف الحروف لتكوين كلمة، وهو ما يعرف بنظم حروف الكلمة، وقد استخدمه التقليديون على أنه أحد فروع النحو Grammar، الذي يعالج نظام ترتيب الجملة والعلاقات التي تربط أجزاءها وأثرها في المعنى، وأثر إعادة ترتيب الجملة ما قد ينجم عن تلك العلاقات من تغيرات تصريفية.

وهو يقابل في العربية تصريف الفعل وتطابقه مع الفاعل إفراداً وتثنية وجمعاً ومطابقته في النوع، وما يطرأ على الإعراب من تغيرات في حالة التركيب نتيجة للعلاقات بين عناصر التركيب مثل اتصال الفعل بضمير الفاعل في مثل قالوا قلت (يقُلن) وإضافة الفاعل إلى مصدره مثل (ضَرَبُ مُحَمَّدٍ عَلِيًّا ظَلَمًا)^(١).

إذن فمن خلال ما ذكر يتضح لنا أن الإعراب له قيمة دلالية لا يمكن تجاهلها داخل النص اللغوي، وذلك لإيضاح المعنى المراد في الألفاظ والمفردات.

أهمية علم النحو:

"إن علم النحو هو دعامة العلوم العربية، وقانونها، الأعلى، ولن تجد علماً منها يستقل عن النحو، أو يستغني عن مؤنثه، أو يسير بغير نوره وهداه، فجميع العلوم النقلية على جليل شأنها - لا سبيل إلى استخلاص حقائقها، والنفوذ إلى أسرارها إلا بهذا العلم، فهل ندرك كلام الله تعالى، ونفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول ﷺ وأصول العقائد وأدلة الأحكام والفقهاء الإسلاميين والبحوث الشرعية عموماً إلا بإرشاد النحو وإلهامه، فالنحو وسيلة المستعرب، وسلاح اللغوي، وعماد البلاغي وأداة

(١) ومصطلح (Syntax) أصله يوناني قديم ، وهو يدل على دراسة القواعد التي تقوم على نظامها مفردات الجملة. كما يدرس العلاقة التي تنشأ من ترتيب مفردات الجملة أو علاقة البنية، Arrangement أو التأليف Sittingouttogether. انظر تحليل اللغوي في ضوء علم اللغة. الدكتور عكاشة ص ١١٨.

المشرع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والشرعية جميعاً، فقد وصفه الأعلام السابقون بأنه (قانون وميزان تقويمها)"^(١).

فالنحو بهذه الوظيفة الجليلة، ومكان الحاجة إليه بهذا القرر يسبق جميع علوم اللسان العربي، على الرغم من الحاجة الشديدة إليه فهي مبنية عليه، وفي حاجة إليه.

وقال ابن خلدون: "والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها من علوم اللسان العربي) هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولا النحو لجهل أصل الإفادة"^(٢)

"وبهذا الكلام تتبين مكانة النحو الجليلة، ومدى الحاجة إليه ولماذا سارع سلفنا الصالح إلى ابتكاره قبل غيره لحفظ اللغة العربية، وصيانة الكتاب العزيز من اللحن، ويكفي النحو فضلاً أنه نشأ في رحاب القرآن الكريم، وكان هو الحاضن الأول لصيانته، وأبعاد الخطر عنه وإشراع السبيل الصحيح للنطق به، كما يكفه فضلاً كان التفكير فيه مبكراً ومن الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على يد التابعي الجليل أبي الأسود الدؤلي.

"وإن علم النحو كما ذكرنا يدخل تحت ما يعرف (بالدلالة التركيبية) حيث ما يطلق عليه (علم دلالة الجملة) (أو علم الدلالة التركيبي) وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكباً لوضع علم النحو العربي، ويؤكد هذا ما روى حول أسباب نشأة علم النحو، مثل ما روى أن ابنة أبي الأسود الدؤلي لحنّت في حضرته، فلما تبين مقصدها صحح لحنها، وقد وقعت لحنون في قراءة القرآن الكريم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم فاستنكروها، لأنها قد أفسدت

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لشهاب الدين أبي العباس احمد بن عدي القلقشندي، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٦٧.

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٢٣هـ، يرع في علوم كثيرة وله كتاب العبر في التاريخ ورحل إلى مصر وأقام بها ولى القضاء وإفتاء الفقه المالكي بالجامع الأزهر، توفى بمصر ٨٠٨هـ مقدمة ابن خلدون ص ١٠٥٥ نشر دار الفكر بيروت ١٩٨١م.

المعنى، فالحركات الإعرابية شأنها شأن أي فونيم في الكلمة، له قيمة دلالية، وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى، فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه.

ولذا فإن الحركات الإعرابية لم توجد لتدل على عوامل معينة، وإنما وجدت لتدل على معانٍ كامنة في نفس المتكلم^(١).

ومن خلال الآية الكريمة نرى دور الحركات الإعرابية جلية في اختلاف المعنى من قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة الآية ٣] "فقد قرأ يعقوب (ورسوله) بالنصب وهي قراءة الحسن وابن أبي اسحق وعيسى بن عمر، وقرأ سائر القراء (ورسوله) بالرفع (ورسوله) على الابتداء والخبر محذوف أي (ورسوله برئ) أيضاً من المشركين فرسول حذف لدلالة الأول عليه، ومن قرأ بالنصب عطف على (اسم إن) وإذا كان المعنى الذي تشير إليه الحركات الفتحة والضممة متقارباً، وهو الإخبار عن براءة الله من المشركين وبراءة رسوله أيضاً منهم، كما جاء في كتب تاريخ النحو إن أحد الأعراب قرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجر (رسوله) فقال الإعرابي أو قد برئ الله من رسوله؟ أن يكن الله تعالى برئ من رسوله فإننا أبرأ منه فدعا سيدنا عمر الإعراب، وأوضح له القراءة الصحيحة فقال الإعرابي وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فنرى هنا من خلال هذا المثال، كيف تشير الحركات الإعرابية إلى المعنى وتدل عليه وليس هذا بغريب؛ لأن الإعراب هو الفارق بين المعاني وأن الألفاظ خدم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها، وإن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق^(٢).

(١) الحجة في القراءات للفارسي ١٧٠/٢.

(٢) أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التفسير الدلالي د. بكري محمد الحاج ص ٩-١٠.

"ولهذا فقد اهتم النحاة بالعلامة الإعرابية وأولوها عناية فائقة؛ لأنها تعتبر المعيار الصحي للنحو، ولولاها ما مُيز بين الفاعل والمفعول ولا مضاف ومضاف إليه ولا نعت وتوكيد الخ" (١).

وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة (٢) بعلم الدلالة التركيبي أو علم دلالة الجملة في الغرب، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي (٣).

"ويتعدد معنى اللفظ بتعدد سياقه الذي يرد فيه، وهذه المعاني المتعددة لها علاقة بالمعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ؛ لأن المعنى هو محصلة التفاعل الدلالي بين معنى الألفاظ من ناحية ومعاني النحو التي أقامها المتكلم بين هذه الألفاظ من ناحية أخرى، أما الغرض فهو الفكرة العامة أو الفكر الخام قبل أن يصاغ في أسلوب بعينة والأغراض هي المعاني التي وصفها الجاحظ بأنها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي" (٤).

ومن هنا "إن المعنى يكتسب من ترتيب الكلمات على طريقة معلومة وحصولها على صورة من التأليف المخصوص، وكذلك رأى بعض علماء اللغة المحدثون أن الجملة لا الكلمة أهم وحدات المعنى، فليس للكلمة معنى منفصل عن سياقها بل معناها يحدده السياق الذي ترد فيه".

إذن يتضح من خلال ما سبق أن النحو يقوم ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة وبيان وظائفها، إذ أنه وسيلة نحو التفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللغوي، فالنحو والدلالة يتعاونان معاً على توضيح النص وتفسيره" (٥).

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ٣٧.

(٢) ومعنى الجملة عند الغربيين يعني وظيفة معاني أجزائها أو معنى الوحدات القاموسية والصلات الدلالية بين مكونات الجملة، كما بحثوا معنى الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات.

(٣) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة د. محمود عكاشة ص ١١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤.

(٥) مناهج البحث في اللغة، دكتور تمام حسان، دار الثقافة، د.ت، ص ٢٢٩.

ويتضح من خلال ما ذكره علماء اللغة المحدثون أن وظيفة النحو تختلف عن وظيفتها عند المحدثين إذ أن وظيفة النحو قديماً كانت تقتصر على الناحية الشكلية، وهي معرفة أحول أو آخر الكلمات إعراباً وبناءً وقد نبه علماء اللغة المحدثون إلى وظيفة النحو في الدلالة فأتاحوا البحث في دراسة الجمل من ناحية العلاقات السياقية في مقابل الصرف الذي يدرس العلاقات الجدولية^(١).

إلا أن محمود عكاشة، له رأى في ذلك حيث قال: "وأرى أن هذا الرأى لا يتسق مع آراء النحاة العرب على أنه صنع المحدثين بل هو في ذلك تابعون للقدماء من العرب ودراسة الجملة فقط تنسب إلى المدرسة البنيوية وغيرها من المذاهب الشكلية"^(٢).

ويرى الباحث أن كلام عكاشة يجانبه الصواب في ذلك؛ لأننا نجد كثيراً من الشواهد التي تؤيد ذلك، ونظرية الجرجاني في النظم في كتابه دلائل الإعجاز خير دليل على ذلك على دراسة الجملة، ولذلك فإن الحركات الأعرابية كما ذكرنا شأنها شأن أي فونيم في الكلمة له قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى، وهذه المعاني كما يقول الهادي نهر: "فإنها تتكاثر أي أوجه الإعراب على اللفظ الواحد في القراءة القرآنية وأن هذا التكاثر أدى بدوره إلى اختلاف في تأويل هذه الآية أو تلك، على أوجه دلالية متعددة للكلمة وما كان ذلك إلا بدور المجتمع والذوق الجماعي، وقد فرضت الملامح اللغوية الاجتماعية والثقافية هيبتها على أبعاد هذا الاختلاف النحوي الدلالي.

لذلك التجأ علماؤنا المتقدمون في توجهه القراءات توجيهاً نحويّاً إلى اللغة العربية نفسها، وقد كانت تؤدي بينهم على أنظمة معهودة منذ زمن بعيد، وتجري أسنتهم عليها حتى أصبحت العربية بلهجاتها المتعددة نظاماً عرفياً و لا يمكن الخروج عليها على أمة عرفت بالبيان والفصاحة، والبلاغة إلا بالقدر الذي يسمح به الواقع الاجتماعي والمكاني لكل مجموعة ناطقة بها وصار الأمر أكثر حزماً وفاعلية

(١) التحليل اللغوي، د. محمود عكاشة، ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥.

حين تهيأ العلماء العرب الأوائل أن يوجدوا بفعل الإسلام الحنيف علوماً في التفسير والأصول والشعر والفقه والمعاجم والعروض والنحو وغيرها^(١).

فالذي نقصده من هذا السرد النظري في هذا المقام الأول: "أن النحاة العرب قد شغلوا بالقراءات القرآنية وحاولوا الاعتماد عليها في توجيه الأنظمة النحوية التي كانت هي جزء من المنظومة اللغوية الشاملة أعنى اللغة العربية بكل تراثها الخالد، لذا كان النحو وصفاً لهذه المنظومة على وجوه متعددة بتعدد العلماء الذين وجهوا عنايتهم إلى كل ذلك من أجل الملاءمة بين القراءات واللغة العربية من جهة وما سمع من قراءات وما روى من كلام العرب بما يجعل القراءات تلتقي القاعدة النحوية فنقويها وتعزدها، لقد خاض علماءنا لاسيما النحويون منهم تجربة الوجوه النحوية الجائزة التي توحى بها آيات القرآن الكريم وتداولوا هذه الوجوه فيما بينهم، وقيدوا ذلك كله بعنايتهم ونصوصهم وأشاروا في الغالب إلى المنابع الأولى التي استقوا منها توجيهاتهم تلك، وهي منابع متعددة المشارب والمعارف اشترك فيا القراء والمفسرون واللغويون والنحويون الأوائل بحيث صارت تجربة النحويين في معالجة الوجوه النحوية لتي قرئت بها بعض الآيات القرآنية ظاهرة شكلت منذ عهد مبكر في تاريخ البحث النحوي لوناً مميزاً من ألوان البحث النحوي الدلالي التطبيقي له منهجه وأصوله ومرتكزاته وكان ابن جني القمة في هذا كله في كتابه الجليل (المحتسب في شواذ القراءات) والأمثلة في الاستعانة بوجوه العربية أو أقوال العرب وأشعارهم في توجيه القراءات كثيرة^(٢).

(١) التفسير اللغوي، د.الهادي نهر، ط١، ٢٠٠١م، عالم الكتب الحديث، أريد الأردني، ص١٧٢-١٧٣.

(٢) المرجع السابق نفسه-ص١٧٥-١٧٦.

المبحث الثاني

أثر الدلالة النحوية على النص القرآني

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران الآية ١٨] (١).

"فقد اختلف القراء في همزة (إنه وقبل الدخول في اختلاف القراء يطرح بحر محمد حسين سؤالاً يقول: (كيف شهادة الله ؟ ومن يطلب منه سبحانه وتعالى أن يشهد، وهو الحكم والقاضي والأمر والناهي، وكيف يحدث التشريك بينه وبين الملائكة وأولى العلم في النطق بالشهادة؟ فنسبه هذا الفعل إلى الله عز وجل يبدو غريبة عند التأمل، ومنافيه لبعض صفاته سبحانه وتعالى فالشهادة أن يخبر بما رأى، وأن يُقرّ ما علم" (٢).

إلا أن النحو نجده يتدخل ليحل لنا جانباً من هذا الإشكال ويتمثل في ذلك الحل في دور الفتحة والكسرة.

"فقد قرأ ابن كثير (إنه) بكسر (الهمزة)، وهذه القراءة تؤكد أن معنى (شهد) قال أو أن تكون جملة (إنه لا إله إلا الله) اعتراضية ويكون معمول (أشهد) قوله تعالى بعدها: (إن الدين عند الله الإسلام) بفتح الهمزة.

وقد قرئت (شُهدَ) مبنياً للمفعول، ولفظ الجلالة نائب فاعل.

(١) سورة آل عمران من السور المدنية بالإجماع كما حكي النقاش وإن اسمها في التوراة (طيبة) وقد ورد في فضلها آثار وأخبار فمن ذلك من جاء أنها أمان من الجيات وكنز للصعلوك، وأنها تحتاج عن قارئها في الآخرة ويكتب لمن قرأ آخرها في كل ليلة كقيام ليلة ، وأخرج مسلم عن النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت النبي ﷺ يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، وضرب مثلاً الرسول ﷺ ثلاثة أمثال:

قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما (شرق) والشرق هو (الضوء) والسكون لآراء فيه أشهر من فتحها أو كأنما خرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما. انظر جامع القرآن للإمام القرطبي ، ٤/٤ .

(٢) التوجيه اللغوي ولمشكل القرآن، د. مجدي محمد حسين ، ط ٢٠٧م، رقم الإيداع ٢٣٥٠٧، ص ١١٩ .

وعلى هذه القراءة يكون (أنه لا إله إلا هو) في محل رفع بدلاً من اسم الله تعالى بدل اشتمال بتقدير شهد وحدانية الله وألوهيته فتكون الشهادة صادرة من مخلوقاته وليس منه^(١).

ويظهر دور الأثر النحوي على التركيب من خلال ربط الجمل بعضها ببعض لأن هذه الهمزة في حالة الفتح والكسر مرتبطة بما قبلها وبما بعدها ارتباطاً معنوياً.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٩].

"قرأ الكسائي بفتح همزة^(٢). (أن) والوجه في ذلك أنه جعل (أنه لا إله) بدلاً من شهد من قوله تعالى: (إن الدين) أي كأنه قال: (شهد الله بأنه لا إله إلا هو بأن الدين عند الله الإسلام) فيكون (إن الدين) بدلاً عن (أنه) بدل الكل، ويجوز أن يكون بدل اشتمال؛ لأن لدين مشتمل التوحيد ويجوز أن يكون بدلاً عن القسط من قوله تعالى: (قائماً) لأن كون الدين هو الإسلام وهو القسط العدل، وقرأ الباقر بكسر همزة (إن) لأن الكلام الذي قبله تام فيكون استئنافاً، وهو الأحسن، لأن ما يقصد به الثناء على الباري سبحانه وتعالى كان الكلام فيه إذا كان جملاً متتابعة أحسن لأنه أبلغ في المدح"^(٣).

والباحث يرى أن هذا التباين سببه العلامة الإعرابية التي بدورها أدت إلى تغيير في الإعراب ومن ثم في المعنى.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا لِيَكُ وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران الآية ٣٦].

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد حسين، ص ١١٩.

(٢) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ١٠/٢.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي الفارسي، تحقيق د. عمر حمدان، ط ٢٠٠٥م، ص ٣٦٤.

"قرأ ابن عامر وعاصم^(١) (والله أعلم بما وضعت) بضم (التاء) وسكون العين، ووجه ذلك، لأن الكلام كلام مريم، وهو يجري مجرى قول القائل يا رب قد كان كذا وكذا وأنت أعلم يريد الخضوع والاستسلام، ويظهر أنه لا يقول ذلك على سبيل الإعلام فإن الله سبحانه وتعالى هو أعلم به. وقرأ الباقون (والله أعلم بما وضعت) بفتح (العين) وسكون (التاء)؛ على أنه من قوله تعالى لأن أم مريم (قالت رب إني وضعتها أنثى) فقال سبحانه وتعالى والله أعلم بذلك ويؤيد هذه القراءة أنه لو كان من قول أم مريم، وكانت (التاء) مضمومة لكان (وأنت أعلم بما وضعت)؛ لأنها تخاطب الله سبحانه وتعالى"^(٢).

فقد رأينا اختلاف الفتحة والكسرة في الآيتين السابقتين أديا إلى اختلاف في تفسير المعنى الدلالي للآيتين واختلاف في المعنى المراد.

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٨٠].

"اختلفوا في ضم الراء وفتحها من قوله تعالى: (أَيَأْمُرُكُمْ) قرأها ابن كثير والكسائي ونافع (أَيَأْمُرُكُمْ) رفعاً وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة (أَيَأْمُرُكُمْ) نصباً"^(٣). فمن قرأ "بنصب الراء (يأمركم) حجتهم في ذلك أن (يأمركم) معطوف على ما قبله وهو (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة) ثم يقول كأنه قال لا أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ويؤيد ذلك ما جاء في الأثر أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أتريد أن نتخذك رباً؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٧٩]. وقرأ الباقون بالرفع"^(٤).

(١) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ٢٨/١.

(٢) الموضوع في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصر بن علي بن محمد أبي عبدالله الشيرازي الفارسي، وتحقيق

الدكتور عمر حمدان ج ١ ط ٢٠٠٥م، ص ٣٦٤-٣٣٨.

(٣) الحجة في القراءات السبعة للفارسي، ٢٨ / ٢.

(٤) الموضوع في وجوه القراءات وعللها، ص ٣٦٤.

"وعلى قراءة الرفع فجاءت منقطعة من الأولى لأنه أراد (لا يأمركم الله) فهو
أبدل على الانقطاع"^(١).

إذا بدأ الاختلاف الدلالي للفعل (يأمركم) واضحاً وذلك من خلال اختلاف
الفعل بين الرفع والنصب، فمن قرأ بالنصب جعل الكلام معطوفاً على ما قبله ومن
قرأ بالرفع جعل الكلام منقطعاً عما قبله.

الآية الخامسة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتَيْكُمْ مِّنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران ٨١].

"قرأ حمزة بكسر اللام في (لما) "ووجه ذلك أن اللام لام الجر، والمعنى أخذ الله ميثاق
النبیین لهذا وهو ما أعطاكم من كتاب وحكمة، لأن من أوتي الكتاب والحكمة أخذ
عليه ميثاق، وما بمعنى الذي هو (موصول) والعاثد إليه محذوف والتقدير (الذي
آتيتكموه من الكتاب والحكمة). وقرأ الباقون (لما) بفتح اللام. ووجه ذلك، أن اللام لام
الابتداء (ما) موصولة كما تقدم وموضعها الرفع بالابتداء وخبرها (لتؤمنن) ولتؤمنن
متعلق بالقسم محذوف والتقدير (والله لتؤمنن) ويجوز أن تكون "ما" شرطية كما في
قولك ما تفعل أفعل وموضعها النصب بآتيتكم واللام فيها لام توطئة القسم يدخل في
الشرط فيأتي جوابه جواباً للقسم كما في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْهَ الْأَمْنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٦٠]"^(٢).

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ
لَكَ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٥٤].

"اختلفوا في رفع اللام ونصبها من قوله تعالى: (كُلُّهُ) (فقرأ أبو عمرو وحده (كُلُّهُ)
رفعاً وقرأ الباقون (كُلُّهُ) نصباً"^(٣).

(١) الحجة للفارسي، ٣٠/٢

(٢) الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٣) الحجة في القراءات السبع للفارسي، ٦٩/٢.

ولذا فإن حجة من نصب (كله) جعله بمنزلة أجمعين أو أجمع، أي في أنه للإحاطة والشمول كما هو في باب التأكيد أي أن الأمر أجمع لله في أجمع لم يكن إلا النصب، وحجة من رفع جعله مبتدأ مثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [سورة مريم الآية ٩٥].

" فعلى قراءة أبي عمر برفع لام "(كله) لأنه جعله مبتدأ وخبره "الله"، ولم يجعله تأكيداً للأمر، لأن كلاً يليه العوامل فهو كسائر الأسماء، وعلى قراءة الباقيين بنصب لام (كله) على أنه بمنزلة أجمعين في أنه للإحاطة والعموم فكما أن الأمر اجمع نصب لا محالة فكذلك أن الأمر (كله)"^(١).

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٨١].

"اختلفوا في قوله تعالى: (سَنَكْتُبُ) في الياء والنون والرفع والنصب، فقرأ حمزة وحده (سَنَكْتُبُ) بالياء و(قتلهم) رفعاً (ويقول) بالياء وقرأ الباقيون (سنكتب) بالنون و(قتلهم) نصباً و(نقول) بالنون"^(٢).

"فعلى قراءة حمزة بضم الياء في (سيكتب) وفتح (التاء) وضم اللام في (وقتلهم) وقرأ (بالياء) (ويقول)، والوجه أن (سيكتب) فعل لم يسم فاعله وصلته في موضع رفع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله وهو في تقدير المصدر والمعنى: (سيكتب قولهم) ولهذا عطف عليه (قتلهم) بالرفع والفاعل فيه هذا الفعل هو الله تعالى وأما جاء على ما لم يسم فاعله ولهذا قال (يقول) بالياء والمراد ويقول الله.

وعلى قراءة الباقيين (سنكتب) بالنون وينصب لام (قتلهم) أنه على مجئ ضمير اسم الله سبحانه وتعالى بلفظ الجمع على التعظيم والفاعل هو الله سبحانه وتعالى و(قتلهم) منصوب على أنه مفعول (سنكتب)"^(٣).

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص ٣٩٦.

فالآثر النحوي هنا على قراءة الياء سيكتب أسند الفعل لضمير الغيبة وهو "الله" أي "الله" سيكتب ما قالوا ومن قرأ بالنون جعل الفعل مسنداً إلى ضمير الجماعة أي نحن سنكتب.

الآية الثامنة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [سورة النساء الآية ٩٢].

فهذا الاستثناء "يعد من المشكلات فكأن ظاهر التركيب يجيز قتل الخطأ وإنه جزء من التكليف ومستثنى من النهي أو النفي وغيره داخل فيه، وكان التقدير يمكن للمؤمن أن يقتل المؤمن خطأ"^(١). ومن هنا اختلفوا في الاستثناء في الآية الكريمة.

"قيل إنه استثناء منقطع وهو قول الجمهور إن أريد بالنفي معناه، ولا يجوز أن يكون متصلاً إذ يصير المعنى إلا خطأ فله قتله كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ [سورة النساء، الآية ٢٩]

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِتَابَ الْإِنَّمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [سورة النجم الآية ٣٢]

أو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ [سورة الواقعة الآية ٢٥ - ٢٦]^(٢).

ومن ذلك قول جرير:

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَطْعَنْ بَعِيداً وَلَمْ تَطْأ * عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا ذَيْلَ مَرِطٍ مُرْحَلٍ^(٣).

"يعني ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل المرط، وليس ذيل المرط من الأرض، وقيل الاستثناء متصل، ويكون المعنى إن الإنسان يؤاخذ على القتل إلا إذا كان القتل خطأ فإنه لا يؤاخذ به أو ليس لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا عن الخطأ

(١) المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٣) البيت لجرير في قصيدة طويلة يهجو فيها عياش بن الزريقان. المرحل: إزار من الخز أو الصوف منقوش.

أنظر: ديوان جرير، تأليف: محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

وقال بعضهم: الاستثناء مفرغ وهو المنفي ولم يذكر فيه المستثنى منه وفي نصبه أقوال ثلاثة:

- ١- أنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا الخطأ وحده.
- ٢- النصب على أنه حال أي ما ينبغي له أن يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ.

٣- على أنه مصدر محذوف أي إلا قتلاً خطأ.

وقال أبو هشام وهو أحد رؤساء المعتزلة تقرير الآية أن المعنى: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً فيبغي مؤمناً إلا أن يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمناً، والمراد أن قتل المؤمن يخرج عن كونه مؤمناً إلا أن يكون خطأ فإنه لا يخرج عن كونه مؤمناً"^(١).

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ وَسَيَتْمُوْنَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلٰٓ

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ فِي يَتِمٰى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعُونَ اَنْ تَنكِحُوْهُنَّ ۗ

[النساء الآية ١٢٧]

"وقوله (وترغبون أن تنكحوهن). الفعل رغب له معنيان متضادان، ذلك بحسب ما يتعلق به من حرف الجر، فإذا جاء بعده حرف (في) كان المعنى (يحب) وإذا جاء بعده حرف (عن) كان المعنى (يكره) ولذلك فلا بد من ذكر هذين الحرفين ليتضح المعنى ولأمن اللبس، خاصة إذا كان المعنى يحتملها جميعاً، ولذلك فإن حرف الجر مع هذه الأفعال يعد جزءاً من الدلالة الأساسية للفعل لا تتم إلا به، ولا بد من التوقف في معنى الفعل حتى يذكر حرف الجر فنقول مثلاً (رغبت، مررت، ذهبت) لعدم وضوح الدلالة المرادة، قد ذكر أهل اللغة العربية أحرف الجر التي يجوز حذفها باطراد مع (أَنْ وَأَنَّ) بشرط أمن اللبس، نحو عجبت أن تقوم أي من أن تقوم بخلاف ملت إلى أن تقوم أو عن تقوم، والآية من هذا القبيل فمنع لإشكال المراد بعد الحرف هل هو على معنى (في) أو (عن)؛ لأن رغب يتعدى لكل منهما،

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص ١٨٤.

ومعناه هنا مختلف ويشكل عليه قوله تعالى (وترغبون أن تتكوهن) فحذف حرف الجر مع أن اللبس موجود بدليل أن المفسرين اختلفوا في المراد فبعضهم قدر (في) وبعضهم قدر (عن) واستدل كل منهم على ما ذهب إليه.

والذي يعمق اللبس في هذه الآية أن المعنيين المتضادين وردت بهما الروايات فروى عن عائشة (من أنها اليتيمة تكن في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكوهن إلا أن يقسطوا إليهن في كمال الصداق) فهذه الآية تفيد أن معنى (ترغبون) أي (تحبون) والتقدير حرف (في) وروى عنها كذلك أنها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها لدمايتها وقيل حذف حرف الجر هنا لا يعد لبساً بل إجمالاً فكل من الحرفين مراد على سبيل البديل^(١).

الآية الحادية عشر قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ١٦٢].

"آراء النحاة وتأويلهم في نصب و(المقيمين) الصابرين وأمثالها عقد سيبويه رحمه الله تعالى - باباً في (الكتاب) بعنوان (هذا باب ما ينصب على التعظيم والمدح) شرح فيه ما يكون تابعاً من الأسماء مجروراً فيجوز قطعه بالرفع على الابتداء والنصب على المدح أو الذم أو منصوباً فيجوز قطعه بالرفع على الابتداء أو مرفوعاً فيقطع بالنصب على المدح أو الذم.

وقد فضل سيبويه القول في ذلك كله تفصيلاً كاملاً، فكان من ذلك قوله: (وإن شئت جعلته ضمة فجرى على الأول وإن شئت قطعت فابتدأه، وذلك قولك (الحمد لله الحميد هو، الحمد لله أهل الحمد، والملك لله أهل الملك. ولو ابتدأت فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا * أَبْدَى النَّوْاجِدَ يَوْمًا بِاسِلٌ ذَكَرُ

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص ١٨٨.

الخَائِضُ الْغَمْرَةَ وَالْمَيْمُونُ طَائِرُهُ * خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطْرُ^(١).

وأما الصفة فإن كثيراً من العرب يجعلونه صفة فيتبعونه لأول فيقولن أهل الحمد والحميد هو، وكذلك الحمد لله أهله إن شئت جررت وإن شئت نصبت وإن شئت ابتدأت وفي هذا الشأن.

قال ابن هشام الأنصاري: (ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعاً بتقدير (هو) ونصباً بتقدير أعنى أو أمدح أدم أو ارحم ثم قال: (إذا كان الموصوف معلوماً بدون الصفة جاز لك في الصفة الإتياع والقطع مثال ذلك في صفة المدح: الحمد لله الحميد وأجاز فيه سيبويه الجر على الإتياع والنصب بتقدير أمدح والرفع بتقدير هو مثل قوله تعالى في صفة الذم: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ قرأ الجمهور بالرفع على الإتياع وقرأ عاصم بالنصب على الذم^(٢).
كما قال المهلهل:

وَلَقَدْ خَبَطْتُ بِيُوتَ يَشْكُرُ خَبَطَةً * أَخْوَالُنَا وَهُمْ بَنُو الْأَعْمَامِ^(٣).

وسمعنا بعض العرب يقول: (الحمد لله رب العالمين)^(٤). فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ كِنِ الرَّسَّخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء ١٦٢].
فلو كان كله رفعاً كان جيداً فأما (المؤتون) فحمل على الابتداء ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة

(١) قصيدة طويلة في ديوانه ص ٨٩ ويمدح بها عبدالملك بن مروان (انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ص ١٦٨ معنى المفردات الناجذ الضرسى وبداء النواجز كتابة عن شدة اليوم ويسالته ، الباس الكريه المنظر والذكر (الشديد) والغمر الماء الكثير. ويقال: ميمون الطائر للكثير الخير الذي يتيمن به (الكتاب) ٦٢/٢.

(٢) سورة المسد ذكر سيبويه هذه الآية في باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما شبه وعباراته فيه بلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً: (امراته حمالة الحطب) ولم يجعله خبراً للمرأة ولكنه قال: اذكر حمالة الحطب شتماً نها ، وإن كان فعلاً يستعمل إظهاره كتباً سيبويه ج ٢/ص ٧٠.

(٣) من قصيدة بعض أبياتها في الأصمعيات ص ١٥٦ وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٢٥/٥ وخطين: يعنى الخليل بفرسانها. والخبط الضرب الشديد والمراد بالبيوت القبائل والأحياء وإنما ذكر العمومة؛ لأنه من تغلب بن وائل ويشكر من يشكر بن وائل ، الشاهد فيه أنه قطع (أخواننا) على الابتداء.

(٤) الآية الأولى من سورة الفاتحة ونصب (رب) قراءة شاذة نسبها أبوحيان في البحر المحيط إلى زيد بن علي وطائفة إلا أن سيبويه القراءات عنده سواء في الاحتجاج أي الشاذة والصحيحة منها كما قال ذلك في الكتاب، ١٤٨/١.

البقرة الآية ١٧٧] ولو رفع (الصابرين) على أول الكلام كان جيداً ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأ في قوله (المؤتون الزكاة) سورة النساء الآية ١٦٢. ونظير هذا النصب من الشعر قول الخرنق:

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ * سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَةُ الْجُزْرِ
النازلون بكلِّ معتركٍ * وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدِ الْأُزْرِ^(١).

فرفع الطيبين كرفع المؤتين؛ لأن من العرب من يقول النازلون بكل معترك..... الطيبون فهذا مثل (الصابرين).

الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ٣].

" فعلى قراءة من خفف (نزل) يدل على استقلال الجملة التي هي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران الآية ٢] ألا ترى أنه لا ضمير في قوله (نزل عليك الكتاب) يعود على اسم الله تعالى فعلى هذا ينبغي أن يكون جملة مستقلة أيضاً في قراءة من شدد (الزاء) ونصب (الكتاب) فيكون اسم الله مرفوعاً بالابتداء وقوله (لا إله إلا هو) خبر عنه، ويكون (الحي القيوم) صفة له وثناء عليه، وإن

(١) أمالي بن شجري ١/ص ٣٤٤ لا يبعدن بفتح العين أما لا يهلكن. وسم العداوة أي هم كالسم لأعدائهم ويقضون عليهم والعداة جمع عاد كقاض وقاضة ، لآفة العلة المرض. والجزر جمع جذور النافذة تجزر. والأزر جمع إزار وهو ما سستر النصف الأسفل من البدن والرداء ما يستر النصف الأعلى منه والمعاهد جمع مقعد حيث يعقد الأزار ويثني وطيب المعاهد كناية عن العفة وأنها لا تحل الفاحشة، انظر: أمالي الشجر ١/٤٤٨، وإن الواو في قوله (وأنزل الفرقان تقتضي المغايرة، والغالب أنها عاطفية عطفت جملة على جملة، لا فماداً يكون المراد بالفرقان بعد أن أشارت الآية الأولى وإلى نزول الكتب السماوية القرآن والتوراة والإنجيل، انظر التوجيه اللغوي ص ٢٠٠. فقد أورد أبوحيان ثمانية أقوال في المراد بالفرقان. المقام مما يدل على أن الآية أن مشكل القرآن التي اختلف فيها المستغربون واللغويين: ونورد بعض في هذه الأقوال:

قيل (وأنزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الإلهية؛ لأنها فارقة بين الحق والباطل ، وذكر بعد ذلك الكتب الثلاثة ليعلم ما عدها فهو من ذكر العام بعد الخاص و فمن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَأَبْتَأْ فِيهَا جَبَّارًا ﴿٧﴾ وَعَسَاءَ وَقْضًا ﴿٨﴾ وَرَبِّيونًا وَنَجْلًا ﴿٩﴾ وَوَعْدًا يَوْمَ عُلَّا ﴿١٠﴾ ﴾ عيس من ٢٧-٣٠. وقيل المراد بالفرقان القرآن وذكره تشريفاً له مع ما يشمل عليه من هذا الذكر الآخر من الوصف له بأنه بفرق بين الحق والباطل وذكر التنزيل أولاً ، الإنزال ثانياً لكونه جامعاً بين الوصفين فإنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة ثم انزل إلى النبي ﷺ مفرقاً منجماً حسب الحوادث. وقيل المراد بالفرقان: المعجزات التي قرنها الله تعالى بإنزال هذه الكتب ، وذلك لأنهم لما أتوا هذه افتقدوا في إثبات هذه الدعوة إلى دليل الله تعالى على وفق دعواهم تلك المعجزات حصلت المعرفة الفرقان: انظر: التوجيه اللغوي لمشكل القرآن ، د. مجدي محمد حسين ، ص ١١٧-١١٨.

شئت جعلت (لا إله إلا هو) ثناء عليه معترضاً بين المبتدأ والخبر، ويكون (الحي القيوم) خبرين عنه فيكون له ثلاثة أخبار وإن شئت أن تخبر عند المبتدأ بعشر أخبار أو بأكثر جاز ذلك وحسن لما يتضمنه كل خبر منها في الفائدة فكأنه أخبر عنه وأثنى عليه ثم أخذ يقص الحديث فقال (نزل عليك الكتاب)^(١). وفي ذلك يقول ابن مالك: وأخبروا باثنين أو بأكثر عن واحد، (كهم سراة شعراء)^(٢).

الآية الثالثة عشرة تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران الآية ١٩٥] "اختلفوا في قوله تعالى (قاتلوا وقتلوا) في تقديم الفعل المبني للفاعل وتأخيرها، والتشديد والتخفيف فقراء ابن كثير وابن عامر (وقاتلوا وقتلوا) مشددة التاء وقراء نافع وعاصم وأبو عمرو (وقاتلوا وقتلوا).

فعلى (قراءة حمزة والكسائي (قُتِلُوا وقَاتَلُوا) على تقديم الفعل على المفعول به؛ وهذا وإن كان القتال قبل القتل حسن؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ؛ لأن الواو لا توجب ترتيباً ويجوز أن يكون المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون لم يهنوا ولم يضعفوا، وعلى قراءة الباقيين (وقاتلوا) بالألف وقتلوا بالضم؛ الوجه لأن القتال قبل القتل، وشدد ابن كثير (التاء) (قُتِلُوا)؛ على الفعل المخفف يقع على القليل والكثير لما في الأفعال من معنى الجنسية، دون الثقيلة لما كانتا معاً لمعنى واحد وهو التأكيد اختار الخفيفة لخفتها)^(٣). فقد ظهر لنا دور العلامة الإعرابية واضحاً في الآيات التي تناولناها و إن دل هذا فإنما يدل على أهمية الإعراب والعلامة الإعرابية في تفسير القرآن ومعرفة المعاني المراد منه).

(١) الموضح في وجوه القراءات وعللها، مجدي محمد، ص ٣٩٧.

(٢) شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل ٢٥٦/١.

(٣) الحجة للفارسي، ٥٩/٢.

الفصل الرابع

السياق وأثره في تحديد المعنى

المبحث الأول: تعريف السياق وأهميته.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي على النص القرآني.

المبحث الثالث: أثر سياق المقام على النص القرآني.

المبحث الأول التعريف بالسياق وأهميته

تعريف السياق:

"السياق في اللغة لفظ ذو تشكيلات عديدة، وفي اللسان يأتي بمعنى المتابعة، ومنه (ساق الإبل يسوقها سوقاً وسياًقاً، وتساوقت الإبل أي تتابعت"^(١) وفي أساس البلاغة إن من المجاز قولهم: فلان يسوق الحديث أحسن سياق، "وهذا الكلام مساقه إلى كذا"^(٢) معناه هنا النمط الذي يتخذه الحديث في تتابعه وقريب من هذا ما ورد في المعجم الوسيط: ساق الحديث سرده وسلسله، وساقه تابعه وسايه وجاره وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجرى عليه."^(٣)

"ولا ريب أن الكلمة قد مرت بتطورات عديدة حتى وصلت إلى معناها الذي نعرفه اليوم. وقد تكون كتب التفسير من أوائل الكتب التي تبلور فيها معنى السياق بمعناه الاصطلاحي، كما نجد ذلك في كتب التفسير والفقهاء، وتطلق لفظة (السياق) في عرف المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجاً واحداً واشتمل على غرض واحد هو المقصود الأصلي للمتكلم، وانتظمت أجزاءه في نسق واحد، وقد تدل على السياق ألفاظ أخرى كالمقام ومقتضى الحال والتأليف وغير ذلك."^(٤)

"وفي المعاجم الحديثة يعرف السياق بأنه (بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه ويعرفه آخرون بأنه علاقة البناء الكلي للنص بأي جزء من أجزائه).

والإشارة إلى الدلالة المعجمية لكلمة (سياق) في هذا المقام مهم جداً؛ إذ إنها تساعد على عقد مقارنة بين المعنى اللغوي للسياق وبين الفهم الاصطلاحي لهذا اللفظ، خاصة في الدراسات اللغوية الحديثة وهي التي عنيت بالسياق ودوره في

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، مادة (سوق).

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (سوق).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (سوق).

(٤) دراسة في العلاقة بين النص والسياق من سورة البقرة، د. خلود العموش، عالم الكتاب الحديث عمان

الأردن، ط ٢٠٠٨م، د. خلود العموش، ص ٢٤.

النص اللغوي، وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في النص تساهم في صياغة الرسالة اللغوية، وهي السياقات النحوية والبلاغية والصوتية، وانطلاقاً منها يدخل العديد في الاعتبارات النفسية والاجتماعية." (١)

"أما في تراثنا القديم فلم تستخدم لفظ (سياق) عند علمائنا، ولكنهم استخدموا ألفاظاً أخرى مرادفة لها في المعنى، مثل: (السبك والنظم والتركيب والصياغة والصناعة وغير ذلك)." (٢)

"إذن البحث في هذا الموضوع واسع سعة البحث اللغوي - وله ارتباط ببعض العلوم الأخرى، مثل علم الدلالة والنحو ذلك، وإن نظرية السياق ذات علاقة وطيدة بهذا العلم الذي يعنى بدراسة المعنى بكل الوسائل اللغوية وغير اللغوية، التي تساعد في الكشف عن الدلالة ووضوحها ورفع الغموض أو اللبس عنها، فالكشف عن الدلالة لا يقتصر كما يعتقد البعض على وضوح المفردات اللغوية ووظائفها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية على مستوى التركيب، بل هناك الكثير من هذه التراكيب لا نستطيع أن ندرك معاني مفرداتها المعجمية وكذا وظائفها اللغوية ولا ندرك دلالتها الكاملة؛ لأنها تفتقد عنصراً مهماً من عناصرها وهذا العنصر سواء كان عنصراً سياقياً أو غير سياق، وهذا يعنى أن تحليل الوظائف اللغوية على مستوى الصوتيات والصرف والنحو والتعرف على العلاقات الصرفية بين المفردات على مستوى المعجم ليس هو غاية المطاف للوصول إلى الفهم الدلالي الكامل للحدث اللغوي." (٣)

(١) قد اهتم النقاد والداليون واللسانيون والأسلوبيون بالسياق من جهات مختلفة فدرس (أوستن) استخراج السياق من خلال البنية المختلفة للرسالة اللغوية واهتم علماء الدلالة بالمعنى السياقي، وقصدوا به المعنى الذي يستخرجه المخاطب من الكلام استناداً للسياق... وفيد الأسلوبيون علاقة الأسلوب بمقتضيات السياق المقامي وعلى رأسها الإطار النفسي للحدث كما عدّ النقاد السياق دعامة رئيسية في تحليل النص الأدبي، والخطاب القرآني، ص ٢٥-٢٦.

(٢) علم اللسانيات، د. عبدالقادر، ص ٥٤٠.

(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، د. عبدالمنعم خليل ط الأولى ٢٠٠٧م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص ٩.

"لأن الوصول إلى هذا الفهم الكلامي يتطلب الوقوف على السياق المقالي باعتباره عنصراً هاماً من عناصر المعنى الدلالي والمنتبع لتطور الدرس اللغوي أو علم اللغة سيجد أن النظريات اللغوية على اختلاف مناهجها كانت تركز أحياناً على الوحدة الكبرى أو الجملة من الكلام أو الحدث اللغوي مجرداً عن سياقه. ثم تطورت هذه المناهج لتوجيه النظر إلى دراسة الجملة في إطار النص أو بتعبير آخر دراسة النص باعتباره وحدة كاملة، بينما تربط نظرية السياق كل هذه الدراسة بإطارها السياقي المتعدد للوصول إلى الدلالة الكاملة للنص أو الحدث اللغوي، وعلى هذا فإن نظرية السياق تشكل ركناً أصيلاً من أركان الدرس اللغوي الحديث والمعاصر؛ ولأنّ التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا المعنى الحرفي أو المعنى الظاهر للنص وهو معنى فارغ تماماً عن محتواه الاجتماعي والتاريخي ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى" (١).

أهمية السياق:

ومن هذا المنطلق فقد اكتسبت هذه النظرية أهمية خاصة في الدرس اللغوي الحديث يمكن أن تلخص في النقاط الآتية:

١/ السياق بكل عناصره ركيزة هامة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس أو الغموض فالمعنى المعجمي لكثير من المفردات اللغوية معنى عام ومتعدد لا يحدده إلا السياق الذي ترد فيه الكلمة حيث تظهر علاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها بالإضافة إلى المقام الذي يكمل المعنى الدلالي.

كلمة (جلل) تعنى (العظيم) غير أنها في قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلُّ
وَالْفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِهِ الْأَمَلُ^(٢)

فكلمة جلل هنا تعنى اليسير، فنجد أثر السياق في تسلسل وتتابع الكلمات واضح ونجد أيضاً قيمته دلالية واضحة من خلال الجملة فقد دل ما تقدم قبل جلل

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، ص ١٠.

(٢) البيت للبيد في ديوانه، انظر شعر لبيد بن ربيعة تأليف: زكريا عبد الرحمن حسام، مطابع دار النشر،

القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٢٦.

وتأخر فإنَّ معناه كل شيء ما خلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن جمل هنا معناها العظيم. (١)

وهناك الكثير من المفردات اللغوية التي تحمل معاني متضادة تظهر دلالتها بمعونة السياق، فالسياق وحده هو الذي يحدد المعاني الدلالية لهذه الكلمات عن طريق وضعها في سياقاتها الأصلية.

٢/ للسياق دورٌ في تحديد معاني المفردات التي تتدرج تحت ما يسمى بالمشترك اللفظي homonymy وهو يعنى دلالة الوحدة المعجمية المفردة على معنيين مختلفين أو بتعبير آخر اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة.

٣/ للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى الدلالي للكلمات المترادفة. (٢)

٤/ دور السياق في توجيه الإعراب ففي العطف على جواب الجزاء مثلاً نجد ثلاثة أوجه للإعراب (٣) تخضع كلها لما يقصده المتكلم وهو عنصر من عناصر المقام. (٤)

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ١٠-١١.

(٢) وينقسم الترادف عند علماء اللغة والمعاجم في العصر الحديث إلى الآتي:

١/ الترادف المطلق absolutesynonymy.

٢/ شبه الترادف near synonymy.

أما الأول فقد اشترطوا في وقوعه أن تطابق الكلمتان في ثلاثة أصول:

أ/ ما تشير إليه الكلمة في الخارج designation

ب/ ما تستدعيه الكلمة في الذهن Connotation

ج/ درجة التطابق Range of application

(٣) ففي قولنا من يقصدني أقصده وأحسنُ إليه يجوز فيه الرفع باعتبار القطع والاستئناف والنصب باعتبار إضمار (أن) والجزم باعتبار العطف على جواب الجزاء وكل هذه الاعتبارات يوضحها المتكلم الذي يستخدم حركة الإعراب للدلالة على المقصود، وفي قولنا هذا محرم شرعاً يمكن أن يكون المنصوب منصوباً على نزع الخافض بمعنى أنه محرم في الشرع أو منصوباً على أنه مفعول لأجله أي لأجل الشرع أو منصوباً على أنه نائب عن المفعول المطلق فنصبه هنا متوقف على الدلالة التي تؤخذ من المقام انظر نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ١١.

(٤) المرجع السابق، ص ١١٢.

٥/ للسياق أثر في التمييز بين كثير من الصيغ الصرفية التي تتفق في الشكل وتختلف في المدلول، فصيغة (فاعل) قد تدل على اسم الفاعل من فعل أو من فاعل وفعل قد تكون للمصدر كضرب أو لاسم معين كبيت أو للصفة كشهم والمرجع في التفرقة بين أمثال هذه الصيغ هو السياق.

٦/ لنظرية السياق أهميته في العمل المعجمي، فالمفردات اللغوية في أصل وضعها إما أن تربطها بدلالاتها علاقة طبيعية، وذلك مثل كلمات حفيف، وخرير وصليل وإما أن ترتبط بهذه الدلالات عن طريق العلاقة الرمزية الاصطلاحية الصرفية التي تكون من صنع المجتمع؛ لأنها تمثل عاداته وتقاليده وثقافته بوجه عام لذا فإن دراسة هذا النوع من الكلمات ذو علاقة متينة بنظرية السياق التي يعد المجتمع بكل ما فيه عنصراً من عناصرها، وبناءً على ذلك فإن الدلالة المعجمية لهذه الكلمات تتطلب أن يجمع المعجمي عدداً من السياقات التي تستخدم فيها الكلمة داخل المجتمع ليصل إلى المعنى المقصود. (١).

تلك هي أهم الأسباب التي جعلت لهذه النظرية أهمية خاصة في الدرس اللغوي. (٢).

"ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها، فإنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة للأداء اللغوي في وظيفته التواصلية والإبلاغية لدى كل من منتج للكلام والمتلقي، وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية". (٣)

ولذا فإن السياق كما قيل: يشغل في البحث اللغوي المعاصر حيزاً واسعاً ويستحوذ دوره في تحديد الدلالة على انتباه الباحثين اللغويين ويستأثر باهتمامهم حتى يصير نظرية مكتملة ترتبط بجهود علماء كثيرين يأتي في مقدمتهم عالم اللغة الإنكليزي فيرث الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة ويؤكد هؤلاء

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبدالمنعم، ص ١٢-١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤.

(٣) الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، ص ٢٦.

العلماء إن معنى الكلمة لا يحدده استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة." (١)

"وبيان ذلك أن معظم الوحدات تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها." (٢)

"وعلى هذا فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة على هذا يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى لتوزيعها اللغوي." (٣)

إذاً "إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة صارت حجر أساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، كما أنها أحدثت ثورة في طريق التحليل الأدبي ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الإسناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً، كما أنها قدمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات مما ظهر على يد العالمين أوجدن وريتشاردز، وفق هذا كله وضعت مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك بما سماه فيرث ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات أي سياقات كل واحد منها ينطوي تحت سياق آخر، ولكل واحد منها وظيفة بنفسه وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى وله مكانه الخاص فيما يمكن أن نسميه سياق الثقافة، وإن علماء اللغة العرب والأصوليين كانوا قد انتبهوا قبل أن يقرر البحث اللغوي المعاصر لهذه الحقائق ووضعوها في إطار أوسع يعني (نظرية السياق) والتنبه إلى جملة من الحقائق المتصلة بقوام هذه النظرية من علماء اللغة والنحو، والأصول يقررون بوضوح أن

(١) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر، ص ٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها الدكتور صاحب أوجناح كلية الآداب جامعة مؤتة الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن ص ٢٠٧-٢٠٩.

السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان: آية ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحقير. " (١).

"ولذلك فإن المنهج النظري اللغوي المعاصر استقرت رؤيته على مبدأ التعامل مع النص كلاً واحداً لا يتجزأ فالأسلوبيون والسياقيون يرون أن السياق ينبغي أن لا يقتصر على الكلمات والجمل والحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل ينبغي أن يشمل القطعة كلها والكتابة كلها كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات.

وهذه النظرية المنهجية كانت واضحة لدى كثير من علماء اللغة فقد تأكد لديهم أهمية الوعي بالظروف والملابسات المحيطة بالنص فضلاً عما توحى به الدلالات اللغوية لمفرداته ومكوناته العامة. " (٢)

"وإذا كان المعنى في البحث اللغوي المعاصر مركباً من مجموعة من الوظائف اللغوية إلى جانب العناصر غير اللغوية تشمل الوظيفة الصوتية ثم الصرفية والنحوية والمعجمية، فإن علماء التفسير إدراكاً منهم لهذه الحقيقة وضعوا شروطاً في المفسر تتمثل في الآتي:

إتقانه لمجموعة من العلوم تتسجم مع مراحل التحليل المذكورة عند السياقيين فاشتروا في المفسر أن يكون عالماً بالقراءات وهي الجانب الصوتي في الأداء الذي يترجح به بعض الوجوه المحتملة على بعض وأن يكون متقناً لعلم التصريف والاشتقاق وعلم النحو والمعاني والبيان والبديع والمعجم وما يتصل به من علم اللغة الذي يعرف بشرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

(١) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، أبوجناح، ص ٢٠٩-٢٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١

"وإذا كانت هذه الإشارات جلية في توضيح الإطار النظري الذي رسمه الأصوليون وجلّهم من المنشغلين بدراسة اللغة والنحو لعنصر السياق ودوره في عملية الأداء اللغوي والوظيفة الإبداعية للغة، فإن أئمة النحو واللغة كانوا قد تنبّهوا منذ وقت مبكر إلى دور السياق في فهم النص اللغوي والتعامل معه، بل إلى الدور المهم الذي يشغله في نظرية المعنى عندهم، ومن ثم انطلقت تحليلاتهم للنص من خلال تصوير الموقف الذي أطلق فيه النص أو ارتجل فيه حتى يتيسر لتلاميذهم الوقوف على مجمل الملابس والدواعي التي رافقت عملية التعبير وأسهمت في توجيهها واختيار الصيغة الملائمة لها.

وتظهر المؤلفات الأولى التي تنبّه لدور السياق في فهم النص وتحليل الوظائف اللغوية المكونة لنسجه وبنيته في أقدم النصوص النحوية المدونة التي بين أيدينا." (١)

كما نجد في كتب اللغة القديمة "عبارات وحكايات متعددة محكية عن العرب منها عبارات مختصرة يغلب عليها طابع الإختزال والتكثيف لكثرة ما ترددت على ألسنتهم ومنها عبارات مجتزأة يصح القول عنها إنها مبتورة اعتمد فيها على فهم السامع وحسن إدراكه وهي (حالة ما إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بما تضمنه) وذلك إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج قاصداً في هيئة الحاج فقلت مكة ورب الكعبة، حيث كان أنه يريد مكة كأنك قلت: يريد مكة والله أو رأيت رجلاً يسدد سهماً قلت القرطاس فقلت: القرطاس والله أي يصيب القرطاس وإذا سمعت وقع السهم قبل القرطاس قلت: القرطاس والله أي أصاب القرطاس ولو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة أبي أبصروا الهلال." (٢)

وفي ذلك يقول أبوجناح عندما تحدث عن دور سيبويه في هذا العنصر "وهو بصدد أداء هذه المهمة في إيضاح هذه الأنماط التعبيرية المسموعة عن العرب وتحليل الظواهر الإعرابية الموافقة لها تعبيراً عن وظائف كلامية معرفة يستعيد

(١) دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، أبوجناح، ص ٢١٢-٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٤.

السياق الذي ولدت فيه والجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق ولادتها مما سماه (الحال) أو المقام الذي قيلت فيه ولعل أخطر ما تتبته له اللغويون العرب المتقدمون في مجال التنويه بدور السياق رصدتهم لظاهرة التحول الدلالي بسبب تغير السياق وقد سجلوا صوراً من انتقال دلالة التركيب النحوي من مفهوم وضعت له في الأصل إلى مفهوم آخر جديد.

ويوضح هذه النظرية بقوله: "قد يدخل المعنى في اللفظ دون السياق فمن ذلك قوله (عَلِمَ اللهُ لِأَفْعَلْنَ) لفظه لفظ رزق الله أي خبر ومعناه القسم ومن ذلك قوله (غفر الله لزيد) لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء ومن ذلك أنك تقول تالله لأفعلن فتقسم على معنى العجب ولا تدخل التاء على شيء من أسماء الله غير هذا الاسم؛ لأن المعنى الذي يوجب التعجب إنما وقع هاهنا، وقولك: غفر الله لزيد فلفظه لفظ ما قد وقع ومعناه أسأل الله أن يغفر له، فلما علم السامع أنك غير مخبر عن الله بأنه فعل جاز أن يقع ما ذكرناه ولم يفهم عن قائله إلا على ذلك." (١).

وفي ذلك قولهم: إن همزة الاستفهام تخرج عن الاستفهام الحقيقي لثمانية معان. (٢)

إذاً من خلال سردنا لهذه النظرية "إن مزية الألفاظ في تركيبها لا في أفرادها، وعلم بان التفاوت والتفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن تركيب أعسر وأشق ألا ترى أن ألفاظ القرآن الكريم من حيث أفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه، وليس ذلك إلا بفضل التراكيب" (٣).

(١) نظرية السياق، عبد المنعم، ص ٢١٨.

(٢) منها همزة التسوية، والإنكار والإبطال، والإنكار التوبيخي، والتقرير والتهمك والأمر والتعجب والاستبطاء وذكر بعضهم معان آخر لا صحة لها وقد عقب الدمامين قائلاً أي لا مانع من أن همزة الاستفهام عند امتناع حملها على حقيقة الاستفهام أن يتولد لها بمعونة القرائن ما يناسب المقام غير ما ذكر من المعاني الثمانية وقد أكد المتبني لهذا الاحتمال الذي يتولد بمعونة القرائن السياقية بقوله: من استعمال همزة التهديد والوعيد قوله تعالى: (أَلَمْ نُهِكُمُ الْأَوْلِينَ) [سورة المرسلات الآية ١٦] ولتهديد ليس في المعاني الثمانية التي ذكرت أنظر كتاب نظرية في دراسة النحو العربي وتطبيقاتها، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) نظرية السياق، أبو جناح، ص ٢١٩.

ويتضح لنا ذلك أن هذه التقسيمات الأربعة تخضع لنظرية السياق سواء كان السياق الصوتي الذي يتعلق بذوق العربي للكلمة والحروف التي ركبت منها أو سياقها التركيبي داخل نظم المفردات التي هي وعاء المعاني.

وقد ذكرنا سابقاً أن علماءنا قد تصدوا لنظرية السياق تحت ما يسمى بالنظم والمعنى أو السبك وغير ذلك من مصطلحاتهم فمن هؤلاء عبدالقاهر الجرجاني: الذي تعرض لنظرية السياق في باب (اللفظ والنظم فقال: إنَّ الألفاظ ما هي إلا رموز للمعاني المفردة تدل عليها هذه الرموز أو هي مجرد علامات أو إشارة إلى شيء (ما) وليست الدلالة على حقيقته، فإن الإنسان يعرف مدلول اللفظ المفرد أولاً، ثم يعرف هذا الذي يدل عليه.

ثانياً: فإن الدلالة على حقيقة الشيء لا تكون إلا إذا نظمت تلك الألفاظ في (سياق معين).^(١)

إذن يتضح لنا مما سبق من كلام الجرجاني أن الألفاظ والمعاني تتلاحم فيما بينها لأداء الدلالة المقصودة، لأن اللفظ عنده خدم للمعاني. وإن المعاني كالجواري وأن الألفاظ كالمعارض.

"وقد تناول النقاد نظرية النظم والسياق تحت ما يعرف بالدراسات الأدبية والنقدية لتعلقها بسر الإبداع في الأساليب العربية فإنَّ قضية الشكل والمضمون قد شغلت علماء اللغة قديماً وحديثاً لأهميتها في الحدث الكلامي وخاصة في اللغة العربية عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة. ولهذا يقول علي رمضان: (كانت المعركة على أشدها بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى، وهي قضية نقدية أصلية بين (اللفظ والمعنى) وصل إليها نقاد العرب في القرن الثالث الهجري على يد أبي عثمان الجاحظ الذي عنى باللفظ والمعنى معاً، ولكن ليس هو أول من اعتنق مذهب الصياغة والصناعة فقد سبقه إليه بعض النقاد العرب."^(٢)

(١) عبدالقاهر الجرجاني، بلاغته ونقده: علي رمضان، ص ٢٥.

(٢) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص ٢٥.

ويقول على رمضان عندما سمع الجاحظ أبا عمر الشيباني قد استحسنت بيتين من الشعر لحسن معناه مع سوء العبارة واللفظ:

لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتِ الْبَلِيِّ فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤْلُ الرَّجَالِ
كَلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ لِذَلِكَ السُّؤَالِ^(١)

قال الجاحظ معلقاً على هذين البيتين: (أنا أزعج صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً).^(٢)

أيضاً من قوله في المعنى والنظم قولته الشهيرة: (إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنما البيان في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثر الماء وصحة الطبع وجودة السبك وإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير).

"فإن سر الإبداع في الأساليب راجع لجمال النظم وحسن الصياغة فيها ويستشهد بالآية الكريمة ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنفال: آية ٥٨] يقول فيها لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية للمعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستودعها فتقول: (إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة أو نقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء وهذا الكلام من صميم النظم وعلاقات الترابط بين اللفظ والمعنى"^(٣).

إذن القرآن الكريم كما ذكرنا "قد اهتم بالنظم والسياق وأنه (أي القرآن) يأخذ المعنى المعجمي ويهتم بالصورة الصوتية والنظم والسياق في نفس الوقت وهذا الارتباط بين اللفظ والمعنى لا سبيل إلى الفكاك عنه، وإن الإنسان ليقراً النص القرآني فيعجب لهذه المواقف والمشاعر المتباينة التي يمر بها أو تمر عليه ينشرح

(١) كتاب الحيوان، أبو عمرو بن جريد محبوب الكنانى المعروف بالجاحظ البصري من أشهر مؤلفاته كتاب الحيوان، البيان والتبيين وهو معتزلي، توفي ٢٥٥هـ، ٢١٩/١ باب شعر ابن المقفع.

(٢) المرجع السابق، ١٣١/١-١٣٢.

(٣) ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية، د. محمد الحربي، ط ١، ص ١٩٦.

صدره تارة ويرتعد تارة أخرى وتفيض عيناه بالدمع وترتعد فرائضه من الرعب وتتوالى أمامه الصورة فكأنما يكاد يلمس المعنى بيديه أو يراه بعينه، ومن الطبيعي أن هذا التأثير لا يتأتى من مجرد المعنى الأصلي للكلمات بل مما يفعله السياق اللغوي في نفس القارئ مع أخذ المعنى في الاعتبار^(١).

لذلك نجد أن القرآن الكريم يهتم بكل الجوانب السياقية والصوتية والصرفية وعندما نتحدث عن المخارج والأصوات المجهورة والمهموسة ما هو إلا نوع من الظواهر الصياغية والإدغام والإظهار ظاهرة سياقه وكراهية توالى الأمثال أيضاً سياقية والتناسب وحركة المناسبة والمتقاربان، والمتماثلان والحذف والإسكان والإشباع والإضعاف والنبر والتنغيم والإعلال والإبدال مروراً بالقواعد النحوية والصرفية كلها في الحقيقة تتلاحم فيما بينها لتكوّن لنا جملة لتوصلنا إلى المعنى المقصود من اللفظ ولتتماشى مع لذوق العربي وحسن الأداء للغة العربية وصدق الله العظيم حيث قال:

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة النحل: آية ١٠٣]

"ومع تعدد هذه الميادين واختلاف الاتجاهات النظرية لأصحابها فأنها تتفق في أن السياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التواصلية والابلاغية لدى كل من منتج الكلام والمتلقي، وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية ويأتي السياق في نوعين:

١/ السياق اللغوي.

٢/ السياق الحالي.

(١) كتاب ودراسات قيم في علم القلم، ص ٢٩٧.

المبحث الثاني

أثر السياق اللغوي على النص القرآني

مدخل:

"السياق اللغوي Linguistic- context وهو يعنى ذلك المعنى الذي ورد لهذه الكلمة في المعجم أي معنى الكلمة في الجملة أو العبارة أو بمعنى آخر المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكون معها جملة أو عبارة من ذلك مثل كلمة "ضرب" فهي تعنى:

١/ ضرب مدفعاً بمعنى أطلقه.

٢/ ضرب النار بمعنى أشعل.

٣/ ضرب البوق بمعنى زمر.

٤/ ضرب الإسلام الجاهلية بمعنى أبطلها.

ونجد في ذلك أن السياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود من بين هذه المعاني المختلفة لهذه الكلمة الواحدة وقد ساق الإمام السيوطي^(١) أمثلة من القرآن الكريم لبعض الألفاظ التي تأتي بمعان متعددة يحددها السياق.^(٢)

ويقول من ذلك الهدى، يأتي على سبعة عشر وجهاً بمعنى الثبات ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: آية ٦] البيان ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: آية ٥] وبمعنى الدين والدعاء ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: آية ٧] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [سورة الأنبياء: آية ٧٣] بمعنى القرآن ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [سورة النجم: ٢٣] وبمعنى

(١) هو عبدالرحمن ابن أبي بكر بن محمد الحضري السيوطي، إمام وحافظ ومؤرخ، له نحو ٦٠٠ مصنف من مؤلفاته الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، وجمع الجوامع وجمع الهوامع. انظر: كتاب الأعلام للزركلي ٣/ ٣٠١.

(٢) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ٣٥-٣٧.

الإيمان ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [سورة مريم: ٧٦] المعرفة ﴿ وَعَلَّمَتِ
وَبِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل: آية ١٦] ^(١).

ولذا "فإن السياق اللغوي في النظرية السياقية هو عبارة عن نظم الكلمة في
الجملة وموقعها من ذلك النظم وعلاقتها بالكلمات السابقة واللاحقة لها وأن هذه
العلاقة في الإطار اللغوي تعتبر كل كلمة هي وحدة لغوية تأخذ مكانها المناسب
داخل النظام هذا المكان المناسب هو الذي يحدد معنى الكلمة ولعل مفهوم السياق
ودوره يتضح بشكل جلي".

وخلاصة القول "إن المقصود بالسياق اللغوي في الاصطلاح هو ما عبر عنه
علماء اللغة بأنه (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم).

لذا "فإن السياق اللغوي كالتطريق لا بد من معالم توضيحية له، ولاشك أن مباني
التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية وصور شكلية وكذلك مباني التصريف لما
تمتاز به من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جداً توضح منحنيات هذا الطريق ولكن
السياق حتى وضوح الصيغ واللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الأخرى
التي تتضح بها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات." ^(٢)

ويقودنا هذا إلى الحديث عن مكونات هذا النوع من السياق التي تُعين على
توضيح العلاقات والوظائف التي تحكم تلك المكونات والعلاقات تلك التي تكون بين
الضماير أو الأبواب في الجملة، مثل علاقة الفعل بفاعله أو نائب فاعله ومفعوله أو

(١) ويمضى السيوطي في ذكر هذه الكلمات منتبهاً معانيها في سياق الآي أنظر كتاب الإتقان في علوم القرآن

بل أفرد لهذا النوع كتاباً سماه معترك الأقران في إعجاز القرآن والإتقان في علوم القرآن، ص ٢٩٩.

(٢) ويقصد بمباني التقسيم الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة: اسم الفعل اسم الصوت صيغة التعجب

وقلي المدح والذم والظرف والأداة، ويقصد بمباني التصريف صور التعبير عن الشخص (التكلم، الخطاب

الغيبية) العدد (الأفراد والتنثية الجمع) النوع: التذكير التأنيث التعيين (التعريف التكرير) ويقصد باللواصق

الضماير المتصلة وحروف المضارعة ألف التنثية واو الجماعة تاء التأنيث ألف القصر وهمزة المد وتاء

التأنيث ونون النسوة والألف واللام للتعريف، اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٤.

ضمنية معينة تثبت علاقة أو جهة خاصة في الجملة كباقي المفاعيل والحال، والاستثناء والتميز والتوابع إلى غير ذلك." (١)

ولذلك فإن هذه الدراسة يظهر فيها دور السياق وأهميته في تفسير وفهم دلالة الجمل ويعتبر عنصراً مهماً من عناصر الدلالة، فإن كل النظريات والمدارس التي ذهبت مذاهب شتى في شأن دراسة المعنى، كانت أهدافها الوصول إلى ما وراء الرموز اللغوية من معانٍ، وفك تلك الرموز ما كان منها واضحاً أو خفياً - ومن المفترض ألا يكون هناك معنى خافٍ مبهمٍ إلا إذا غاب المنهج المتكامل لدراسة المعنى.

ولقد فصلنا القول فيما مضى عن أهمية نظرية السياق قديماً، وحديثاً، وما تقدمه من وسائل متعددة تجعل منها منهجاً متكاملًا، يتضح به كل قول، ويتذلل كل معنى عسرت مسالكه بالعموم والغموض، أو بالتعدد والاحتمال.

ولقد تركت لنا اللغة العربية في رحلة حياتها الطويلة المليئة بالحضارات نصوصاً خالدة نثراً ونظماً وقف عندها الشراح والمفسرون متفقين تارة ومختلفين تارة أخرى.

وإن الكلمة في السياق تستوعب بُعداً دلاليًا علاوة على معناها المعجمي الذي تحمله، لأن السياق يربطها بما قبلها وما بعدها وأحياناً بمقامها ومحيطها لذا نجد بعض المعاصرين كتمام حسان وغيره يتكلمون كثيراً عن نظرية السياق ودورها في تفسير النص باعتبارها خادمة للنص من كل جوانبه لغوية وغير لغوية في ملابسات وظروف خارجية.

ونجد أن اولمان قد عدها حجر الأساس في علم المعنى يقول: " إنَّ نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن - وفوق هذا كله فقد

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د.محمد صلاح الدين مصطفى، الكويت مؤسسة الصباح، ط

وضعت نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق ما سماه الأستاذ (فيرث) ترتيب الحقائق في سلسلة من السياقات أي سياقات كل واحد ينضوي تحت سياق آخر ولكل واحد منهما وظيفة بنفسه وهو عضو في سياق أكبر وفي كل السياقات الأخرى وله مكانه الخاص في ما يمكن أن نسميه سياق الثقافة^(١).

"فارتباط الكلمة بما قبلها وما بعدها يكاد يكون هو الفصل في البعد الدلالي للكلمة، ثم العلاقة بين الجملة والجملة وهذا ما نلاحظه عند علماء القراءات تحت اسم (علم المناسبة بين الآيات والسور فهم يبحثون عن دلالة السياق بين الآيات والسور ليكتشفوا من خلالها الروابط العقلية أو الذهنية أو اللغوية؛ لأن المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص وحدة بنائية متماسكة لذلك تحتاج إلى نفاذ بصيرة لاقتحام آفاق النص الإلهي.

يقول الزرقاني: في وحدة ترابط النص (وبيان ذلك أن القرآن الكريم نقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوى الإتصال أخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه... نظمت حروفه وكلماته وبدأ أوله موالياً لآخره."^(٢)

ومنه قول السيوطي عند المناسبة بين سورة البينة وسورة الزلزلة أقول: لما ذكر في آخر (لم يكن) إن جزاء الكافرين جهنم وجزاء المؤمنين جنات فكأنه قيل متى ذلك. فقيل (إذا زلزلت الأرض زلزالها)"^(٣).

ولأهمية السياق ودوره في تحديد النص اللغوي رأى الباحث أنه لا بد من أن يتناول هذا الجانب وذلك برؤيته المتواضعة والقاصر في هذا الجانب مستعيناً بما رسمه علماء القرآن الكريم واللغة والتفسير ونحو وغيرهم في هذا المجال الحيوي الذي يستحق البحث والقراءة والتمحيص حتى يتجلى دور السياق واضحاً جلياً ويعين القارئ والباحث على فهم القرآن الكريم واللغة العربية.

(١) دور الكلمة في اللغة، اولمان ترجمة كمال بشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٢م، ص٦٦-٦٧.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني محمد عبدالعظيم تصحيح أمين سليم، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٨م، ٤٤/١.

(٣) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص ٢٩٧.

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [سورة آل عمران: الآية ٧] دار خلاف شديد بين النحاة والمفسرين.

في الواو من قوله تعالى (والراسخون) هل هي استثنائية فيوقف على ما قبلها أم عاطفة فيوصل ما قبلها بما بعدها؟ وبمعنى أدق هل يكون علم تأويل المتشابه قاصراً على الله أم يشاركه في علمه الراسخون في العلم؟
فمن قال الواو استثنائية وهو قول تميل إليه أغلب آراء المفسرين^(١) والتقدير عند ابن هشام: "وأما الراسخون في العلم وعلى هذا يكون الوقف عنده على قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } وكأنه تعالى قال: (وأما الراسخون في العلم فيقولون آما به) وزعم أنه جاز حذفها لأنه قد جرى ذكرها وهو قوله تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ }." (٢).

ويقول الزمخشري: "أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يُحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا عليه بضرس قاطع"^(٣)

(١) الكشف للزمخشري ١/٣٣٣.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، ص ٦٣.

(٣) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص ١٢٢.

"وظاهر التركيب يتعارض مع ما ذهب إليه الزمخشري، إذ لو كانت الواو عاطفة لأدى ذلك إلى اللبس؛ لأن قوله { يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا } سيكون صادراً في هذه الحالة من الله ومن الراسخين وهذا كلام لا يستقيم." (١)

وفي ذلك يقول يحيي رمضان: "والحقيقة أنّ من يتتبع هذه المسألة سيجد خطأ كبيراً إلى الحد الذي يصبح فيه أحد الصحابة كابن عباس -رضي الله عنه- قائلاً بالوقف وضده فهو قال بالوقف على الله وفي الوقت نفسه بالوقف على (الراسخون في العلم) وهو يعتبر من القائلين بعدم قدرة البشر على معرفة المتشابه، ينقل عنه أنه قال: (أعلم كل القرآن إلا أربعة الغسلين والحنان والرقيم ثم روى عنه أنه علم ذلك وروى عنه أنه كان يقول الراسخون في العلم يعلمون تأويله وأنا ممن يعلم تأويله.".

وقال يحيي رمضان نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي القول بالعطف وقال ليس في القرآن شيء أستأثر الله بعلمه بل وقف العلماء عليه؛ لأنّ الله تعالى أورد هذا مدحاً للعلماء فلو كانوا لا يعرفون معناه لشاركوا العامة وبطل مدحهم" (٢).

ويسأل يحيي رمضان سؤالاً عن قوله تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } الواو للعطف أم الأولى الوقف على الله قلنا كل واحد محتمل فإن كان المراد يوم القيامة فالوقف أولى وإلا فالعطف إذ الظاهر إنّ الله تعالى لا يخاطب العرب بما لا سبيل إلى معرفته لأحد من الخلق." (٣).

ويظهر دور السياق هنا في تفسير وإعراب الآية الكريمة من خلال العطف أو الاستئناف الذي يعتبر نوعاً من أنواع السياق اللغوي الذي يربط الجمل بعضها

(١) قوله (وما يعلم تأويله إلا الله) معناه إنّ أستأثر بعلم تأويل المتشابه وهو قول ابن سعود ومالك بن أنس وابن عباس والحسن وعروة وعمر بن عبدالعزيز وعائشة وغيرهم وحيثنذ (الراسخون) يكون مبتدأ (ويقولون) خبر عنه، ومنهم من قال بالعطف واستدل بدعاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، ما يبين ذلك أي علمه معاني كتابك وكان عمر إذا وقع مشكل في كتاب الله يستدعي بن عباس ويقول له غيص غواص ويجمع أبناء المهاجرين والأنصار ويأمرهم بالنظر في معاني الكتاب أنظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي القرناطي في تفسير قوله تعالى { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } التوجيه اللغوي لمشكل القرآن الكريم، مجدي حسين، جامعة الإسكندرية، ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٢٣

(٣) المرجع السابق ١٢٤.

ببعض فمن هنا نجد أن المعنى الدلالي اختلف باختلاف الواو وموقعها من الجملة هل هي استثنائية أم عاطفة بين الجملتين ولكل من الإعرابين اختلاف دلالي.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا

تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٢٩]

قوله تعالى: { فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ }. ففي الآية الكريمة نهى للرجل على أن يحيف بين نسائه وأن لا يعدل بينهما فلا يترك المرأة معلقة، إلا أن السياق جاء لينوع لنا الدلالة ويعطيها قوة في المعنى، والنهي، قال في الدر المصون "فتدروها" فيها وجهان:

أحدهما: أنه منصوب بإضمار "أن" في جواب النهي.

الثاني: أنه مجزوم عطفاً على الفعل قبله أي لا تدروها.

ففي الأول نهى عن الجمع بينهما، وفي الثاني نهى عن كل على حدته وهو أبلغ والضمير في "تدروها" يعود إلى الممیل عنها لدلالة السياق عليها وبقوله "كالمعلقة" حال من "الهاء" في "تدروها" فيتعلق بمحذوف أي فتدروها مشبهة المعلقة ويجوز عندي أن يكون مفعولاً ثانياً، لأن قوله "تذر" بمعنى تترك وتترك يتعدى لاثنتين إذا كان بمعنى صير. (١)

فدور السياق هنا يظهر من خلال الوجهين اللذين ذكرهما صاحب الدر المصون فمن نصب (تدروها) جعل أن مضمرة مربوطة بالسياق في جواب النهي أي فلا تدروها ومن جزمها جعلها معطوفة على الفعل الذي قبلها.

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:

الآية ٤٤]

(١) الدر المصون، للسمين، ١١١/٣.

"الضمير في "نوحيه" قيل عائد إلى "ذلك" إشارة إلى ما تقدم ذكره من قصص امرأة عمرنا وبناتها مريم وزكريا ويحيى، وقيل أنه عائد على الغيب أي شأننا أننا نوحى إليك الغيب ونعلمك، ولذلك أتى بالمضارع ويكون أكثر فائدة من عود الضمير على ذلك؛ إذ يشمل ما تقدم من القصص وغيرها التي يوحىها إليه في المستقبل إذ يصير نظير زيد يطعم المساكين فيكون إخبار بالحالة الدائمة والمستعمل في هذا المعنى إنما هو المضارع إذ يلزم من عوده على ذلك أن يكون نوحيه بمعنى أوحيناها إليك؛ لأنَّ الوحي به قد وقع وانفصل فيكون أبعد في المجاز منه؛ إذا كان شاملاً لهذه القصص وغيرها." (١)

"وقيل إن الضمير في "نوحيه" عائد على الغيب أي الأمر والشأن إنا نوحى إليك الغيب ونعلمك ونظرك على قصص من تقدمك مع عدم مدارسك لأهل العلم والإخبار، وذلك أتى بالمضارع في "نوحيه" وهذا أحسن من عوده على "ذلك"؛ لأنَّ عوده على الغيب يشمل ما تقدم من القصص وما لم يتقدم منها، ولو أعدته على ذلك اختص بما مضى وتقدم وقيل أن يكون "نوحيه" هو الخبر "ومن أنباء الغيب" على وجهيه المتقدمين من كونه حالاً من ذلك أو متعلقاً بنوحيه" (٢).

فأثر السياق فهو مرجع ضمير الخطاب (إليك) العائد إلى ما تقدم ذكره من قوله تعالى من أنباء الغيب أي قصص آل عمران التي تقدم ذكرها أم هو عائد على الغيب أي شأننا أننا نوحى إليك الغيب فالسياق سياق جمل لربط الجمل فيما بينها.

(١) مرجع الضمير في القرآن الكريم، د. محمد حسين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢٠٠١، ص ١٣٤.

(٢) الدر المصون، السمين ٣ / ١٧٠.

الآية الرابعة قوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا ^(١) حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]

نجد "أن كلمة "شفا" مذكر ولكن الضمير في "منها" يعود على مؤنث وهو مقام الشاهد عندنا فكيف يعود الضمير المؤنث على المذكر ولا بد من المطابقة.

قيل جاء الضمير مؤنثاً لأنَّ معنى الشفه وهي مؤنثة وقيل اكتسب كلمة "شفا" التأنيث من المضاف إليه حفرة كما يقال "قطعت بعض أصابعه" فإنَّ المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه إذا كان بعضاً منه أو فعلاً له أو صفة كما صرح به بن مالك بقوله:

وَرُبَّمَا أَكْسَبَ ثَانٍ أَوْلَا * تَأْنِيثًا إِنْ كَانَ لِلْحَذْفِ مَوْهَلًا ^(٢)

ومنه قول الشاعر:

وَتُشْرِقُ بِالْفُؤْلِ الَّذِي أَدْعَتْهُ * كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ بِالدِّمِ ^(٣).

وقيل عود الضمير إلى الحفرة أتم؛ لأنها هي التي يمتنَّ بالإنقاذ منها حقيقة وأما الامتتان بالإنقاذ من الشفا فلما يستلزمه الكون على الشف غالباً من الهوى إلى الحفر فيكون الإنقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التي يتوقع فيها إضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة أبلغ وأوقع مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عدوه من ضروريات الشعر، وقوله: "فأنقذكم منها" ولم يقل منه، لأن المقصود في الخبر "النار" أي فأنقذكم منها النبي ﷺ - أي أن الضمير أنث لأنه يعود على النار.

(١) شفا الشيء طرفه وحرفه وهو مقصور من ذوات الواو يثنى الواو نحو شفوين ويكتب بالألف ويجمع على اشفاء ويستعمل مضافاً إلى أعلى الشف وإلى أسفله فمن الأول شفا جرف ومن الثاني هذه الآية وأشفى على كذا أي قاربه ومنه اشفى المريض على المرض يقال للرجل عند موته وللقمر عند محاقه وللشمس عند غروبها ما بقي منه أو منها غير شفاء أي إلا قليلاً... انظر التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، ص ١٣٥.

(٢) ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ص ٩٠.

(٣) البيت من الطويل وهو للأعشى في ديوانه ص ١٧٣، والأشباه والنظائر ٢٢٥/٥. والشاهد فيه قوله: وتُشْرِقُ بِالْفُؤْلِ الَّذِي أَدْعَتْهُ حيث أكسب المضاف وهو قوله صدر من المضاف إليه وهو القناة التأنيث وذلك جاء في العربية إذا صح الحذف كما سبق في قول ابن مالك.

وقال أبوحيان: لا يحسن عود الضمير إلا على الشفا؛ لأن كونهم على الشفا هو أحد جزئي الإسناد فالضمير لا يعود إلا عليه، أما ذكر الحفرة فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها ألا ترى أنك إذا قلت كان زيد غلام جعفر ولم يكن جعفر محدثاً عنه وليس أحد جزئي الإسناد وكذلك لو قلت: ضرب زيد غلام هند لم تحدث عن هند بشيء وإنما ذكرت جعفر وهند مخصصاً للمحدث عنه إما إذا ذكر النار فإنما جئ بها لتخصيص الحفرة وليست أيضاً أحد جزئي الإسناد لها^(١).

وقال الزمخشري أيضاً: "إن الضمير يعود على "الشفا"؛ لأنه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالإنقاذ من الحفرة وقد علم أنهم كانوا صائرين إليها لولا الإنقاذ الرباني فبولغ في الإتيان بذلك ألا ترى إلى قوله -ﷺ- (الرَّاعِي حَوْلَ الْحَمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ)^(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكُنْهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكُنْهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٠٩]

فانظر كيف جعل كون البنيان على الشفا سبباً مؤدياً إلى انهياره في نار جهنم مع تأكيد الحفرة ذلك بقوله (هار)^(٣).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨٠]

نجد أن دور السياق في قراءة من قرأ بالغيبة وقراءة من قرأ بالخطاب في تحديد توجيه المعنى الدلالي في الآية الكريمة.

"فقد قرأ حمزة بالخطاب: والباقون بالغيبة"^(٤).

فعلى قراءة حمزة فا"الذين" مفعول أول و"خيراً" هو المفعول الثاني، ولا بد من حذف مضاف ليصدق الخبر على المبتدأ وتقديره {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ}.

(١) البحر المحيط لأبي حيان، ١١٤/٣.

(٢) سنن ابن ماجة، ١٣١٨/٢، دار الفكر، بيروت، د. ت.

(٣) الكشاف للزمخشري ٥٢٢/١.

(٤) الحجة في القراءات السبعة للفارسي ٥٦/٢.

وقال أبو البقاء وهو ضعيف؛ لأنَّ فيه إضمار البخل قبل ذكر ما يدل عليه وفيه نظر؛ لأن الدلالة على المحذوف قد تكون متقدمة وقد تكون متأخرة، وليس هذا من باب الإضمار في شيء حتى يشترط فيه تقدم ما يدل على ذلك الضمير. وهو فيه وجهان أحدهما: أنه فصل بين مفعولي تحسبً والثاني أنه توكيد وهو خطأ؛ لأنَّ المضمّر لا يؤكد المظهر والمفعول الأول اسم مظهر ولكنه حذف كما تقدم، أما قراءة الجماعة فيجوز فيه الآتي:

١/ أن يكون الفعل مسنداً إلى ضمير غائب إمّا المرسل وما حاسب ما، ويجوز أن يكون مسنداً إلى الذين فإن كان مسنداً إلى ضمير غائب فالذين "مفعول أول على حذف مضاف كما تقدم ذلك في قراءة حمزة أي "بخل الذين يبخلون" والتقدير ولا يحسبُ الرسول أو أحد بخل الذين يبخلون خيراً و"هو" فصل كما تقدم، وإن كان مسنداً لـ"الذين" ففي المفعول الأول وجهان أحدهما أنه محذوف لدلالة يبخلون عليه كأنه قيل "ولا يحسبُ الباخلون بخلهم هو خيراً لهم" و"هو" فصل ودل على هذا يبخلون كما دل على السفه السّفه في قول:

إِذَا نُهِىَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفُ وَالسَّفِيَهُ إِلَى خِلَافٍ^(١).

أي جرى إلى السفه وليست الدلالة فيها سواء لوجهين أحدهما أن دلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل عليه والوجه الثاني: أن "هو" أنه المفعول نفسه وهو ضمير البخل الذي دل عليه "يبخلون" كقوله تعالى: ﴿أَعِدُّوا لَهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨] وقيل غير ذلك لأنه ينبغي أن يكون ضميراً بصفة المنصوب فيقول "إياه" لكونه منصوباً بـ"يحسبُ".^(٢)

وقيل إن مناسبة هذه الآية لما قبله أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الأرواح في الجهاد في الآيات السابقة شرع في التحريض هنا على بذل الأموال في

(١) البيت من الوافر وهو لأبي قيس الأسلت الأنصاري ٩٠٢/١ وخزانة الأدب ٣٦٣/٤، والشاهد فيه هو أن الضمير في إليه راجع إلى المصدر المدلول عليه بالوصف أي إلى السفه.

(٢) الدر المصون للسمين ٥١٠/٣-٥١١.

الجهاد وغيره وبين الوعيد الشديد لمن يبخل والبخل الشرعي هو عبارة عن منع بذل الواجب.

ولذلك عندما تحدث عن الآية من الناحية السياقية خرج فتُخَرَّج القراءة على أنه من كون الذين هو المفعول الأول على حذف مضاف و"هو" ضمير فصل. ومن ذلك قول الشاعر السابق: إذا نهى السفية جر إليه...

والمعنى جرى إلى السفه وليست الدلالة فيهما على ما سواء وذلك لوجهين: أحدهما: أن الدال في الآية الكريمة هو الفعل وفي البيت هو اسم الفاعل ودلالة الفعل على المصدر أقوى من دلالة اسم الفاعل ولذلك كثر إضمار المصدر لدلالة الفعل عليه في القرآن الكريم وكلام العرب ولم تكثر دلالة اسم الفاعل على المصدر وإنما جاءت في هذا البيت".^(١)

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٦٩]

"على هذه القراءة ف"الذين" مفعول أول و"أمواتاً" مفعول ثانٍ، والفاعل إما ضمير كل فمخاطب أو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام، وقرأ حميد بن قيس وهشام بخلاف عنه "يحسبن" بياء الغيبة وفي الفاعل وجهان:

أحدهما: أنه ضمير إما ضمير الرسول وإما ضمير من صلح لحسبان أي حاسب".^(٢)

الثاني قول الزمخشري: "وهو أن يكون "الذين قتلوا" قال: ويجوز أن يكون "الذين قتلوا فاعلاً" والتقدير ولا يحسبهم الذين قتلوا أمواتاً أي ولا يحسبن الذين قتلوا

(١) البحر المحيط لأبي حيان، ٣/١٢٧-١٢٨.

(٢) وفي قراءة حميد بن قيس بأن هذا التقدير يؤدي إلى تقديم الضمير على مفسره وذلك لا يجوز إلا في أبواب محصورة وعدّ باب ربه رجلاً ونعم رجلاً زيدٌ والتنازع عند أعمال الثاني في رأى سيبويه والبدل على خلاف فيه وضمير الأمر... أنظر الدر المصون، ٣/٤٨٠.

أنفسهم أمواتاً، فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول؟ قلت هو في الأصل مبتدأ محذوف كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء لدلالة اللام عليه. (١)
وقال أبوحيان: " (ولا تحسبن) بالتاء الخطاب للسامع وبالياء "ولا يحسبن" هو أي حاسب وبالتاء أيها السامع وقيل: الخطاب للرسول -ﷺ-. " (٢)

وفي الآية الكريمة جاء دور السياق من خلال القراءتين ليبين لنا مرجع الضمير في حرفي المضارعة ويساعدنا على تأويل القراءتين في ذلك، فعلى قراءة تحسبن وهو الرسول ﷺ وعلى قراءة يحسبن على أن المخاطبين هم الذين يبخلون.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾
[سورة النساء: الآية ٢٩]

ويتجلى دور السياق واضحاً في قوله تعالى {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً} وذلك من خلال اختلاف النحاة في الاستثناء هل هو منقطع أم متصل؟.

وفي ذلك قال صاحب الدر المصون: قوله تعالى "{إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً}" ففي هذا الاستثناء قولان أحدهما: وهو الأصح أنه استثناء منقطع لوجهين:
١/ أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكولة بالباطل حتى يستثنى عنها خسرت بالباطل بغير عوض أو بغير طريق شرعي.

٢/ أن المستثنى كون والكون ليس مالاً من الأموال.
القول الثاني: أنه استثناء متصل واعتل صاحب هذا القول بأن المعنى لا تأكلوها بسبب إلا أن تكون التجارة. وقيل هذا القول ضعيف.
لأنه قال "بالباطل" والتجارة ليست من الباطل وفي الكلام حذف مضاف تقديره إلا في حال كونها تجارة أو في وقت كونها تجارة. (٣)

(١) الكشف للإمام الزمخشري، ١/٥٢٢.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان، ٣/١١٢.

(٣) وقد قرأ الكوفيون (تجارة) بالنصب على أن كان ناقصة واسمها مستتر يعود إلى الأموال وقرأ الباقون "تجارةً" رفعاً على أن كان تامة، انظر الدر المصون، ٣/٦٦٣-٦٦٤.

وقال الزمخشري: "إلا أن تكون تجارة" أي إلا أن تقع التجارة عن تراض منكم، والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو لكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه.

وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضٍ وخص بالتجارة لأنها أسباب الرزق أكثرها متعلق بها". (١)

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفَيْتُمْ أَنفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [سورة النساء: الآية ٩٧-٩٨]

في الآية ٩٧ نجد أن الله سبحانه وتعالى ذم الذين ماتوا على كفرهم واستكانوا على ظلم أنفسهم ولم يهاجروا بدينهم في سبيل الله وعانتهم بقوله تعالى موبخاً لهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا} ثم وعد هؤلاء بان مأواهم جهنم وساءت مصيراً واستثنى منهم المستضعفين الذين لا يجدون سبيلاً ولا هدى وهو المعنى المستفاد من الآيتين الكريمتين.

"فوجد في قوله تعالى {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ} في هذا الإستثناء قولان:

أحدهما: أنه متصل والمستثنى منه {فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} والضمير يعود على المتوفين ظالمي أنفسهم قال هذا كأنه قيل فأولئك في جهنم إلا المستضعفين فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً.

والقول الثاني: وهو الصحيح أنه منقطع؛ لأن الضمير في مأواهم عائد على قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ} وهؤلاء المتوفون إمّا كفار أو عصاة بالتخلف عن الهجرة

(١) الكشاف، للزمخشري، ١/٥٢٢.

كما قال المفسرون؛ فهم حينئذٍ قادرون على الهجرة فلم يندرج فيهم المستضعفون فكان الاستثناء منقطع و { مِنْ الرِّجَالِ } حال من المستضعفين. (١)

وقال أبوحيان: "الذي يقتضيه النظر أنه استثناء منقطع؛ لأن قوله { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ } يعود الضمير في ماوهم إليهم وهم على أقوال المفسرين إمّا كفار أو عصاة بالتخلف عن الهجرة وهم قادرون فلم يندرج فيهم المستضعفون المستثنون؛ لأنهم عاجزون فهو منقطع لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً". (٢)

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ [سورة النساء: الآية ٩٢]

"يعد هذا الاستثناء من المشكلات؛ فكان ظاهر التركيب يجيز قتل المؤمن ولا يعاقب من يفعل ذلك ولا يلام، وكأن القتل الخطأ جزءٌ من التكليف ومستثنى من النهي أو النفي وغير داخل فيه وكأن التقدير "يمكن للمؤمن أن يقتل المؤمن خطأ" وهذا ما جوزه بعضهم، إلا أنه يأتي خلاف في الاستثناء هل منقطع أم متصل؟ فقول الجمهور من العلماء يقولون: إذا أريد به النفي معناه ولا يجوز أن يكون متصلاً؛ إذا يصير المعنى (إلا خطأ فله قتله)

كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ [سورة النساء: الآية ٢٩] ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الثَّمَرِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا أَلَمٌ ﴾ [سورة النجم: الآية ٣٣] وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيلاً سَلَمًا سَلَمًا ﴾ [سورة الواقعة: الآية ٢٥-٢٦]

(١) الدر المصون، للسمين ٢٠/٣.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٣/٣٣٥.

ومنه قول جرير:

مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَنْظَعْنَ بَعِيداً وَلَمْ تَطَأْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا زَيْلَ مَرطٍ مَرَجَلٍ^(١)
يعنى ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد وليس ذيل البرد من الأرض.
وقيل استثناء متصل ويكون المعنى أن الإنسان يؤاخذ على القتل إلا إذا كان
القتل خطأ فإنه لا يؤاخذ به أو ليس لمؤمن أن يقتل مؤمناً ألبته إلا عند الخطأ.
وقيل استثناء مفرغ وهو المنفي ولم يذكر فيه المستثني منه وفي نصبه ثلاثة
احتمالات:

١/ أنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا الخطأ وحده.
٢/ أنه مفعول أي ما ينبغي له أن يقتله في حال من الأحوال إلا في حال
الخطأ.

٣/ أنه نعت مصدر محذوف أي إلا قتلاً خطأ.

وقيل "إلا" بمعنى الواو أي ولا خطأ كقوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ

حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٥٠]

قال الزمخشري: "أي أنه من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجوه قتل المؤمن
ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمى كافراً فيصيب
مسلماً... الخ، وقال أبو هشام وهو احد رؤساء المعتزلة تقدير الآية وما كان لمؤمن أن
يقتل مؤمناً فيبقى مؤمناً إلا أن يقتله خطأ فيبقى حينئذ مؤمناً، والمراد أن قتل المؤمن
للمؤمن يخرج عن كونه مؤمناً إلا أن يكون خطأ فإنه لا يخرج عن كونه مؤمناً."^(٢)

(١) البيت لجرير في قصيدة طويلة يهجو فيها عياش بن الزيرقان/المرجل: إزار من الخز أو الصوف منقوشاً،
ديوان جرير، لمحمد إسماعيل عبدالله الصاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٤٥٧

(٢) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص ١٨٣.

مضمون الآية أن الله تعالى قد نهى عن قتل النفس إلا إذا وقع بغير قصد إلا السياق يلعب دوراً مهماً في تنوع المعاني وذلك من خلال الاستثناء في سياق الآية الكريمة.

الآية العاشرة قول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٧٥]

قوله تعالى { ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ } فيه عدة وجوه أحدهما: أن "ذلكم" مبتدأ والشيطان خبر عنه، { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } حال بدليل وقوع الحال الصريحة في مثل هذا التركيب نحو ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [سورة هود: الآية ٧٢] وقوله ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ [سورة النمل: الآية ٥٢]

الثاني: أن يكون الشيطان بدلاً أو عطف ببيان و"يخوف" الخبر.

الثالث: أن يكون الشيطان نعتاً لاسم الإشارة و"يخوف" الخبر، على أن يراد بالشيطان نعيم أو أبوسفيان. (١)

وقال الزمخشري: "الشيطان" خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر.

والمراد بالشيطان نعيم أو أبوسفيان، ويجوز أن يكون على تقدير حذف مضاف

بمعنى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ }

وهناك قول آخر: (إن ذلكم مبتدأ أول، والشيطان مبتدأ ثاني ويخوف خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره خبر الأول وقيل هذا الإعراب خير في تناسق المعنى في أن يكون الشيطان خبر ذلكم؛ لأنه يجيء في المعنى استعارة بعيدة. (٢).

(١) الكشاف للزمخشري، ١ / ٤٨١.

(٢) الدر المصون، للسمين ٣ / ٤٩٤.

"إذاً فما هو السياق الذي يدلنا على المعنى المراد من المفردات المشار إليها
ب"لكم" هل هو عين أو معنى؟ فيه احتمالان:

أحدهما: إنه إشارة إلى ناس مخصوصين كنعيم وأبي سفيان واتساعهما على ما
تقدم.

والثاني: إنه إشارة إلى جميع ما جرى من أخبار الركب وإرسال أبي سفيان
وجزع من جزع وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف أي فعل الشيطان وقدره
الزمخشري كما ذكرنا من قبل "قول الشيطان" أي قوله السابق وهو أن الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم.

وعلى كلا التقديرين أعنى كون الإشارة أعياناً أو معاني فالإخبار بالشيطان عن
ذلك مجاز؛ لأن الأعيان المذكورين والمعاني من الأقوال والأفعال الصادرة من
الكفار ليست نفس الشيطان وإنما كانت بسببه ووسوسته جاز ذلك. (١)

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة
النساء: الآية ٦٩]

"تحدثت الآية عن فئات ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء
والصالحين ثم أشارت إليهم مجتمعين { وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا } بالإفراد والقياس
"رفقاء" لأنه جمع، وتكرر مثل هذه الظاهرة في القرآن الكريم بأن يعبر عن الجمع
ويراد به المفرد والعكس.

قيل أفرد في هذه الآية لأنه كالصديق والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد ولأنه
أريد حسن كل واحد منهم رفيقاً أي أنها تنصب على التمييز كما قال تعالى (ثم
تخرجهم طفلاً). وقيل: (الرفيق في لفظ الواحد بمعنى الجميع كما قال الشاعر:
دعوتُ الهوى ثم ارتَمَيْتُ قلوبنا * بأسهم أعداءٍ وهن صديقٌ^(٢)

(١) الدر المصون، للسمين ٣/٤٩٤.

(٢) البيت من الطويل وهو لجرير انظر ديوان جرير لمحمد إسماعيل الصاوي ص ٢٠٣.

وقيل إنَّ الفاصلة القرآنية تلعب دوراً في هذا المقام، لأن الجمع "رفقا" لا يصلح رأس آية في هذا الموضع فجئ بـ(رفيقاً) للتناسب مع رؤوس الآي بالسورة التي تمضى على هذا النحو وكياًلاً- نقيراً- فتياًلاً- كثيراً... الخ ومراعاة الفاصلة أمر يحرص عليه النص القرآني وتقع من أجله مخالقات تتصل بالناحية الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو المفردات ولا بأس مادامت اللغة تحتل كل ذلك ولا تؤثر هذه المخالقات في المعنى بشكل مباشر" (١).

الآية الثانية عشر قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَمِرُّ أَنِّي لَلَّ هَذَا ﴾ [آل عمران: الآية ٣٧]

"(أنى) بمعنى كيف كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

[سورة البقرة: الآية ٢٥٩] ويقول يحيي رمضان: ومن هذا التعدد في الدلالة جاء اشتباه معناه على القارئ الذي يحاول الأمر في أي معنى جاءت أنى في الآية الكريمة محل التمثيل ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي شَتَّمُ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٢٣] فيقوم أولاً بطلب معاني اللفظية موضع الخفاء والاشتباه وبعد ضبطها ينتقل إلى مرحلة ثانية وهي المتمثل في تأمل السياق الذي وردت فيه والقرائن الممكنة اعتمادها لتغليب معنى من معاني "أنى" (٢).

لقد نظر هذا القارئ فوجد أنه حملها على معنى "أين" كان المعنى فأتوا في أي موضع شتتم من نسائكم فيتناول الموضع المكروه.

أما إن استعملها بمعنى "كيف" فيكون المعنى فأتوهن بأي كيفية شتتم من القعود والقيام والاضطجاع وغير ذلك لكن الفعل المأتي به وهو الفعل المعتاد؛ فكان لابد من الانتقال إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة التأمل أي مرحلة الانتقاء المناسب أو بعبارة الأصوليين الأحناف مرحلة التمييز المشكل من إشكاله وأمثاله ولتنزيل التعريف على المثال المعالج هنا نقول التمييز المعنى المناسب من معنى "أنى" ومن

(١) التوجيه اللغوي، ص ١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٩.

أجل انتفاء المناسب ينبغي الاعتماد على السياق الذي ورد فيه المشكل والقرائن الحافة به^(١).

"إذن أن السياق الذي وردت فيه لفظة "أنى" يشير إلى اعتبار النساء حرثاً { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } والحرث مكان البذر وموضع النسل ولا حرث في غير مكانه والموضع المكروه لا يطلب منه الولد فيمتنع بذلك دلالة "أنى" على المكان ولذلك فقد مكن السياق والقرينة إذن من نفي المكانية على لفظ أنى في الآية الكريمة التي تضمنته الأمر الذي لا يبقى معه إلا دلالتها على الكيفية أي كيفية إتيان الرجال لنسائهم بتخييرهم بين حالاته المتعددة تربطه أن يكون المأتى واحداً وهو موضع الحرث والنسل." ^(٢)

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿ يَمْرِيءُ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

[سورة آل عمران: الآية ٤٣]

"قدم في هذه الآية السجود على الركوع وهو متأخر في الواقع وكان التناسق الذهني يقتضى تقديم الأسبق في الفعل والعطف بالواو ويقتضى أن يكون الثاني بعد الأول فما سر هذا التقديم؟"^(٣).

قال أبوحيان: "أمرتها الملائكة بفعل ثلاثة أشياء من هيئات الصلاة فإن أريد ظاهر الهيئات فهي معطوفة بالواو والواو لا تفيد ترتيباً فلا يسأل لم قدم السجود على الركوع إلا من جهة علم البيان.

والجواب إن السجود لما كانت الهيئة التي هي أقرب ما يكون العبد فيها إلى الله قدم وإن كان متأخراً في العمل على الركوع فيكون إذاً ذلك التقديم بالشرف ولو كان الأمر كذلك لقدم السجود على الركوع في شرعنا تجسيدا لهذا الشرف وهذا التقدير." "ولكن هذه الواو وإن كانت لا تفيد ترتيباً على رأى البعض فإن هذه الأفعال التي وردت في الآية لها ترتيب معروف فالأمر يختلف في قولنا جاء زيد وعمرو

(١) النحو والصرف من خلال القرآن الكريم، د. محمد صلاح الدين، ٣٠/٢.

(٢) القراءة في الخطاب الأصولي د. يحيى رمضان، ص ٤٠٦-٤٠٨.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٤/٤٠٩.

فليس هنا إشكال أن نسأل من جاء أولاً بخلاف هذه الأفعال من ركوع وسجود المسلم فيها بالترتيب ولا يجب أنن قبل كذلك أن التركيب جاء على هذا النحو تنبيهاً على أن الواو لا تفيد ترتيباً فالقرآن نزل على قوم متمكنين في اللغة ولم ينزل على أناس يتعلمون اللغة." (١).

(١) القراءة في الخطاب الأصولي، يحيي رمضان ص ٤٠٩

المبحث الثالث

دلالة سياق المقام وأثرها على النص القرآني

(ب) السياق الحالي: "Context of situation"

"ويسمى أحياناً سياق الموقف (Situational context) ويمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية للمتكلم والمشاركين في الكلام أيضاً أو هو السمات التي يمثلها العالم الخارجي بالنسبة للكلمة المنطوقة أو النص الذي يحمل معنى".^(١)

"ومن هذه السمات الكلام السابق والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه الكلام ومستوى العلاقة بين طرفي الكلام اجتماعياً وثقافياً، والزمان والمكان وكل ما يحيط بالنص اللغوي".^(٢)

وقد أشار عبدالمنعم إلى أن المقام هو البيئة التي تجعل الحياة تدب في النص أي أننا نستطيع أن نحدد مفهوم المقام (Situation) على أنه الظروف أو الملابسات ذات الصلة بكل ما هو خارج النص (extra textual) سواء كان لغوياً Linguistic أم غير لغوي مما يتصل بالحدث اللغوي.

وقد أُطلق عليه (المسرح اللغوي theatre Linguistic) أو المقام أو مجريات الحال) والمقام ليس هو مجرد مكان يلقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة يأخذ بعضها بحجز بعض، فالموقف اللغوي أو سياق الحال هما اسمان لمضمون واحد وهو (الحال) التي تؤثر في النص بعبارة معينة وعدم مراعاة هذا (المقام) يجعل الكلام عبثاً"^(٣)

ومما سبق نستطيع أن نقول: إن سياق الحال أو المقام يقوم على أساسين:

١/ إن المعنى الدلالي الكامل للحدث اللغوي لا يقف عند حدود المعاني الوظيفية للأحداث اللغوية على جميع مستوياتها؛ بل بد من سياق الحال أو المقام

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم، ص ٨١.

(٢) النحو والصرف من خلال القرآن الكريم، محمد صلاح الدين، ٢٩/٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠.

الذي استخدم في هذه الأحداث اللغوية في بيئة زمانية ومكانية معينة، فالأحداث اللغوية لا تقع بعيدة عن العناصر الأخرى أو منفصلة عنها بل هي تتفاعل مع أنواع السلوك الاجتماعي الإنساني المركب والمتنوع وترتبط معه على نحو تبادل هذه الأحداث اللغوية داخل السياق اللغوي.

٢/ إن اللغة ظاهرة اجتماعية لا تنحصر في الأحداث اللغوية على جميع مستوياتها الصوتية وال fonولوجية والنحوية والمعجمية وإنما تضم إلى هذه الأحداث اللغوية والبيئية التي تستخدمها المتكلم والمخاطب والأشياء المحيطة بهما والزمان والمكان ومستوى الحديث ونوعه ومجاله. (١)

وقد أشار تمام حسان بشأن الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة الآية ٢١٩] ويقول: "إذا اكتفينا بظاهر نص الآية ولم تلتفت إلى الظروف والملابسات التي تحيط بهذا النص القرآني لكان فهمنا لها غير المقصود منها، وفهمنا أن الإسلام لم يحرم الخمر أو أنه يفاضل بين منافعها ومضارها ولكن سياقها الحالي وعناصرها تكشف لنا حب العرب للخمر واقتزانها عندهم بالمروءة والنجدة والكرم والجود وغير ذلك مما نستسقيه من أشعارهم ومعلقاتهم. ثم كراهية الإسلام للخمر وعزمه على صرفهم عنها تدريجياً ثم رغبته في تأليف قلوبهم؛ إذ أنهم قريبي عهد بالجاهلية لو أنها حرمت دفعة واحدة لربما كانت النتيجة غير محمودة فهذا بدأ الإسلام بالمفاضلة بين المنافع والمضار حيث رجح كفة المضار عن المنافع فابتهل الضائقون بها أمثال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى الله تعالى أن ينزل في الخمر حكماً شافياً فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة الآية ٩] وهذا هو مقامها أو سياقها الحالي الذي ينبغي أن تفهم على ضوءه مع استصحاب عناصر أخرى، ولهذا كانت معرفة

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم، ص ٨٣-٨٤.

أسباب النزول شرطاً لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم لمعايشة الجو التاريخي إن جاز التعبير وفهم النصوص على أساس هذه المعرفة المهمة.

كما نجد هذا السياق في السنة المطهرة ومنه حديث الرسول -ﷺ- أكبر دليل على أهمية سياق الموقف ودوره في ميدان اللغة قال -ﷺ-: (أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قُلْنَا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مَتَكْنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلَ الزُّورِ وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت).^(١)

فجلوس الرسول -ﷺ- بعد أن كان متكناً يدل على عظمة شهادة الزور عند الله. وأن الرسول -ﷺ- أراد أن يحذر الناس من هذا الأمر سياق الحال؛ هو المقام الذي يصدر فيه الكلام عن صاحبه في زمن "ما" منقضي وارتبط بذلك الزمن وخلف في الكلام الأثر الذي يظهر في لفظه ولا يفهم الكلام حق فهمه إلا به.^(٢)

ومثال ذلك: "خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة) فالذي يقرأ الخطبة لأول مرة وهو لا يعرف مقامها قد يتهم الحجاج بسوء السياسة لاستهلال ولايته بهذه الخطبة البتراء. ولكن المقام الذي يشتمل على إيضاح العلاقة بين العراقيين وبين بني أمية ربما شمل من الحوادث الماضية كمقتل عثمان الخليفة الثالث ومعركة صفين ومقتل الحسين وتشيع العراقيين وكراهيتهم لبني أمية ورغبة الأمويين في تأديب هؤلاء العراقيين حتى لا يثورا عليهم أو يعصوا ولاتهم مرة أخرى ومن هنا يصبح من الضرورة أن يأتي وصف المقام في صورة مقدمة للخطبة دلالة على الحزم والتأديب دائماً:

أَنَا ابْنُ جَلٍّ وَطَلَّاعِ النَّثَايَا مَتَى أَضَعُ الْعُمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٣)

(١) البخاري (٥) ص ٢٦٧ فتح مسلم ٨/٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) البيت من الكامل وهو لسحيم ابن وثيل الرياسي وإنما قال الحجاج متمثلاً بحاله، كتاب الآغاني لأبي الفرج الأصفهاني دار الفكر بيروت، تحقيق الدكتور سمير جابر د.ت. ١٤٩/٣.

أني لأري رؤوساً قد أينعت وحن قطفها وأني لصاحبها"^(١)

ويندرج تحت السياق الحالي السياق الثقافي والسياق العاطفي والسلوك.

"فالسباق الثقافي (Cultural Context)، هو الإطار العام الذي تستعمل فيه لغة من اللغات، أو بمعنى آخر هو البيئة الخاصة للغة، ويعرف بمصطلح (السياق الثقافي) أي الخلفية غير اللغوية للكلام من حيث كونها عنصراً أساسياً في المعنى يوازي في أهميته العوامل اللغوية نفسها كالأصوات والتراكيب، والثقافة يقصد بها مجموعة التركة التي يرثها جيل عن جيل من تقاليد ونظم معاشية ودين وفن ولغة والسياق الثقافي هو المعرفة المشتركة بين المخاطبين فهناك معرفة يمكن أن نسميها اجتماعية أو ثقافية أو تراثية.

لذلك لا يمكن لنا أن نفهم ما يقوله الجماعة إلا بملاحظة فهم الأشياء المتصلة بثقافتهم المادية فهماً دقيقاً إلا بالسياق الثقافي.

وعندما نتحدث عن الثقافة لا نعني بها هنا معنى يرتبط بالتعليم أو التثقيف، وإنما المقصود هنا ما يشمل مجموع العادات وطرق السلوك والتقاليد والمعتقدات والخزعات والفلكلور الشعبي ووسائل التكسب والعواطف الاجتماعية^(٢) وغير ذلك من النظم الاجتماعية المختلفة.

ولهذا كان لابد إذا أردنا أن نعرف شيئاً من نظم العرب في جاهليتهم أن ندرس بيئتهم الثقافية والاجتماعية وأن ندرس لغتهم في ذلك العصر دراسة مستفيضة من حيث دلالات المفردات وما تدل عليه كل كلمة منها في نظام جاهلي بعينه، ويكفي أن نقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية ١٠٣] حتى نبدأ في فهم العادات العربية المتعلقة بهذه الكلمات ونقرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ تَسْنَقُوا بِالْأَرْزَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة الآية ٣]، حتى ترى أن هذه

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية، د تمام حسان، ص ٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص ٣٥١.

النصوص تشير إلى عادات جاهلية هي في صلب الثقافة العربية ولا نستطيع أن نفهم العربي الجاهلي إلا إذا عرضنا له هذه العادات ومظاهر السلوك الاجتماعي الذي يعيش فيه." (١)

إذن يتضح لنا في الكلام السابق أنه لا يمكن أن يؤخذ النص اللغوي دون التأثيرات الخارجية التي تحيط به من سياقات ثقافية واجتماعية. ولهذا نجد أن الكلمة الواحدة تغيرت دلالاتها حسب السياق الثقافي الذي ترد فيه وهذا نجده ظاهراً في الألفاظ الإسلامية مثل:

الصلاة، الركوع، الحج، الإسلام، المنافق، المسلم، الرب، الإله وغير ذلك من الألفاظ الإسلامية.

وفي هذا السياق نتضح لنا جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي والحالة الكلامية ولأهمية هذه العناصر وتأثيرها المباشر على النص اللغوي كان لابد من ذكرها وهذه العناصر هي:

١/ شخصية المتكلم وتكوينها الثقافية وشخصية من شهد الكلام (المخاطب) والسامع العوامل والظواهر والعلاقات والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي.

وقد ذكر رمضان عبدالنواب نقلاً عن (قندريس) أن اللغة نتاج من الاحتكاك الاجتماعي ثم تصبح عاملاً من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع الإنساني.

ويرى علماء الاجتماع أن الظواهر الاجتماعية لها قوة قاهرة أمره تفرض على أفراد المجتمع ألواناً من السلوك والتفكير والعواطف وتحتّم عليهم أن يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محددة مرسومة، ومما يدل على وجود القهر في الظواهر الاجتماعية عند علماء الاجتماع- أن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى هذه الظواهر الاجتماعية فإنه سرعان ما يشعر بردة فعل مضاد من المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن المجتمع على حد تعبيرهم يشرف على سلوك أفرادهِ ويستطيع توقيع

(١) اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان، ص ٣٥١.

العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليها. وأهون هذه العقوبات هو التهكم الشديد والسخرية المرة^(١).

والأمثلة على وجود هذا القهر كثيرة ولا يمكن حصرها وإن المجتمع لا يسمح لأحد بالخروج عن هذه الظواهر والتمرد عليها. وخير مثال على ذلك:

قصة علقمة الثقفي الذي اشتهر باستعمال الغريب الوحشي من الألفاظ في حوار مع طبيب جاء إليه يشكو من ألم أصابه إذ دخل عليه وقال له: (أمتع الله بك إنني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسنت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة إلى ربة العنق فلم يزيل يريو وينمي حتى خالط الجلب والشراشيف فهل عندك دواء فقال له الطبيب خذ خرنقاً وشلفقاً وشبرقاً فزهزقه وأغسله بماء روث وأشربه فقال أبوعلقمة لم أفهم عنك؟ فقال له الطبيب أفهمتكم كما أفهمتني).^(٢)

ولذلك فإن دارسي علوم القرآن رصدوا بعض الملاحظات التي تتعلق بالسياق الخارجي المحيط بالنص اللغوي وهو ما يعرف بالسياق التاريخي أو الاجتماعي أو المقامي أو الحال على اختلاف مسميات علماء اللغة المحدثين، ونقصد هنا بسياق المقام كما ذكرنا جميع الظروف التي تصاحب النص اللغوي مثل أسباب النزول والأحوال الاجتماعية أو التاريخية أو السياسية أو الجغرافية وأحوال المخاطبين.

" والمقام بهذا يعتبر الشق الثاني من شقي السياق وبه يتجدد النص بصورة كاملة تختلف عما كان في السياق اللغوي ولذا كان حاسماً في تحديد المعنى الدلالي بشكل دقيق ومحسوم بمعنى إننا عندما نجرد أي نص من آدائه وملابساته التي هي المقام بالنسبة لهذا النص فإنما يبقى بأيدينا يكون أشبه بجسم بلا روح"^(٣).

وفي هذا يقول تمام حسان: "بالضرورة التزام طلاب اللغة العربية وآدابها بدراسة التاريخ الإسلامي، والفلسفة والتعبير والحديث والأدب والشريعة وغيرها فحين ينظر

(١) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالنواب، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٣) الأبعاد الدلالية للمقاييس الأسلوبية، سيدنا علي جوب، رسالة دكتوراه، ص ٢١١ - ٢١٢.

في نص أدبي معين ينبغي أن يكون له من المعلومات الشاملة في هذه الفروع جميعاً ما يعينه على فهم (المقام) الذي يقال فيه هذا النص" (١).

"ويدعم هذا الرأي طريقة علماء الأصول في عملية استخلاصهم للحكم الشرعي من النص المعين ويحتم الأصوليون على ما من يتصدى لاستخراج الأحكام الشرعية في القرآن الكريم أموراً لا ينبغي أن يغفل عنها هي في الواقع فعلية مثلاً :

١ - ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.

٢ - ألا يغفل عن السنة في تفسيره.

٣- أن يعرف أسباب نزول الآيات.

٤ - أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

وهذه التركة التي يرثها الجيل اللاحق عن السابق تكون واضحة المعالم ومحددة فكل سلوك أو عادة أو تفكير قد حدده العرف الاجتماعي فيظل ذا نماذج معروفة ومطبوعة بطابع الاستعمال سواء كان ذلك ديناً أو نظاماً من النظم المعيشية أو فناً شعبياً" ولذا فإن هنالك من الآيات ما لا يفهم معناها إلا بالرجوع إلى صاغها الحالي والمقامي في فهم ما تحمله من مضامين وأحكام شرعية(٢).

فمنها الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ

الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠١].

ففي هذه الآية الكريمة فإن السياق اللغوي بظاهره يقتضي أن القصر في الصلاة لا يجوز إلا إذا خاف المسافر على نفسه من العدو، وهذا بدليل الشرط في قوله: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ) أي القصر مشروط بالخوف، وهذا خلاف ما عليه فعل المسلمين اليوم وقبل.

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان ص ٣٤٧.

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية د. تمام حسان، ص ٣٤٧.

ولهذا قال القرطبي: (وذهب جماعة إلى أن هذه الآية إنما هي مبيحة للقصر في السفر للخائف من العدو، فمن كان آمناً فلا قصر له) (١).

ولا نريد أن نذكر كل ما قيل في هذا الموضوع، ولكن الذي يهمنا فيه ما أورده الإمام القرطبي والذي يظهر من خلال كلامه أنه يريد أن يحسم أمر هذا الخلاف. فهو يقول: "قلت قد جاء حديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجه أنه قال سألت قوم من التجار رسول الله ﷺ فقالوا إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي فأنزل الله ﷻ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﷻ ثم انقطع الكلام فلما كان بعد ذلك غزا رسول الله ﷺ فقال المشركون لقد أمنكم محمد وأصحابه من ظهرهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم إن لهم أخرى في أثرها فأنزل الله تعالى بين الصلاتين: ﷻ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﷻ إلى آخر الآية.

فإن صح هذا الخبر فليس لأحدٍ معه مقال ويكون فيه دليل على القصر في غير الخوف بالقرآن (٢).

ونجد القرطبي في ذلك إنما رجع إلى سياق الحال أو الموقف عندما وجد هناك لبساً لا يذهب به السياق اللغوي وحده بل لابد من سياق الحال (المقام).

فاتضح من ذلك أن للآية مناسبتين، قوله تعالى ﷻ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﷻ وهي إجابة عن سؤال التجار (إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي)، ومناسبة أخرى قوله تعالى: ﷻ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ﷻ إنها جاءت بمناسبة تهديد المشركين للمسلمين بالهجوم عليهم أثناء الصلاة فجاءت العبارة لتذهب عن المسلمين ذلك الخوف الناتج من تواصل المشركين المباغته أثناء صلاة العصر" (٣).

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، د.ت ٣٦٢/٥.

(٢) المصدر السابق، ٣٦٢/٥.

(٣) وقد أورد الإمام القرطبي قولاً آخر لابن عباس بنفي المعنى أن الجزء الأول نزل في السفر ثم نزل الجزء الثاني في الخوف، انظر: الإمام القرطبي، ٣٦٢/٥.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فقد يأخذ هذا النص إثبات ما بدلالة ألفاظه هذه ويدخل كل من فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل في دائرة العذاب يوم القيامة؛ لأن النص يحمل هذا المعنى بعمومه.

"وقد أشكل هذا الأمر على مروان بن الحكم فبين له ابن عباس رضي الله عنهما وهو كان الذي يعلم الموقف الذي نزلت فيه هذه الآية حيث ذكر له أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب اليهود حين سألهم النبي ﷺ عن شيء كتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوه بذلك إليه فأنزل الله هذه الآية (١)"

فقد اتضحت الآية من خلال هذا الموقف الاجتماعي الذي جرت أحداثه في عهد رسول الله وكان بينه وبين اليهود حديث وحوار فتخصصت بذلك كلمة الذين في قوله تعالى: (الذين يفرحون) بأنها خاصة باليهود الذين كانوا بينهم وبين رسول الله ﷺ حوار فانفتحت عنها بذلك صفة العموم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُرُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

فالسباق اللغوي للآية يرشدنا إلى طاعة الحاكم وعدم مخالفته أو عصيان أمره في كل أمر من الأمور وهذا هو المعنى العام للآية.

"والمراد بأولي الأمر هم الأمراء والحكام وهذا مروى عن أبي هريرة وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ودليلهم إن الآية سبقت بالحديث إلى الأمراء بأداء الأمانات إلى أهلها وأمرت بالرد إلى الله والرسول وهذا من شأن الأمراء، وأن النبي ﷺ رغب كثيراً في طاعة الأمراء منها ما عليه قال: (من أطاع أميرى فقد أطاعني) (٢). وهنالك بعض آراء في ذلك الرأي الأول:

(١) الإتيان في علوم القرآن، ١/٨٤.

(٢) الحديث رواه البخاري - كتاب الجهاد - باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به رقم ١٤٠٩.

"لأن أوامرهم نافذة على الخلق وإن العلماء أو أهل الإجماع ليست أوامرهم نافذة عليهم.

الرأي الثاني: المقصود بأولى الأمر هم العلماء المفتون: وقد أسند هذا الرأي إلى جابر بن عبدالله ومجاهد وعن ابن عباس وقال صلاح سلطان هو اختيار مالك^(١).

وقيل (أن ظاهر الآية يفيد أن أولى الأمر هم الأمراء والعلماء ولا يجوز تخصيصها بغير مخصص فتحمل الآية على عمومها ويرد على من يرى أولى الأمر يطاعون فيما ليس فيه نص؛ لأن الدين قد كمل واستوعب كل شيء فتجب طاعتهم في تنفيذ أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ فيما نقلوه عنهم وعند التنازع لا يجوز طاعة أحد بل نرد الأمر إلى الله والرسول، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ويفهم من هذا أنه إذا اتفقتم فلا تردوا.

ويبدو أن الأرجح في معنى أولى الأمر أنهم العلماء والأمراء لقوة الأدلة على طاعة الأمراء وسبب نزول الآية وعموم اللفظ يجعل دخول العلماء في ذلك وارداً على العموم ولا يصح تخصيصها بالأمراء وحدهم أو العلماء وحدهم ولا أهل البيت كما يقول الشيعة إلا بدليل شرعي فلما لم يوجد بطل هذا التخصيص كما أنه لا تعارض بين طاعة الأمراء والعلماء في دولة الإسلام؛ فالأصل أن الأمراء علماء وليسوا جهالاً أو عواماً^(٢)

يبدو أن أسباب نزول آي القرآن الكريم كفيل بالفصل في الخلاف بين العلماء وذلك لأن القرآن نزل حسب المواقع والمناسبات ومعالجة المشاكل التي تطرأ على المجتمع المسلم، وكما هو في سبب نزول هذه الآية الكريمة، (فقد روى مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، وكان فيه دعابة معروفة فأمرهم أن يجمعوا حطباً ويوقدوا

(١) الأدلة الاجتهادية بين الغلو والإنكار دراسة نقدية دلالية في المذاهب الإسلامية، صلاح سلطان ط٢، ٢٠٠٦م، ص ٤٠ - ٤١.

(٢) الأدلة الاجتهادية بين الغلو والإنكار، صلاح سلطان، ص ٤٣ - ٤٤.

ناراً فلما أوقدها أمرهم بالتفحم فيها فأبوا فقال لهم ألم يأمركم رسول الله بطاعتي؟ وقال (من أطاع أميري فقد أطاعني)^(١) فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا رسوله إلا لنتجو من النار فصوب النبي ﷺ فعلهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق^(٢).

ثانياً: ما جاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد في سرية إلى حي من أحياء العرب، وكان معه عمار بن يسار فسار خالد حتى دنا من القوم عرس لكي يصبحهم فأتاهم النذير فهربوا إلا رجلاً كان قد أسلم فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير ثم انطلق حتى إذا أتى عسكر خالد ودخل على عمار فقال: يا أبا اليقظان إني منكم وإن قومي لما سمعوا بي هربوا وأقمت على إسلامي أقم في ذلك أو أهرب كما هرب قومي؟ فقال: أقم وانصرف الرجل إلى أهله فأمرهم بالمقام وأصبح خالد فصار إلى القوم فلم يجد غير ذلك الرجل فأخذه وأخذه ماله فأتاه عمار فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم، وقد كنت أمنت وأمرته بالمقام فقال خالد: أنت تجير علي وأنا الأمير فقال عمار نعم فكان بينهما كلام حتى أتوا النبي ﷺ فأخبروه خبر الرجل فأمنه وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير بغير إذنه، قال واستتب عمار خالد فأغلظ عمار لخالد فغضب خالد وقال يا رسول الله أتدع هذا العبد يشتمني فوالله لولا أنت ما شتمني وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ (يا خالد كف عن عمار فإنه من يسب عمار يسبه الله ومن يبغض عمار يبغضه الله فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه يسترضيه فنزلت الآية)^(٣).

الآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

"يشير الله تعالى إلى أن بعضاً من المنافقين وضعاف المسلمين إذا علم خبراً عن سرية غازية أو ستغزو بأنهم قد آمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم أو الخوف من

(١) أسباب النزول للواحي، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) رواه الإمام مسلم - كتاب الإمارة - باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (٤٠).

(٣) الأدلة الاجتماعية، صلاح سلطان، ص ٣٩-٤٠.

عدوهم بإصابة عدوهم منهم أذاعوا به أي أفشوه وبثوه في الناس قبل أن يكون النبي ﷺ أو أحد الأمراء هو المتحدث به فيصححوا الخبر إن كان صحيحاً أو يبطلوه إن كان باطلاً، وهذا المعنى يتفق عليه علماء التفسير ثم لم تفصل في بعض هذه الأمور وأهمها: معنى أولي الأمر هل هو أمراء السرايا أو العلماء أم أبوبكر وعمر ويبدو لي راجحاً أولي الأمر هم الأمراء والعلماء وقد فصلته في باب كتاب عن الإجماع^(١).

"وقيل أن هناك أشكالاً على هذه الآية على من قال للقياس لأن القياس لا يفيد العلم فقد يخطئ المجتهد وقد يصيب وأن العلم يحصل بعد الاجتهاد عن طريق اطمئن القلب وإن كان لا يدرك ما هو حق باجتهاده وذلك مثل قوله تعالى ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] فإن المراد به العلم من حيث الظاهر، وقيل أن الآية عندما ذكرت الاستنباط نبهت على القياس لأن القياس رد إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر فمرة يكون الرد إلى النص وقد أورد ذلك ليس في مقام الاستدلال على حجية القياس بل في مقام الرد على أدلة نقاة القياس الذين استدلوا بها على نفي القياس" (٢).

وهناك روايتان لهذه الآية الرواية الأولى:

"إن النبي ﷺ اعتزل نساءه فدخل عمر المسجد وسمع الناس يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فدخل عمر على الرسول ﷺ فسأله أطلقت نساءك قال: لا. فخرج فنادي إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه فنزلت الآية، وكان عمر هو الذي استنبط الأمر.

(١) المرجع السابق ص ٣٢٢. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، فالاستنباط استخراج الماء من باطن الأرض والاستنباط في اللغة هو الاستخراج كما قال القرطبي وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن العيون أو معارف القلب فهو مستنبط وروى أن الذين يستنبطونه هم الذين ينقلون الأخبار أي يتعقبونها ويتحسسونها وروى الفخر الرازي أن الاستنباط في الفقه هو: استخراج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه وجاء في حاشية الشهاب على البيضاوي أن الذين يستنبطونه هم البصراء بالأمراء أو الأمراء يستخرجون تدابير الأمر بتجاربهم وأنظارهم وقال الشوكاني إنهم أولو العلم والعقول الراجحة. انظر: الأدلة ص ٣٤٢.

(٢) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٢١.

الرواية الثانية:

أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية في السرايا فغلبت أو غلبت تحدثوا بذلك وأفسوه ولم يصبروا حتى يكون رسول الله ﷺ هو المتحدث به فنزلت الآية.

لذلك فإن الآية نزلت في شأن وقائع الحروب والجهاد فلا يلزم جوازه في الوقائع الشرعية، وقد رد على ذلك بأن الأمر من الأمن أو الخوف عام في كل ما يتعلق ببيان التكليف وليس في الآية ما يفيد تخصصاً بأمر الحرب فقط ولو ثبت في الحرب لجاز في غيره، لأنه لا فرق في الواقع فلا يقبل من أحد أن يزعم أن القياس حجة في باب البيع دون النكاح" (١).

الآية الخامسة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥ - ١١٦]

ففي الآيتين الكريمتين وعيد من الله تعالى على كل من خالف الرسول وشاقه في أمر من الأمور، وسلك مسلكاً غير مسلك المؤمنين فإن مصيره نار جهنم وبئس المصير.

"ويذهب جميع المفسرين إلى معنى قوله: (يُشَاقِقِ الرَّسُولَ) فإن مشاققة الرسول ﷺ تعني الردة عن الإسلام ومعاداة النبي ﷺ ومباينته بأن يصير المعادي في شق غير الذي فيه النبي ﷺ واتفق المفسرون على أن غير سبيل المؤمنين هو الكفر، وقال ابن عباس: هو الكفر دين أهل مكة والشرك، وقال الرازي: هو غير دين الموحدين؛ لأن طعمه تركة دين الإسلام كما سيأتي، أما قوله تعالى: (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) أي نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام، ونوله ما تولى من آلهة باطلة، فنجد أن العلماء قد اختلفوا في مدلول هذه الآية هل هي عامة في وعيد الكفار وكل من خالف المسلمين ولو في المسائل الفرعية أم هي لا صلة لها بالمسائل الفرعية لأن الآية لا تتطبق بحال على من اجتهد فخالف من بعصره، أو

(١) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٢٥.

الوعيد فقد يتناول من جميع بين المشاقة وإتباع غير سبيل المؤمنين، وإن الآية نزلت في سبيل المؤمنين في عصر النبي ﷺ، فأين هذا من الإجماع الذي لا يقع إلا بعد النبي" (١).

"وهل أن سبيل المؤمنين هو الإجماع وإذا سلمنا أنه هو الإجماع فلا تحرم مخالفته إلا بشرط تبين الهدى ومن جملة أنواع الهدى الدليل (مسند الإجماع) فإذا عرف أغنى عن الإجماع وإن لم يتبين لم تحرم مخالفته، إلا أنه قد ورد على ذلك بأن تبين الهدى شرط في مشاقة الرسول ﷺ وقيام الدليل على صدق نبوته في الأصول لا في الفروع.

ولو قلنا أن إتباع سبيل المؤمنين واجب لاقتضى ذلك أن نعمل المباحات التي فعلوها على أنها واجبة وهو غير مسلم به.

أن الآية توجب إتباع سبيل المؤمنين والرسول ﷺ أول المؤمنين والإجماع لا يتحقق إلا بعد وفاة الرسول ﷺ فكيف يكون الجمع بين هذا وذاك (٢).

يبدو أن أسباب النزول قد تحسم هذا الجدل وهي التي تعتبر سياقاً من سياقات المقام.

"فقد روى الإمام الطبري أن هذه الآية والتي بعدها نزلتا في طعمة بن أبيرق حين سرق بالمدينة ففضى النبي ﷺ أن يقطع يده فهرب إلى مكة مرتداً وما لبث أن نقب بيتاً بمكة وهرب فلحقه المشركون فقتلوه فنزلت الآيتان.

(١) فقد تحدث الأصوليون في هذه الآية عن إجماع الأمة أي اتفاق الأمة في أمر من الأمور وأول من استدلت بذلك الإمام الشافعي حيث يروي المدني قال كنت يوماً عند الإمام الشافعي فجاءه شيخ عليه لباس صوف، ويده عصا فلما رآه الشافعي أستوي جالساً فقال له: ما الحجة في دين الله تعالى، قال: كتاب الله ورسوله قال وماذا؟ قال: بسنة نبيه ﷺ قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة قال من أين هذا الأخير: هو من كتاب الله، فتدبر أي الشافعي ساكتاً فقال له الشيخ: أجتلك ثلاثة أيام بلياليهن فإن جئت بأية فيها وإلا فاعتزل الناس فمكث الشافعي ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج وقد تغير لونه فجاءه الشيخ وقال حاجتي فقال نعم (ومن يشاقق... الآية) فقال الشيخ صدقت، وقد ذكر الرازي أن الشافعي قرأ القرآن في الأيام الثلاثة ثلاثمائة مرة حتى خلص إلى هذه الآية.

(٢) الأدلة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٣٣.

وقيل نزلت في نفر من قريش قدموا المدينة وأسلموا ثم انقلبوا إلى مكة مرتدين فنزلت الآية^(١).

ورأى جمهور المفسرين هو الصواب وأن الآية تعني إتباع سبيل الكفر وليس مخالفة بعض مسائل الفروع ويؤكد هذا كما ذكرنا سبب نزول الآية الذي يعتبر سياق مقام يساعد على فهم بعض المسائل ذات الخلاف اللغوي.

الآية السادسة قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَّ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء الآية ١٦٣].

"تدور أقوال المفسرين حول قضية الوحي التي أنكرها اليهود وأن الله تعالى يبين أنه أوحى إلى محمد ﷺ كما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء جميعاً، وأوحى إلى آخرين لم يذكرهم الله تعالى وبيان حقيقة الوحي، ولا نجد في مجموع ما أطلقت عليه أي ذكر لموضوع شرع من قبلنا"^(٢).

القضية أن هناك من يستدل بهذه الآية على أن شرع سيدنا نوح هو في حجة شرعنا فوجب العمل به، ثم رد ذلك الاستدلال بأنه لا دلالة على أنه أوحى إليه بعين ما أوحى به إلى نوح والنبیین من بعده بل غايته أنه أوحى إليه كما أوحى إلى غيره من النبیین وعلى فرض صحة زعم من قال ذلك فإن الوحي إلى سيدنا محمد هو الموجب لما توافقت عليه الشرائع فيكون حجة لهذا وليس لأنه شرع من قبلنا^(٣).

لأن الآيات في سياقها ودلالاتها تبين أنه لا غرابة أن يوحى إلى سيدنا محمد كما أوحى إلى النبیین من قبله والسياق كله يدل على إثبات الوحي على منكريه ولذا أتى بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

"فلا دلالة في الآية على ما سبقت إليه في موضوع (شرع ما قبلنا شرع لنا).

(١) انظر: تفسير الطبري، ١٠/٣.

(٢) الأحكام للآمدي ج ٤/ ١٩٣، راجع أيضاً الأدلة المختلفة فيها، عبد الحميد أبو المكارم، ٣٢٨.

(٣) الحديث رواه البخاري، كتاب الصلح باب الصلح في الدية وفي باب إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله (٦٦٦).

وقد جاءت أحاديث في هذا السياق روى البخاري بسنده أن أنساً حدثهم أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها: فقال يا أنس كتاب الله القصاص فرضي القوم وعفوا فقال النبي ﷺ: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)"^(١).

"فوجه الاستدلال على ذلك أنه لا يوجد في كتاب الله القصاص في السن سوى في آية: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ أَنْفَسَ بِالنَّفْسِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ وهذا الشرع كان في التوراة وبهذا يصح أن يكون شرع ما قبلنا شرع لنا. وقد رد المعارضون لهذا الاستدلال بأن النبي ﷺ قصد بقوله (آية القصاص قوله: ﴿ يَتَأَيَّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (البقرة ١٧٨). وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (البقرة ١٩٤).

وردوا أيضاً بأن التوراة ليس فيها الأرش وفي هذه القضية رضي القوم بالأرش"^(٢).

"وقيل إن النبي ﷺ رجع إلى التوراة في رجم اليهودي.

ولذا استدل من يرى حجية شرع ما قبلنا بهذه الواقعة على أنه لو لم يكن شرع من قبلنا شرعاً لنا لما راجع النبي ﷺ اليهودي في مسألة الرجم"^(٣).

(١) الحديث رواه البخاري، ٢٠٩/٩، رقم الحديث ٢٥٠٤، باب الصلح في الدية، المصدر المكتبة الشاملة. موقع الإسلام.

(٢) الأحكام لابن حزم ٧٧/٥.

(٣) الأحكام لابن حزم ١٧١/٥.

وقد رُدَّ على تلك الآراء في الآتي:

- ١- أن هذا الرجوع كان لإظهار صدقه - ﷺ - إن الرجم مذكور في القرآن.
- ٢- إظهار كذب اليهود وإنكارهم لما في أيديهم من كتاب وإلزامهم بحكم الله تعالى.

٣- لو كان الأمر هو الرجوع إلى شرع من قبلنا لكان الأولى الرجوع إلى الإنجيل لأنه آخر ما نزل. (١).

ويبدو أن الكلام في هذا الجانب يطول ويتفرع ويأخذ الجدل وإنما سرد الباحث لهذه الآراء ليس في أن شرع من قبلنا شرع لنا أو غير ذلك فإن هذا الأمر يرجع إلى أهل الاختصاص والشأن كعلماء الأصول وغيرهم وإنما الذي يخص الباحث من هنا دور السياق والمقام الذي هو الواقعة التي لها دور في تحديد الأحكام الشرعية فسياق المقام هو الذي في الحقيقة يفهم الباحث دون ما يدري في علم الأصول ويجد نفسه وسط المعركة في تأصيل المسائل الفقهية.

الآية السابعة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء ٦٠].

الطاغوت في اللغة كما قال الراغب: يقال: (طغوت وطغيت وطغوانا وطغينا وأطغاه) هكذا حمله على الطغيان وذلك تجاوز الحد في العصيان قال تعالى: ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [النازعات ١٧] والطاغوت عبارة عن كل متعبد وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع قالت تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وإذا كان لفظ (الطاغوت) في اللغة يعني كل جبار أو متجاوز للحد سواء كان من الإنس أو الجن فهو أعم من لفظ الشيطان إلا أن لفظ الطاغوت يراد به الشيطان في غير موضع في القرآن (٢).

(١) الدلالة الاجتهادية، صلاح سلطان، ص ٢٥٧.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة طغت، ص ٢٠٦.

"وإذا كان مقصود هذا النص الذي بين أيدينا التخويف من إتباع الشيطان فقد بدأ النص بما هو أكثر زجراً للسمع وتنفيراً وهو لفظ الطاغوت والمقصود به شخص معين.

وقال الزمخشري (سماه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداونه لرسول الله ﷺ أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله ﷺ على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان بدليل قوله: ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ٦٠] (١).

وإنما بدأ الله بلفظ الطاغوت ليناسب أسباب نزول هذه الآية والذي يعيننا في الفهم والتعمق أكثر في هذا اللفظ (طاغوت) وإلا فالتحاكم إلى غير رسوله وإن كان إلى أحد من البشر فهو في غير القرآن (يريدون أن يتحاكموا إلى الشيطان) وقد أمروا أن يكفر به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً لو قيل هذا لفات المناسبة بين لفظ الطاغوت وسبب النزول (٢).

ويبدو أن أسباب النزول كما ذكرنا الذي يعتبر سياق موقف تاريخي للآيات القرآنية جدير بأن يقوي موقف اختار لفظه (طاغوت).

فقد ذكر المفسرون أكثر من رواية في سبب نزول هذه الآية أشهرها:

" أنه قد نازع رجل من المنافقين رجلاً من اليهود فقال اليهودي بين وبينك أبو القاسم وقال المنافق بين وبينك كعب بن الأشرف والسبب في ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة وكعب بن الأشرف كان شديد الرغبة في الرشوة واليهودي كان محقاً والمنافق كان مبطلاً فلهذا المعنى كان اليهودي يريد التحاكم إلى الرسول والمنافق كان يريد كعب بن الأشرف ثم أصر اليهودي على قوله فذهبا إلى رسول الله فحكم رسول الله ﷺ لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى انطلق بنا إلى أبي بكر فحكم أبوبكر ﷺ لليهودي فلم يرض المنافق فقال المنافق بين وبينك عمر فأخبره اليهودي أن رسول الله ﷺ وأبوبكر حكما على المنافق فلم يرض

(١) الكشف للزمخشري، ١/١٤.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن، دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص، طه رضوان، دار الصحابة للتراث،

ط ٢٠٠٧م، ص ٣٢٩.

بحكمهما فقال للمنافق أهكذا فقال نعم قال اصبر أن لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد وهرب اليهودي فجاء أهل المنافق فشكوا عمر إلى النبي ﷺ فسأله عمر عن قصته قال عمر: إنه رد حكمك يا رسول الله فجاء جبريل في الحال وقال: إنه الفاروق فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله لعمر أنت الفاروق وعلى هذا فالطاغوت هو كعب بن الأشرف. وإنما سماه القرآن (طاغوتاً) وذلك على سبيل المجاز تشبيهاً بالشیطان" (١).

الآية الثامنة: قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]

"إن استعمال لفظ المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة في هذا النص على سبيل المغايرة قد يكون بين اللفظين فرق أو يكونان بمعنى واحد ومن زعم أنه لا فرق بين اللفظين علل لهذه المغايرة في النص بأنها من قبيل التفنن في الفصاحة وتلوين الخطاب، وقيل: (المس الإصابة ولا يختص أحدهما بالخير والآخر بالتعبير بأحدهما في جانب الحسنة والآخر في جانب السيئة تفنن). وقيل إلى استعمال المس في هذا المقام يشير إلى أن أقل ما يصيب المؤمنين من حسنة يسوؤهم قال: "ذكر تعالى المس في الحسنة ليبين أن بأدنى مس الحسنة تحصل المأساة لهؤلاء المنافقين ثم عادل ذلك في السيئة بلفظ الإصابة وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب سيء وهو متمكن منه أو فيه فدل هذا النوع البليغ على شدة العداوة إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين" (٢).

"والذي يظهر والله أعلم أن لفظي (المس) و (الإصابة) ليسا بمعنى واحد وليس المس مستعاراً لمعنى الإصابة وإنما مقام الآية يساعد عليه فالآية بيان لشدة عداوة المنافقين وبغضهم للمؤمنين فأقل ما عند المؤمنين من خير وفضل يزيدهم حقداً وحسداً، لذا كان التعبير بالمس في جانب الحسنة أنسب" (٣).

(١) انظر جامع البيان ٩٧/٥ - ٩٨، السيوطي الدر المنثور في التفسير المأثور ٥٨٢/٥.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب، وتحليل النص، طه رضوان، ص ٢٧٠.

(٣) تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب، وتحليل النص، طه رضوان، ص ٢٩٧.

الآية التاسعة قوله تعالى: ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن

يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴾ [النساء: ٨٥]

"في هذا النص ترغيب للمؤمنين على الشفاعة الحسنة وزجر لهم عن الشفاعة السيئة، وقد تنوع أسلوب الآية في أداء هذا المعنى بين لفظين مترادفين هما: الكفل والنصيب على سبيل التلوين في الخطاب القرآني فاستعمل النصيب مع الشفاعة والحسنة والكفل مع الشفاعة السيئة. وهل هناك خلاف بين هذين اللفظين؟ فقد اختلف أهل اللغة والتفسير في الفرق بين الكفل والنصيب فهل الكفل في اللغة له معان تختلف عن المعنى نفسه المستعمل في هذا النص؟

وهل الكفل يستعمل أكثر في الشر والنصيب يستعمل أكثر في الخير" (١).

وقيل معنى الكفل في هذه الآية تختلف إلى حد ما عن معناه العام في اللغة وأن لفظ الكفل مستعار من الشيء الرديء وقيل: فإن الكفل هاهنا ليس بمعنى الرحمة التي في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] بل هو مستعار من الكفل وهو الشيء الرديء، واشتقاقه من الكفل وهو أن الكفل لما كان مركباً ينبو براكبه صار متعارضاً في كل شدة كالسيساء وهو العظم الناتئ في ظهر الحمار، فيقال: لأحلنك على الكفل وعلى السيساء ولأركبناك الحسرى الرذايا" (٢).

"وهذا الذي أبداه صاحب المفردات قد يبدو مناسباً إذا كان هذا المعنى مقصوراً على هذه الآية، أما إذا فسر به لفظ الكفل عامة فقد لا يبدو في قوة الأول؛ لأن قد استعمل لفظ الكفل في الخير وذلك في قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾، فنفسير الآية تبعاً لما زعمه الراغب يظهر في قوله: (ومعنى الآية من ينضم إلى غيره معيناً له في فعله الحسنة يكون له منها نصيب ومن ينضم إلى غيره معيناً له في فعله

(١) الكفل في اللغة عامة فقال الراغب: (والكفل والكفيل الحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره نحو قوله تعالى:

﴿فَقَالَ أَكْفَيْتَنِي﴾ (ص: ٢٣) أي أجمعني كفاً لها، والكفل الكفيل قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ (الحديد: ٢٨)

أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي

الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ (البقرة: ٢٠١) وقيل معنى قوله (كفلين) أي نعمتين اثنتين أراد النعمة المتوالية المتكفلة

بكفايته ويكون تثنيته على ما ذكر في قولهم (لبيك وسعديك).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، ص ٢٠٩.

السيئة يناله منها شدة ويبدو أن الكفل في هذا التفسير القوي من النصب ليفيد المبالغة في التهديد والوعيد.

وهكذا يبدو من خلال ما تقدم التقارب بين اللفظين غير أن لفظ الكفل في هذا المقام كان أكثر تهديداً وزجراً عن الشفاعة السيئة وأن اتصال لفظ الكفل قد يبدو مناسباً لإحدى دلالات لفظ الكفل" (١).

وهو ما ذكره ابن منظور: (لا يقال هذا كفل فلان حتى يكون قد هبئ لغيره مثله) (٢).

"وكأنه سبحانه وتعالى لم يذكر لفظ الكفل في جانب الشفاعة السيئة إلا بعد ذكر النصب في جانب الشفاعة الحسنة وكأنه قيل من يشفع شفاعة حسنة يكون له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له نصيب أكبر منها ليكون ذلك أبلغ في الزجر" (٣).

الآية العاشرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [النساء: الآية ١٣٧ والآية ١٦٨].

"في النص بيان لعاقبة الكافرين الذين أعرضوا عن الحق فما كان الله ليديهم سبيلاً إلا سبيل جهنم، وجاء النظم القرآني بتنويع الأسلوب بين لفظين مترادفين هما: السبيل، والطريق تعبيراً عن مآل هؤلاء الجاحدين فلم جاء السبيل في الآية الأولى، والطريق في الآية الثانية.

قال الراغب: (السبيل الطريق الذي فيه سهولة وجمعه سبيل قال تعالى: ﴿ وَأَنهَرُوا سَبِيلًا ﴾ [النحل: ١٥] (٤).

(١) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، مادة (كفل)، ص ٢٨٧.

(٢) لسان العرب، مادة (كفل)، ص ٢٣/٢.

(٣) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٢/٢٩١.

(٤) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

الكناية عما منعه إلى ما يناسبه وجرى كل علم ما يجب أن يناسب ولم يكن عكس الوارد ليلائم ولا ليناسب والله اعلم^(١).

"ويضاف إلى ما تقدم ذكر جهنم مع لفظ الطريق خلاف الآية الأولى وذلك في قوله تعالى: (إلا طريق جهنم) ويبدو اتصال الآية التي ذكر فيها (الطريق) مع الآية التي ذكر فيها (السبيل) قرآن الآية الثانية بمثابة التتميم والتكميل للآية الأولى ولذا كان تصعيد الأداء في الآية أكثر فذكر سبحانه قوله ضلوا ضلالاً بعيداً، وقال: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ على سبيل التهديد والوعيد فبدأ بوصف ضلالهم وانتهى بذكر مآلهم وتخلل هذا أو ذاك تكرار لفظ الطريق مرتين بخلاف الآية الأولى وجاز أن يقال (لم يكن الله ليهديهم إلا طريق جهنم) غير أن النظم القرآني كرر لفظ الطريق على سبيل التهكم والسخرية^(٢).

وقال صاحب التحرير والتنوير: "وفي هذا الاستثناء فيه رائحة إطماع ثم إذا سمع المستثنى تبين أنه من قبيل الإنذار وفيه تهكم لأنه المستثنى من الطريق المعمول (ليهديهم) وليس الإقحام بهم في طريق جهنم يهدي لأن الهدي هو إرشاد الضال إلى المكان المحبوب ولذلك عقبه بقوله: (وكان ذلك) أي الإقحام لهم في طريق النار على الله يسير إذا لا يعجزه شيء إذ هم عبده يصرفهم حيث يشاء"^(٣).

الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَجْلِبِ مِنَ اللَّهِ وَجَلِبِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فقد عرف لفظ (الحق) في البقرة وجاء منكرًا في موضعين في آل عمران ولاشك أن لهذا التلوين علاقة بالسياق اللغوي المصاحب لكل من يفسر به إيراد الكلمة

(١) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رضوان، ص ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٣) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط ١٩٩٧م، ٤٨/٦.

معرفة في البقرة ومنكرة في آل عمران ورحم الله صاحب ملاك التأويل، فقد قال في بيان الفرق بين الموضعين: (ولما كانت الأولى في سورة البقرة إنما هي في سلفهم ممن لم يشهد أمر محمد ﷺ وقد وقع الإفصاح فيها بكفرهم بعد تفريقهم بذكر آلاء ونعم وقد ورد فيها أن بعض تلك المرتكبات أو أكثرها قد عفا عنهم فيها ولا شك أن بعضهم قد سلم مما وقع فيه الأكثر من كفرهم وقد أفصحت أي بذلك فيما ذكر عقبها من أن الكفر السابق عمومه في جميعهم ليس على ما يبدو منه والله اعلم.

وإنما هو راجع إلى أكثرهم، فقد دخله خصوص يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢] وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]، فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء بما وصفوا ليسوا في ارتكاب البهت والمهاجرة بالباطل ومولاة التمرد والاعتداء وحال معاينة البراهين كحي بن أخطب وأشباهه من المعاصرين لنبي ﷺ والمشاهدين أمره مناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوا ما وقع التعبير به من قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] إذ ليس المعرف في قوة المنكر المرادف لقولك بغير بسبب وأيضاً فقد تقرر عندهم من كتابهم أن مسوغ قتل النفس بغير حق كما هو موجود في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ أَلْنَفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥].

وتقرر أيضاً في كتابهم رجم الزاني المحصن وقد عرفنا ذلك في دينهم بالخبر الصحيح وأنهم اعترفوا بذلك عند النبي ﷺ بعد إنكارهم.

وقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام لهم لقوله: ﴿وَلَا تُرْثَدُوا عَلَيَّ أَدْبَارَكُمْ فَنُنْقَلِبُوهَا خِسْرِينَ﴾ [المائدة: ٢١] فعرف بعضهم جريمة الارتداد والظاهر أن حكم المرتد عندهم القتل كحكمه عندنا وكيف ما كان فقد استقر عندهم ما يسوغ حرمة القتل وقد علموا أن الأنبياء عليهم السلام مبرؤون من ذلك كله.

فقوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي بغير وجه الحق المبيح للقتل فالألف واللام للعهد المسوغ من المصدر في شريعتهم إذا قد افترق مقصد الآيتين وأما الأولى في آيتي آل عمران فخاصة بالمتمادين منهم على الكفر ولا تتناول الآية من أولها إلى آخرها

فهي ودلت على في التمرد والتمادي على الضلال فناسبها التذكير كالتى بعدها وهما معاً بخلاف آية البقرة إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حال المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك، والله اعلم بما أراد" (١).

"ومن العلماء من نظر إلى أن التذكير في آل عمران أبلغ من التعريف في البقرة، وقيل: (ولما كان قتلهم إياهم بدون شبهة أصلاً بل لمحض لأحد قبلهم حق دنيوي أو أخروي، قال (بغير الحق) أي لا صغير ولا كبير في نفس الأمر ولا في اعتقادهم فهو أبلغ مما في البقرة على عادة أفعال الحكماء في الابتداء بالأخف فالأخف ومهما يكن من شيء فمقصود هذه الآيات بيان جزاء بني إسرائيل وكان قتل الأنبياء من أعظم هذه الجرائم، لذا كانت المبالغة في تنويع هذا القيد (بغير الحق) بين التذكير والتعريف.

أما التعريف فلإشارة إلى أن قتلهم الأنبياء لم يكن بحق معهود وعندهم أو عند غيرهم أما التذكير فلا يزال بأن صنيعهم لم يكن بغير حق مطلقاً ويضاف إلى ما تقدم أن التذكير في آل عمران قد وقع في جملة بمعنى الشرط لوجود الفاء في الخبر؛ لذا كان عموم النكرة مناسباً لعموم الحاصل من نفي الشرط" (٢).

الآية الثانية عشرة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۗ ﴾ [النساء: ١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۗ ﴾ [مريم: ٦٠].

ولاشك أن في هذا القول نظراً من جهات عدة فإذا تأملنا الآيات كاملة وجدنا أن كل آية وفيها بالمقصود من نفي الظلم، وأن التصور ليس في شيء من المجاز بل هو ضرب من التمثيل والرمز وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۗ ﴾ [النساء: ٧٧]

(١) ملاك التأويل بن الزبير ج ١ / ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن الكريم، طه رضوان، ص ١٨٨ - ١٨٩.

الضمير في (تعلمون) عائد على المذكورين ممن زكى نفسه وممن يزكيه الله عز وجل وغير هذين الصنفين علم أن الله تعالى لا يظلمه من غير هذه الآية، والفتيل الخيط الذي في شق نواة التمرة وهذا يرجع إلى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيره، وأن الله لا يظلمه شيئاً، ولا شك أن التعبير القرآني في هذا المقام يعبر بأبلغ تعبير عن الحال حيث ينبئ الذين زكوا أنفسهم حقيقة أن الله لا يظلم شيئاً حتى هذا القدر الضئيل وهو تعبير يتصل بالمقام ويتصل بالمخاطبين على وجه الخصوص وبالناس كافة.

إن الظلم منفي عن الله تعالى لكن الله يختار ما يناسب الحال من تصوير وتعبير وهو أعلم به. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

وفي الآية الثانية نجد أن الخطاب سواء كان للمسلمين أم للمشركين أم لهما معاً فإن قوله تعالى: يتصل بالمقام اتصالاً وثيقاً فإن مقتضى الظاهر يتفق والتعبير القرآني فالتعريف هي النكته التي في ظهر النواة والمعنى أن الله لا يظلم أحداً شيئاً حتى هذا القدر الضئيل الذي يساوي النقيض وإذا تأملنا الخطاب في الآيتين السابقتين نجد أنه موجه إلى أناس يعيشون في عصر النبي ﷺ في الجزيرة العربية ويتصلون بالبيئة الصحراوية وما فيها من تمر وفتيل ونقيض أي أن الصورة تتصل بخبرات هؤلاء الناس وبيئتهم، أما الآية الثالثة فإنها تتصل بأجيال ستأتي ولهذا فإن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ قد جاء مطلقاً يتجاوز تلك الخبرات اليومية للناس في عصر النبوة وهؤلاء لا يمنع أن الآية فيها نفي للظلم لمطلق الظلم نفياً حقيقياً مباشراً واسعاً^(١).

الآية الثالثة عشرة قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]

ففي هذه الآية الكريمة نجد أن المغايرة جاءت بالعدول عن الغيبة في ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً﴾

(١) علم البيان بين القدماء والمحدثين دراسة نظرية وتطبيقية، د. حسني عبدالجليل يوسف، أستاذ اللغة العربية جامعة حلوان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ص ٣٦ - ٣٨.

وهذه المغايرة في اللفظ تتفق إلى حد كبير مع مغايرة حال المؤمنين في اتخاذ الكافرين أولياء، فقد جاء صدر الآية نهياً للمؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء ثم كان الاستثناء في هذه الحالة وهي: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقَنَّةً﴾ فورد النهي أولاً ثم بصيغة الغيبة: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم جاء الاستثناء على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناءً مفرغاً من أعم الأحوال والعامل فعل النهي معتبراً فيه الخطاب كأنه قيل: لا تتخذوهم ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال أتقاكم منهم في جهنم^(١).

وقال أبوحيان: "وهذا النوع في غاية الفصاحة؛ لأنه لما كان المؤمنون نهوا عن فعل ما لا يجوز جعل ذلك في اسم غائب ولم يواجهوا بالنهي. ولما وقعت المسامحة والإذن في بعض ذلك ووجهوا بذلك إيذاناً بلطف الله بهم وتشريفاً بخطابه إياهم"^(٢).
وقد يؤدي الاختلاف المفسرين حول مرجع الضمير إلى تحويل الأسلوب عن طريقة الالتفات المركب، لأن النص عند الاختلاف في مرجع الضمير قد يتجه إلى معنى مخالفة خاصة إذا كان تأويل مرجع الضمير يؤدي إلى تنافر النظم"^(٣).

الآية الرابعة عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ أَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿[آل عمران: ٩١]
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ يحتاج إلى بعض تأمل فإن الذي يقدم ملء الأرض ذهباً يوم القيامة إنما يفعل ذلك ليفتدي به من هول ذلك اليوم وعذاب النار، فما معنى أن يقال: ﴿وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ﴾ وهذا مفهوم في السياق، كما أن (الواو) في

(١) إرشاد العقل السليم، أبوالسعود، ٢٣/٢.

(٢) البحر المحيط أبي حيان، ٤٤٢/٢.

(٣) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠١﴾ (الإسراء) فقد جاء النص في هذه الآية على طريقة الالتفات المركب وذلك بالتصرف في الإحالات الراجعة إلى الله تعالى وهذا هو ما فسر به صاحب الكشف هذا النص وهو يعد فيما يبدو أول من قال بتعدد الالتفات في موضع واحد قال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل (سرى) ثم (باركنا) ثم (الرؤية) على قراءة الحسن ثم (آياتنا) ثم (إنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي على طريق البلاغة. انظر: الكشف للزمخشري ٦٤٨/٢.

هذا الموضوع تحتاج إلى تفسير، وقيل: (الواو) للعطف والتقدير: لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره ولو اقتدى به أيضاً لم يقبل منه. وقيل لبيان التفصيل بعد الإجمال فإن إعطاء ملء الأرض ذهباً يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بحجة الفدية^(١).

وقيل أن الملوك قد لا يقبلون الهدية ولكن يقبلون الفدية فإذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبّر بنفي قبول الفدية عن شدة الغضب^(٢).
(أي فقد حق العذاب عليهم أولئك هم لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) استحالة العفو عن هؤلاء الكفار الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلما كان الواحد منهم لن يستطع أن يملك ملء الأرض ذهباً فقد صاغ القرآن الكريم هذا التقدير (لو ملكه) وهذا محال وحتى وإن ملكه فلن يفندي به من ذلك العذاب. فنحن أمام محال في محال وكأنه سبحانه وتعالى يصور لنا حال هؤلاء الذين لن ينفعهم شيء (ما لهم من ناصرين) ولن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً فحذف المعطوف عليه اختصاراً وإيجازاً كذلك للأشعار بأن ملك أحدهم ملء الأرض ذهباً كأنه كائن ولو كان محالاً وعلى الرغم من ذلك فلن يقبل منهم^(٣).

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ الْأَسْبَتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٧ - ٤٨]

قال الإمام القرطبي: (وهم اليهود من بني إسرائيل الذين كانوا حواري مهاجر رسول الله ﷺ قال لهم يا أيها الذين أنزل إليهم الكتاب فأعطوا العلم به وصدقوا بما أنزل على محمد من الفرقان ومصداقاً لما معه، يعني محققاً للذي معهم من التوراة والإنجيل التي أنزلتها على موسى بن عمران).

(١) التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، مجدي محمد، ص ١٣٣.

(٢) إعراب القرآن للزجاج، ج ١/٣٣٥.

(٣) الإيجاز في كلام العرب، ونص الإعجاز، مختار عطية، دار المعرفة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص

كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبدالله بن سوريا وكعب بن أسد فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله أسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جننكم به الحق! فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد! ووجدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله فيهم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] (١).

لوفي هذه الآية الكريمة ترهيب وتهديد لليهود بعد خطابه لهم بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] ولكي يزيدهم وكي يزيدهم ترهيباً ختم الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

(١) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص ١٢٧ - ١٢٨.

الفصل الخامس

أثر الوقف على المعنى والإعراب

المبحث الأول: التعريف بالوقف وأهميته وعلاقته بالإعراب

المبحث الثاني: أثر الوقف على النص القرآني

المبحث الأول التعريف بالوقف وأهميته

"يقرر النحويون أن الوصل هو الذي عليه عقد الكلام، واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه، وأن الوقف من مواضع التغير وإضعاف الحرف والوقف هو عنصر من العناصر الصوتية في اللغة العربية، (هو قطع النطق عند آخر الكلمة كما عرفه محمد حماسة)"^(١).

"ويدل الوقف بوسائله المتعددة على موقع هو في طابعه مفصل من مفاصل الكلام، ويكمن عنده قطع السلسلة النطقية (Chain of utterance). وينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية (spoken groups) تعتبر كل دفعة منها إذا كانت معناها كاملاً واقعة تكميلية (speech event) منعزلة. أما إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشرط دون الجواب مثلاً فإن الواقعة التكميلية حينئذٍ تشتمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة.

ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعة من موقعيات السياق اللغوي العربي ترجع إلى عدة اعتبارات تتمثل هذه الاعتبارات في الآتي:

١ - أثر الوقف في المعنى والإعراب.

٢ - كراهية توال الأضداد.

٣ - كراهية التنافر." ^(٢).

وغير ذلك من أنواع الاعتبارات الأخرى.

"إلا أن الوقف والوصل هما نوعان من أنواع مظاهر النطق العربي بالإضافة إلى تعلقهما بفساد أو صحة المعنى والإعراب.

ولأهمية الوقف وتأثيره في المعنى والإعراب كما سنبحثه في هذا المبحث نجد أن كثيراً من النحاة والقراء على حدٍ سواء قد كتبوا فيه وبينوا أنواعه وما يترتب عليه من الاختلاف في المعاني والإعراب، (ويرتبط كل من الوقف والإعراب بالآخر ارتباطاً وثيقاً)؛ إذ إنَّ الوقف يؤثر في المعنى، وهذا بدوره يؤثر في الإعراب، ومن ثم

(١) العلامة الإعرابية، د. محمد حماسة، ص ٣٣٥.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ٢٧٠.

كان لازماً لمن يريد أن يدرس الوقف في القرآن الكريم أن يكون ملماً بأوجه الإعراب المختلفة وما يستتجبه كل وجه من الوجوه في الوقف في القراءات المختلفة.

لهذا نجد بعض المشتغلين بعلوم القرآن من اتخذ الإعراب والفصائل النحوية مقياساً لبيان موضع الوقف وبيان أنواعه^(١).

"وهذا يدل على اهتمام المسلمين الأوائل بعلم الوقف في القرآن الكريم، إذ أنهم كانوا يساؤون بين تعلم القرآن الكريم، وتعلم الوقف، وذلك لأن المعنى متوقف على الموضع الذي يقف عنده القارئ، ربما يقف القارئ على موضع يخل بالمعنى، أو يؤدي إلى تعسف في الإعراب^(٢). وهذا يتبين مما سبق إن كل وقف من أنواع الوقوف له وجوه خاصة في المعنى والإعراب، فمن الأمثلة الآتية يتضح في أهمية الوقف وأثره على المعنى والإعراب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [سورة الكهف: الآية ١] فيجب الوقف على كلمة عوجاً ثم الابتداء بـ (قيماً) لئلا يتوهم إن قوله تعالى (قيماً) صفة لقوله (عوجاً)، إذ العوج لا يكون قيماً.

كما نجد أن الوقف أيضاً يتعلق بالسياق وذلك عندما تقف على ما آخره هاء سكت في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً﴾ (٢٥) وَلَمْ أُدْرِمَ مَا حَسَابِيَّةً (٢٦) يَلَيِّنَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةً﴾ [سورة الحاقة: الآية ٢٥-٢٨] فإنك في غير القرآن تثبت هذه (الهاء) إذا وقفت وتحذفها إذا وصلت^(٣).

أيضاً يجب الوقف عند قوله تعالى: (وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ) ثم الابتداء بقوله ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة يونس: الآية ٦٥] كي يستقيم المعنى إذا لو وصل لا وهم أن القول الذي يحزنه هو قولهم: (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

(١) مباحث في علوم القرآن الكريم، مناع القطان، ص ١٨٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٦.

جَمِيعاً) أي لئلا يتوهم القارئ في حالة الوصل إن الآية الأخيرة هي مقول قولهم في محل نصب بل هي مستأنفة^(١).

إذن للوقف أهمية كبرى في كيفية قراءة القرآن الكريم وحفاظاً على سلامة الآيات، وبعداً عن اللبس والوقوع في الخطأ (وهذا يحتاج كما قلنا إلى المعرفة بعلوم العربية، وعلم والقراءات والتفسير حتى لا يفسد المعنى القرآني).
أهمية الوقف:

"روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: " (لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وأن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن، ولقد رأينا اليوم رجالاً يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زواجه ولا ما ينبغي أن يوقف عنده وكل حرف منه ينادي أنا رسول الله إليك لتعمل بي وتتعض بمواعظي)^(٢) ويبدو أن كلام ابن عمر رضي الله عنهما يصب في أهمية الوقف وأثره على المعنى القرآني المراد وسلامة الآيات وعدم فساد المعنى المراد.

إذن إن الوقف يمثل عنصراً منفرداً لِماله من آثار هائلة في المعنى في غير جانب من جوانب القراءة وهو يؤدي إلى تنوع في الأداء حسب مواضع الوقف وهو يفضي إلى اختلافات في شكل الجملة من حيث بدايتها أو نهايتها، بل من حيث نوعها فقد تكون خبرية بوقف وتكون إنشائية بوقف آخر.

كما نجد أن الوقف يمدنا بتحليلات نحوية مختلفة، وفي نهاية المطاف يؤدي إلى تنوع في المعنى مما يتضمنه من تنوع في الأحكام"^(٣).

ولهذا يرى الباحث أن الوقف موضوع ذو أهمية ومن أجل ذلك توافر عليه علماءنا القدماء فجمعوا القراءة وصنفوها وقعدوا أحكامها وأنواعها، من حيث الوجوب والجواز والامتناع ومن حيث التمام والكفاية والحسن والقبح وغير ذلك^(٤).

إذن يبدو أن الوقف له أهمية لا يمكن إغفالها وهذه الأهمية تتلخص في الآتي:

(١) مباحث في علوم القرآن الكريم، د. مناع القطان، ص ١٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٠.

"أولاً: إن النص القرآني يمثل وحدة واحدة يجب أن يراعى فيها ألوان من الوقف اللازم والوصل الذي تقتضيه أحكام المعنى والإعراب فلا يجوز مثلاً أن نقف على ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء: الآية ٤٢] أو ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [سورة الماعون: الآية ٤] أو ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [سورة المائدة: الآية ٧٣] بل لا بد من مراعاة القواعد التي تحفظ للمعنى سلامته وهو ما تحرص عليه أحكام الوقف والوصل عند العلماء، إذن ظاهرة الوقف (juncture) في القرآن الكريم هي بحق ظاهرة لغوية فريدة فلا توجد في القوالب الأدبية الأخرى نظماً كانت أو نثراً قالباً فيه من التفصيل والتبيين حول هذه الظاهرة ما تراه في القرآن الكريم.

فضلاً عما في هذا الوقف من إبراز لموسيقى القرآن التي لا تتضح إلا به فيزيد ذلك روعة التلاوة مع مما يخلع عليه من إيقاع محبب وتنغيم آخاذ^(١).

ولهذا قال الصابوني^(٢): يصور لنا سحر فواصل القرآن وأثره في النفوس يقول معلقاً على الآيات الثلاث من سورة (ص) ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ٦٢﴾ [سورة ص: ٦٢ - ٦٤] فمثل هذا البيان الرائع الجرس وأقسم بالله والقول للصابوني أشعر بهزّه في نفسي كلما قرأت القرآن لما له من وقع عذب على السمع وأحياناً تجدني أتمايل طرباً دون شعور أكثر مما يتمايل المغرمون بالأنغام وما ذلك إلا لروعة البيان في هذا القرآن وصدق الرسول الكريم حين قال: (إن من البيان لسحر)^(٣).

نجد أن الوقف بدوره يؤثر في النحو والصرف والتفسير والقراءات نفسها ولذلك نجد أن النحاة والقراء تحدث على الوقف وكانوا مختلفين في فهمه. ونريد أن نقف على آراء النحويين والقراء وقولهم في الوقف فالوقف عند النحاة وهو ما يكون على آخر الكلمة المفردة دون النظر إلى معانيها داخل النص فهم

(١) الوقف في القراءات القرآنية وأثره على المعنى والإعراب، محمد محمد حسن، ط ٢٠٠٢، ص ٥.

(٢) محمد الصابوني أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبدالعزيز.

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، دار القلم، بيروت، ط ١٩٨٦م، ٦٧/٣.

يعنون بأخر الكلمة وما يصيبها عند الوقف من حذف وإبدال وزيادة أي إنهم يهتمون بالجانب الشكلي الذي يتمثل في النواحي الصوتية.

أما عند القراء فهو أشمل وأعم فالى جانب دراسة هذا القسم من الوقف الذي يتناولونه تحت عنوان (الوقف على أواخر الكلم) يدرسون أيضاً الوقف داخل الجملة وداخل النص الذي يرتبط بالمعنى حسناً أو قبحاً وهذا النوع الأخير من الوقف هو الذي تصرف إليها الأذهان^(١).

ويقول تمام حسان: (ولعل ظاهرة الوقف باعتبارها موقعية من مواقع بيان توالي السياق العربي ترجع إلى كراهية توال الأضداد أو كراهية التنافر أن شئت أسماً آخرأ لهذا المظهر من مظاهر الذوق العربي فالحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الأداء، والصمت الذي يأتي عن تمام المعنى جزئياً أو كلياً أو عن انقطاع النفس أو لأي سبب، فإن الوقف يعتبر عكس الحركة تماماً فبينه وبين الحركة تنافر^(٢)).

وقد أثر هذا الوقف في رؤوس الآيات عن النبي صلى الله عليه وسلم روت أم سلمة رضي الله عنها إن النبي ﷺ إذا قرأ قطع قراءته آية آية (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف ثم يقول (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثم يقف (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ثم يقف (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ثم يقف^(٣).

(١) الوقف في القراءة القرآنية وعلاقته بالإعراب، محمد حسن، ص ١٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٧٠.

(٣) النشر، لابن الجزري، ط ١٩٨٢م، بيروت، ص ٢٢٦.

المبحث الثاني

أثر الوقف على النص القرآني

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧].

"آيات محكمات: واضحات الدلالة لا يعرض لها شبهة من حيث اللفظ أو المعنى، أم الكتاب: أصله المعتمد عليه في الأحكام، وأخر متشابهات: لا ينبئ ظاهرها عن المراد منها، كالحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل: ما أشكل تفسيره لمشابهته لغيره من حيث اللفظ أو المعنى، أو اللفظ والمعنى معاً" ..

"في قلوبهم زيغ: في صدورهم ميل عن الحق الواضح إلى الباطل.

الراسخون في العلم: المتمكنون فيه، المطمئنون إليه، الذين تحققت فيهم هذه الشروط: (التقوى فيما بينهم وبين الله، والمجاهدة فيما بينهم وبين أنفسهم، والتواضع فيما بينهم وبين الناس، والزهد فيما بينهم وبين الدنيا)^(١).

أولو الألباب: أصحاب العقول الزكية، والبصائر المضيئة التي تفهم المراد، وتتعظ بكل ما تسمع، المعنى:

سبحانه وتعالى هو الذي أنزل عليك يا محمد الفرقان الحكيم وجعل منه آيات واضحات، يدل ظاهرها على المراد منها، وهي أكثر آيات القرآن، وجعل منه قسماً متشابهاً، أشكل تفسيره على الناس لأنه سبحانه وتعالى قد استأثر بعلمه، فيجب عليكم أن تؤمنوا به، وتكلوا أمره إلى الله سبحانه، لا تكونوا كاليهود والنصارى والصابئين وغيرهم من الكفرة الذين يتركون الحق الواضح. ويتبعون هذه الآيات المتشابهات، لا لشيء إلا ابتغاء الفتنة، وطلباً لفرقة وحثاً على الاختلاف، كقولهم بأن الله يداً -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- استدلالاً بقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب، حمدي عبدالفتاح، ط ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص

﴿أَيَّدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٠] وتركهم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] وقولهم إن عيسى روح الله، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿وَكَالِمَتَهُ أَلقَهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: الآية ١٧١] ويتركون قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: الآية ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: الآية ٥٩].

ولذا فالراسخون في العلم الثابتون فيه من المؤمنين لا يخوضون في المتشابه منه، بل يؤمنون به، ويكلون أمره إلى الله، وهذا شيء لا يقدر عليه ولا يتعظ به إلا أصحاب العقول الزكية.

فموضعه قوله تعالى: (إلا الله) لأن المعنى في القرآن الكريم آيات محكمات واضحة وأخر متشابهات، تحتاج إلى فهم خاص لمخالفة ظاهر اللفظ لمقصود منها، ولا يعلم تأويله أو المراد منها أحد إلا الله -عز وجل- وحده، وإذا سمع الراسخون في العلم مثل هذه المتشابهات لم يخوضوا فيها، أو يتأولها، بل ردوا علمها إلى منزل الفرقان ومحكم القرآن -سبحانه-.

وهنا يجب الوقف وإلا كان المعنى: أن الراسخون في العلم يعلمون المتشابه أيضاً.

وعليه ف (ما) نافية و(يعلم) فعل مضارع مرفوع، و(تأويله) مفعول به مقدم، والهاء مضاف إليه، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، لا عمل لها، ولفظ الجلالة فاعل مؤخر، (وَأَلرَّاسِخُونَ) الواو استنفايه و(الراسخون) مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، و(في العلم): جار ومجرور متعلق بـ (الراسخون) و(يقولون): مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون وواو الجماعة فاعل و(آمن) فعل وفاعل و(به) جار ومجرور متعلق بـ(آمنا) وجملة (آمنا) في محل نصب مقول القول والجملة كلها في محل رفع خبر المبتدأ (الراسخون)"^(١).

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب، د. حمدي عبدالفتاح، ص ٥٨.

"وهذا الوقف هو الذي كثير من العلماء والمفسرين، وروى عن بعض الصحابة كابن عباس رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وعائشة رضي الله عنها، بل وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عليه".

"كما روى عن بعض التابعين كالحسن، وأبي نهيك، والضحاك، وقال به أيضاً عمر بن عبدالعزيز، وعروة بن الزبير رضي الله عنهم.

وقال به من القراء: نافع، ويعقوب، والكسائي.

وقال به من النحويين: الأخفش، والفراء، وابن كيسان".

"لأن بعض العلماء من المفسرين والأصوليين والراغب الأصفهاني يرون أن موضع الوقف هو (في العلم) ويكون المعنى: أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه أيضاً. واحتجوا لقولهم بعدة أدلة، أهمها:

الأول: لو لم علمه الراسخون لكان في القرآن بعض الآيات فيها خطاب للمؤمنين بما لا يفهم، وهذا بعيد.

الثاني: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من قوله: (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله).

ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم له: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)^(١).

وعليه ف(الراسخون) معطوف على لفظ الجلالة، وجملة (يقولون) في محل نصب حال من (الراسخون) أي / قائلين: آمنة به، هذا ويبدو أن الراجح هو الوقف الأول على (إلا الله) وذلك لأن يمكن أن يراد على أصحاب الرأي الثاني بالآتي:

الأول: قولكم: لو لم يعلمه الراسخون لكان في القرآن خطاب بما لا يفهم غير مسلم؛ لأن وجود مثل هذا القرآن الكريم ليس بحجة لكم، بل عليكم، لأن مثل هذا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، بمعنى: أن هذا من جنس كلامكم أيها المخاطبون ومع ذلك لا تستطيعون فهمه، أي: المراد منه، لأنه مما استأثر الله بعلمه^(٢).

(١) صحيح البخاري، ٦٦/١، رقم الحديث ١٤٣، دار ابن كثير، بيروت، ط ١٩٨٧م.

(٢) الوقف اللازم في القرآن الكريم، لحمدى، ص ٥٩.

الثاني: ما استشهدوا به من قول ابن عباس رضي الله عنه، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير قوي، لاحتمال أن يكون المراد بالتأويل هنا: التفسير والبيان، لا معرفة المتشابه كقوله تعالى في قصة يوسف -عليه السلام- ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: الآية ٣٦].

الثالث: لو وقف على (في العلم) لكان الراسخون في العلم يعلمون المتشابه كمثل نزول عيسى ابن مريم، وقيام الساعة، والمدة التي بيننا وبينها، وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه، وهذا غير واقع، ولو وقع لكان أولى الناس به النبي صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربه بقوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْغَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] (١).

الرابع: لو كان الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه لما كان في تخصيصهم بالإيمان وجه قوي، لأنه حينئذ يكون الإيمان به كالإيمان بالمحكم سواء بسواء فلا يكون في الإيمان به خاصة مزيد مدح لهم.

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم، حمدي، ص ٦٠.

الخامس: أن (الراسخون) في موضع (أما) وأن أصل الكلام: وأما الراسخون في العلم فيقولون أما به، كل من عند ربنا، يدل على ذلك أنه لا تكاد توجد (أما) التفصيلية في القرآن الكريم إلا وتثلاث أو تثني كقوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيَبَهَا وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩ ﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ فَحَشِينًا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨٠ ﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ٨١ ﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ. عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٩-٨٢] وقوله: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ ﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ ﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾ [الضحى ٩-١١].

وهنا قال: (فأما الذين في قلوبهم زيغ) ولم يقل بعده: (وأما) فدل على أن قوله: (والراسخون) مستأنف منقطع عما قبله. وأن أصله: وأما الراسخون في العلم أو أصله: وأما غيرهم فيؤمنون به ويكلون معناه إلى ربهم، ثم حذف ذلك، ودل عليه (والراسخون...) وهذا جائز في (أما) التي هي حرف شرط وتفصيل حيث ترك تكرارها استغناء بكلام يذكر بعدها يدل على ذلك القسم المحذوف كما في الآية: وقد يترك تكرارها استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر، كقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ١٧٤ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ١٧٥ ﴾ [النساء ١٧٤-١٧٥].

فالتقدير: وأما الذين كفروا بالله فلهم عذاب كذا وكذا وكذا. ولهذا رُجِحَ الوقف على (إلا الله).

يؤكد ذلك المعنى قراءة ابن عباس رضي الله عنه وأبي: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ) وقراءة ابن مسعود: (إن تأويله إلا عند الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ). وربما يتعرض على الرد السابق بأنه لو كان على تقدير: (أما) لوجب الفاء في الجواب، حيث يقال: (والراسخون في العلم فيقولون) ولكنها لم تأت.

ويرد بأن الفاء حذفت من الجواب هنا، والأصل: فيقولون، وهذا الحذف له نظائر فمنه في القرآن الكريم: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ١٠٦ ﴾ [آل عمران ١٠٦]. أي فيقال

أكفرتم: وفي الحديث: (أما إبراهيم عليه السلام -فانظروا إلى صاحبكم- يعني نفسه ﷺ - وأما موسى كأني انظر إليه وقد انحدر في الوادي يلبي)^(١)، ومنه قول الحارث المخزومي:

فَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْ * سِيراً فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ^(٢)
والأصل فلا قتال:

(هذا، ويروي بعض العلماء أنه لا مانع من الوقف على (العلم) إذا كان المراد بالتأويل: التفسير والبيان والتعبير، كقوله تعالى: (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) في العلم: ويجب الوقف على لفظ الجلالة لما سبق بيانه. والله تعالى أعلى وأعلم.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٨١]
الذين قالوا إن الله فقير: بعض رؤساء اليهود كحيي بن أخطب وفتحاص بن عازوراء، وكعب بن الأشرف)^(٣).

عذاب الحريق: عذاب النار التي تحرق الأجساد وتذيب الأبدان.
المعنى:

دأب اليهود على المجادلة والشقاق مع المسلمين، فحين نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٤٥) استهزأ اليهود بذلك، وقال أحدهم - وهو فتحاص - لأبي بكر ﷺ حين قال له: اتق الله وأسلم، فإنك تعلم أن محمداً رسول الله، فرد عليه مستهزئاً: ما بنا إلى الله من حاجة، وأنه إلينا لفقير، وأنا عنه لأغني، ولو كان الله غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبوبكر غضباً شديداً لله تعالى: وضرب وجه فتحاص ضرباً مبرحاً حتى أثر في وجهه فجاء فتحاص شاكياً أبا بكر

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب التلبية إذا انحدر في الوادي ٥٦٣/١، ت سعيد البغاوري، والإمام أحمد في مسنده ٢٧٧/١.

(٢) من الطويل وهو للحارث بن خالد المخزومي في ديوانه، ص ٤٥، ورد في المقتضب ٧١/٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٤/٧، ١٢/٩.

(٣) الوقف اللازم في القرآن، عبد الفتاح، ص ٦٤.

إلى رسول الله ﷺ، فسأل أبا بكر عن سبب ذلك، فحكى له ما حدث ولكن فنحاص أنكر ذلك، فنزلت هذه الآية تبين صدق أبي بكر وكذب فنحاص وأهله، وتهدهم وتوعدهم بأن ما قالوه مسجل عليهم في صحائف أعمالهم، وسيلقون بسببه عذاباً شديداً في نار جهنم التي تحرق أجسادهم، وتذيب شحومهم، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب، ولا تحزن يا محمد من أفعالهم القبيحة لأنهم جبلوا على ذلك، ورضوا بالأفعال الشنيعة التي فعلها آباؤهم كقتلهم الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، وتكذيبهم" (١).

"الوقف: موضعه قوله تعالى: (وَمَنْ أَعْيَاءُ) وذلك لأن هذا نهاية مقولة بعض اليهود، ثم يبتدأ بـ (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا) لأنها كلام الله - عز وجل - رداً عليهم وتهديداً لهم، ولا بد من الوقف، وإلا دخلت جملة (سَنَكْتُبُ) في مقولة اليهود، وليس الأمر كذلك، وعليه فجملة (إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ وَمَنْ أَعْيَاءُ) في محل تنصب مقول القول الثاني: (قَالُوا) لا الأول المصدر المضاف (قَوْلٍ)؛ لأن إعمال الفعل أقوى من إعمال المصدر و (سَنَكْتُبُ) السين للاستقبال، و (نكتب) فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم، و (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة (قالوا) فعل وفاعل صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب، و (قتلهم) معطوف على محل المفعول به (ما) و (قتل) مضاف و (هم) مضاف إليه" (٢).

الآية الثالثة قوله تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۗ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [سورة النساء: الآية ١١٧-١١٨].
المفردات: شيطان: كل عات متمرّد من الجن، والمقصود هنا إبليس اللعين.
مريداً: متمرّداً بلغ الغاية في العتو والفجور لخروجه عن طاعة الله أو متمرّداً متجرّداً عن الخيرات.

لعنه الله: طرده من رحمته في الدنيا، وسخط عليه وعذبه في الآخرة.

(١) أسباب النزول للواحي، ص ٧٦-٧٧، وتفسير ابن كثير ١/٤٣٣-٤٣٤، وحاشية الجمل ١/٣٤١، وصفوة التفسير للصابوني ١/٢٣١-٢٣٢.

(٢) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى، حمدي، ص ٦٠.

نصيياً مفروضاً: جزاءً معيناً ومقدراً معلوماً، قيل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. وأمة محمد ﷺ حينئذ كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

المعنى:

بعد أن ذكر الله - سبحانه - أنه يغفر كل الذنوب إلا الإشراك به سبحانه ذكر أن المشركين ما يعبدون إلا أصناماً من الحجارة، لا تنفع ولا تضر، نحتوها بأيديهم، وصنعوها على أعينهم، ثم سموها بأسماء إناث ك (اللات، والعزى، ومناة) ثم زين لهم الشيطان عبادتها، فاطاعوه وساروا في ركابه وهذا الشيطان متمرد، لم يطع ربه في أن يسجد لآدم - عليه السلام - فلذا طرده ربه، وأخرجه من رحمته، وتوعده بالعذاب والهلاك، فعليكم أيها المؤمنون أن تحذروا منه ومن إغوائه، لأنه حين طرده ربه أقسم أن يضل كثيراً من خلق الله، وأن يعدهم بالأمانى الكاذبة والبروق الخادعة، ويزين لهم المعاصي، ويحبب إليهم الشهوات، فن يسر معه فهو داخل في حزبه، ولا شك أن حزب الشيطان هم الخاسرون.

الوقف:

موضع الوقف قوله تعالى: (لَعْنَةُ اللَّهِ) وذلك لأن جملة (لَعْنَةُ اللَّهِ) صفة ثانية ل (شَيْطَانًا) بعد الصفة الأولى والطرده من رحمة الله تعالى. وهنا يلزم الوقف على لفظ الجلالة، والابتداء بالتي يحكي فيها عن الشيطان ما قاله في حق الإنسان^(١).
وعليه فجملة (لَعْنَةُ اللَّهِ) التي تتكون من الفعل والفاعل والمفعول في محل نصب صفة ثانية ل (شَيْطَانًا) أو هي جملة استثنائية لا محل لها في الإعراب جاءت لغرض الدعاء عليه أو الإخبار بذلك، وجملة: (وَقَالَ لَا تَخْذَنَّ) استثنائية لا محل لها من الإعراب، غير معطوفة على (لَعْنَةُ اللَّهِ) و (لَا تَخْذَنَّ) جواب قسم

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم حمدي، ص ٦٧.

محذوف، و(مَنْ عِبَادِكَ) جار ومجرور، إما متعلق بالفعل قبله أو بمحذوف على أنه حال من (نَصِيْبًا) لأنه في الأصل صفة نكرة قدم عليه^(١).

لَمِيَّةٌ مُوْحِشًا طَلَّلُ * يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ^(٢)

حيث جاءت (موحشاً) حل من (طلل) وهو نكرة، فلذلك تقدمت عليه.

هذا وبعض العلماء كالعكبري يرى أن الوقف هنا غير واجب بل جائز، وعليه فيجوز الوصل، وعليه فهذه الجملة (وَقَاكَ لِأَتَّخِذَنَّ) يجوز أن تكون في محل نصب صفة ثالثة لـ (شيطان) أو هي معطوف على (لَعَنَهُ اللهُ) وفاعل (قال) ضمير الشيطان أيضاً، وهي جملة في محل نصب حال على إضمار (قد).

وأرى أن الوقف هنا لازم لا جائز، وذلك لضعف هذه الأعراب التي وجه بها

جواز الوصل وعدم الوقف:

١- أما الإعراب الأول وهو أن جملة (وَقَاكَ لِأَتَّخِذَنَّ) صفة ثالثة لـ(شيطان) فهذا ضعيف لأن جملة المنعوت بها كجملة الخبر، لا يجوز أن تدخل عليها الواو، خلافاً للزمخشري، الذي أجاز ذلك، وفي هذا يقول ابن مالك:

ونعتوا بجملة منكرًا * فأعطيت ما أعطيته خبراً^(٣)

(وأما الإعراب الثاني في كون جملة (وَقَاكَ لِأَتَّخِذَنَّ) معطوف على جملة (لَعَنَهُ اللهُ) فهذا أيضاً ضعيف لأن فيه عطف الخبرية على الإنشائية، وهذا غير جائز عند جمهور النحاة.

وأما الإعراب الثالث وهو أن الجملة في محل نصب حال على إضمار (قد) فهو غير واضح في الآية لأن المعنى على الحال سيكون: (لَعَنَهُ اللهُ) حال كونه قال: كذا وكذا، والواضح أن الله لعنه منذ أن امتنع عن السجود وقبل أن يقول ما حكي عنه في الآية).

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم، ص ٦٨.

(٢) البيت من مجزوء الوافر وهو لذي الرمة: مية هي محبوبته، خزنة الأدب، ١/٣٧٩.

(٣) انظر: خلاصة الألفية لابن مالك، ص ٤٥.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: الآية ١٥٧-١٥٨].

المعنى:

"يخبر الله - سبحانه - عن بعض جرائم اليهود، وقبائحهم الشنيعة كافتراءهم على مريم - عليها السلام - وادعائهم أنهم قتلوا عيسى - عليه السلام - وهم في الحقيقة لم يقتلوه، وإنما قتلوا من ألقى عليه شبه عيسى عليه السلام فصلبوه وهذبوه، أما عيسى - عليه السلام - فنجاه الله من مكروهم ورفعهم إليه بقدرته، لأنه سبحانه منيع الجناب لا يرام ولا يضام من لاذ ببابه، وله الحكمة البالغة في كل ما يفعله، والحجة الدامغة، ومع كونهم لم يقتلوه حقيقة فسيعاقبهم الله على ذلك عقاب من قتل نبياً لأنهم قصدوا ذلك، وتبجحوا بصنعه".

الوقف:

موضعه قوله تعالى: (عيسى ابن مريم) وذلك أنه سبحانه يحكي مقولة اليهود بعد ادعائهم قتل عيسى - عليه السلام - الذي يتهمونه بالكذب والسحر، وهنا يلزم الوقف على قوله (ابن مريم) لأنه نهاية كلام اليهود المحكي عنهم، والابتداء بجملة (رسول الله) لأنه لو وصل بما قبله لتبادر إلى ذهن السامع أنه تممة كلام اليهود، وليس الأمر كذلك، فهو من كلام المولى - عز وجل - مدحاً لعيسى - عليه السلام - ورداً على هؤلاء في زعمهم أنه ليس بني.

وعلى هذا ف(رسول الله) مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره (أعني) أو (أمدح) والجملة استثنائية لا محل لها من الإعراب جاءت لغرض مدح عيسى - عليه السلام - أو هي من باب وضع الذكر الحسن من الله - عز وجل - عن عيسى - عليه السلام - مكان ذكرهم القبيح.

هذا، ويرى بعض العلماء أن الوقف هنا غير لازم بل والوصل أولى وذلك لأن جملة (رسول الله) من كلام اليهود أيضاً، فإن قيل كيف يقولون عنه (رسول الله) وهم قد كفروا به وسبوه؟

أجيب: بأنهم قالوا عنه إنه رسول الله على سبيل الاستهزاء والتهمك به على حد قول مشركي مكة عن محمد ﷺ: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] وقول فرعون عن موسى -عليه السلام-: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧] (١).

(١) الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى، حمدي، ص ٧٥.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يود الباحث أن يشير إلى ما توصل إليه في هذه الدراسة المتواضعة المقترنة بالوصف، والتحليل.

فقد اشتملت هذه الدراسة بحمد الله على مقدمة وكانت تتمثل في الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهيكل البحث، كما شملت الدراسة تمهيداً في قضية المعنى اللغوي وأهميته وجهود العلماء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الفكرية، كما شمل التمهيد نبذة عن علم الدلالة، تعريفها ونشأتها الأولى عند العرب والهنود واليونانيين، وأثر القرآن الكريم وعلومه في تطور الدلالة والبحث الدلالي عند العرب الذي توسع ليشمل الشعر وكلام العرب، اللغة عامة، كما تناول أيضاً الدراسة الدلالية عند المحدثين في السنوات الثلاثين الأخيرة، وارتباطها ببعض العلوم الأخرى من فلسفة واجتماع وعلم نفس ومنطق، وعلم المعنى الذي يعد فرع من علم البلاغة وعلاقة هذه الدلالة بعناصرها المختلفة.

ففي الفصل الأول كانت الدراسة عن الدلالة الصوتية وأثرها على اللفظ والجملة، وذلك لأهمية هذا العنصر لما فيه من نبر وتنغيم ومقاطع صوتية وفونيمات ذات أثر على اللفظ أو المفردة اللغوية. أما الفصل الثاني كانت الدراسة عن الدلالة الصوفية وأهميتها في النص اللغوي من اشتقاقات وتغيرات في بنية الكلمة وفي النص اللغوي من دور مهم في تحديد وظيفة النحو وأن أي تغيير حدث في بناء الكلمة حتماً يؤدي إلى تغيير في المعنى والمدلول.

وفي الفصل الثالث تحدثت الدراسة عن الدلالة النحوية وأثرها داخل الجملة العربية والنص القرآني وهو ما يعرف بالنحو الوظيفي الذي له أثر في دلالة الكلمة وذلك من خلال الوظيفة الإعرابية من نصب وجر ورفع وإلى ما ذالك من دوالي الإعراب المختلفة.

أما في الفصل الرابع فكانت الدراسة عن دور السياق بنوعيه اللغوي، وسياق المقام؛ لأن السياق له علاقة وطيدة بهذا العلم؛ ولأنه يُعنى بدراسة المعنى بكل الوسائل اللغوية وغير اللغوية فالسياق اللغوي هو ما يتعلق باللغة، من علاقة الجمل

بعضها ببعض، فأما سياق المقام هو البيئة المحيط بالحدث الكلام ذات الأثر الكبير على النص والمقال.

وقد أثبتت هذه الدراسة بمناقشتها لمفهوم تلك العناصر واتجاهات دراستها في ضوء الدراسات الحديثة، والقديمة منها والاستفادة من المعطيات في هذين الدراستين في منهجية البحث اللغوي لقضايا العناصر الدلالية في تحليل الجمل والمفردات والألفاظ داخل النص اللغوي، للوصول للمعاني المنشودة من تلك الألفاظ والمفردات اللغوية ولأن العلاقات المختلفة لفظية ومعنوية تلعب دوراً كبيراً في تحليل الجملة، ولذا فإن هذه العناصر تقتضي دراسة في جميع مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية كما وتستعين في ذلك بالنظام الدلالي في تنسيق علاقاتها اللغوية.

وقد توصل الباحث من خلال مناقشته للقضايا المتنوعة لهذه العناصر المختلفة إلى النتائج التالية:

- ١- أن التحليل الدقيق للفظ الجملة العربية يقوم على تكامل جميع الأنظمة اللغوية، فالمعنى العام للجملة يعتبر محطة لعلاقتها اللغوية المختلفة.
- ٢- أن الدلالة الصوتية تعتبر ظاهرة من المظاهر الدلالية التي تطرأ على النص اللغوي باختلاف مواقعها في التفريق بين معنى وآخر.
- ٣- أن للبنية الصرفية دوراً مهماً في دلالة النص وفي الدراسة النحوية والسياقية للجملة وتوجيه الإعراب تارة أخرى، وأن كل تغير يطرأ على بنية الكلمة حتماً يؤدي إلى تغير دلالي للنص.
- ٤- إن للإعراب تأثيراً على الجملة وسياقها، وأثر ذلك على المعنى، وإن الإعراب هو الفارق بين المعاني وإنه المعيار الصحي لفهم المعنى المنشود من الجمل.
- ٥- اعتماد تصنيف الجمل على أساس علاقة الإسناد والترابط السياقي؛ لأنه يعتبر الأهم في فهم الجمل وعلاقة الجمل بعضها ببعض وأن السياق بكل عناصره ركيزة مهمة في الكشف عن الدلالة ورفع اللبس والغموض في النص.

٦- أن المعنى الدلالي الكامل للبحث اللغوي لا يقف عند حدود المعاني الوظيفية للأحداث اللغوية بل لابد من سياق الحال والمقام الذي يتمثل في البيئة الزمانية والمكانية والتاريخية والظروف والملابسات التي قيل فيها الحدث اللغوي.

٧- أن للوقف أثراً كبيراً في تحديد معاني آي القرآن وتفسير نصوصه وفي تحديد عناصر الجملة ومعانيها وارتباط تلك العناصر بعضها ببعض كما يرتبط النحو بالوقف ارتباطاً لا ينفك عنه ويسهم كل واحد منهما في الإفصاح عن المعنى المرجو من النص القرآني.

التوصيات:

يوصي الباحث بالدراسة في السياق اللغوي والمقامي وأثرهما في تحديد معاني مفردات القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية. وذلك من خلال السور المكية والمدنية، وأثر الثقافة الإسلامية على المجتمعين الجاهلي والإسلامي وذلك في إطار أسباب نزول الآيات القرآنية.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأشعار
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
	(الفاتحة)		
	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	١٥٢ ، ٢٦
٠١	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٤	١٥٣٢٥
٠٢	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٣٠
٠٣	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٩٧
٠٤	(سورة البقرة)		
٠٥	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾	٢٨	٣٨
٠٦	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾	٣٦	٣٠ ، ٢٨
٠٧	﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	٦١	٥٧
٠٨	﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾	٩١	٥٧
٠٩	﴿ لِيَتَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً ﴾	١٥٠	١١٢
٠١٠	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ﴾	١٧٧	٨١
٠١١	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾	١٧٨	١٣٣
٠١٢	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	١١٩
٠١٣	﴿ نِسَاءَكُمْ حَرِّتُ لَكُمْ ﴾	٢٢٣	١١٦ ، ١١٥
٠١٤	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	٢٤٥	١٥٨
٠١٥	﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾	٢٥٦	١٣٤
٠١٦	(سورة آل عمران)		
٠١٧	﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾	٣	١٦٧ ، ٧٦
٠١٨	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾	٧	٨٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٥٨ ، ١٥٣

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٩.	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨	٧٢
٢٠.	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	٧٣
٢١.	﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ ﴾	٢٠	٣٩
٢٢.	﴿ إِنَّ الدِّينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ ﴾	٢١	١٢٦
٢٣.	﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٨	١٤٣
٢٤.	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ ﴾	٣٦	٧٤
٢٥.	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾	٣٧	١١٦ ، ٥٣
٢٦.	﴿ يَمْرِيئُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي ﴾	٤٣	١١٥
٢٧.	﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾	٤٤	٥٣
٢٨.	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	٤٤	١٦٢ ، ١٠٣ ، ١٠٢
٢٩.	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾	٥٩	١٥٤
٣٠.	﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٧٩	١٦١ ، ٥٤
٣١.	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ ﴾	٧٩	٧٥
٣٢.	﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴾	٨٠	١٦١ ، ٧٤ ، ٣٨
٣٣.	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ﴾	٨١	٧٥
٣٤.	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾	٨٣	٥٥
٣٥.	﴿ إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ﴾	٩١	١٤٤
٣٦.	﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾	١٠٣	١٠٥
٣٧.	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾	١٠٦	١٥٨
٣٨.	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُنْقَبُوا ﴾	١١٢	١٤٠
٣٩.	﴿ هَاتَانِمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾	١١٩	٣٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
.٤٠	{ إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ }	١٢٠	١٣٦ ، ٣٥ ، ٣٣
.٤١	{ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ }	١٢٥	٥٥
.٤٢	{ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ }	١٤٦	١٥٩ ، ٥٦ ، ٤١
.٤٣	{ قُلْ إِنْ أَلَأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ }	١٥٤	٧٦
.٤٤	{ يَوْمَ اتَّغَى الْجَمْعَانِ }	١٥٥	٢٩ ، ٢٨
.٤٥	{ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَن يَعْلَمُ }	١٦١	٥٨ ، ٥٧
.٤٦	{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا }	١٦٩	١٠٨
.٤٧	{ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ }	١٧٥	١١٣
.٤٨	{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي }	١٧٨	٣٠
.٤٩	{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ }	١٨٠	١٠٦
.٥٠	{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ }	١٨١	١٥٨ ، ٧٦
.٥١	{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا }	١٨٨	١٢٦ ، ١١٠
.٥٢	{ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي }	١٩٥	٨٢
.٥٣	(سورة النساء)		
.٥٤	{ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍ }	١٢	٥٨
.٥٥	{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ }	١٤	٥٩
.٥٦	{ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا }	١٩	٣٦
.٥٧	{ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ }	٢٠	٣٨ ، ٣٧
.٥٨	{ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ }	٢١	٣٨
.٥٩	{ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ }	٢٥	٣٦
.٦٠	{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ }	٢٩	١١٢ ، ١٠٩

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
	﴿بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ﴾		
٦١.	﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾	٣١	٦٠
٦٢.	﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾	٣٣	٦٠ ، ٤٢
٦٣.	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾	٤١	٣٨
٦٤.	﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾	٤٢	٦١
٦٥.	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	٤٧	١٤٢
٦٦.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٤٨	١٤٥
٦٧.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾	٤٩	١٤٢
٦٨.	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	٥٩	١٢٧ ، ١٢٦
٦٩.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ﴾	٦٠	١٣٦ ، ١٣٤
٧٠.	﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ﴾	٦٩	١١٤
٧١.	﴿وَلَا تُظَلَمُونَ فَنِيلاً﴾	٧٧	١٤٢
٧٢.	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾	٧٨	٢٠
٧٣.	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾	٨٣	٢٢٨
٧٤.	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا﴾	٨٥	١٣٧
٧٥.	﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾	٩٢	١١٢ ، ٧٧
٧٦.	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾	٩٧	١١٠
٧٧.	﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾	١٠١	١٢٥ ، ١٢٤
٧٨.	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾	١١٤	٤٣
٧٩.	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾	١١٥	١٣٠
٨٠.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	١١٦	١٣٠

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
.٨١	﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾	١١٧	١٥٩
.٨٢	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾	١٢٤	١٤٤ ، ٦٢
.٨٣	﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾	١٢٧	٧٨
.٨٤	﴿ وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾	١٢٨	٤٣
.٨٥	﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾	١٢٩	١٠٣
.٨٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾	١٣٧	١٤٩ ، ١٣٨
.٨٧	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	١٥٧	١٦٢
.٨٨	﴿ لَكِن الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٦٢	٣١ ، ٣٣ ، ٧٩ ، ٨١
.٨٩	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ ﴾	١٦٣	١٣٢
.٩٠	﴿ لَكِن اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾	١٦٦	١٣٣
.٩١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ فَذَجَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	١٧٤	١٥٧ ، ١٤٦
.٩٢	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَعَٰتَصَمُوا بِهِ ﴾	١٧٥	١١٦
.٩٣	(سورة المائدة)		
.٩٤	﴿ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ﴾	٨	١٠٧
.٩٥	﴿ وَلَا تَرْذُؤْاْ عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰسِرِيْنَ ﴾	٢١	١٤٢
.٩٦	﴿ وَكٰتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا اَنْ اَنْفُسَ بِالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ ﴾	٤٥	١٤١ ، ١٣٣
.٩٧	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوْا اِنَّ اللّٰهَ ثَلٰثٌ ثَلٰثَةٌ ﴾	٧٣	١٥٢
.٩٨	﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	٧٦	٣٤
.٩٩	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اِنَّمَا الْخَمْرُ ﴾	٩٠	١٢٠

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٠٠	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾	١٠٣	١٢٢
١٠١	(سورة الأنعام)		
١٠٢	﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾	٣٥	١٢٤
١٠٣	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾	٧٦	٢٣
١٠٤	(سورة الأعراف)		
١٠٥	﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا ﴾	٢٠	٢٩
١٠٦	﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْتَكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ ﴾	٢٧	٢٨
١٠٧	﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ﴾	١٦٢	١٤١
١٠٨	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	١٨٧	١٥٦
١٠٩	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾	١٨٨	٣٤
١١٠	(سورة الأنفال)		
١١١	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾	٥٨	٩٥
١١٢	(سورة التوبة)		
١١٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	٣	٦٨
١١٤	﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ ﴾	٨	١٤١
١١٥	(سورة يونس)		
١١٦	﴿ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	٦٥	١٤٩
١١٧	(سورة يوسف)		
١١٨	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾	٣٦	١٥٦
١١٩	﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ ﴾	٥٠	٢٧
١٢٠	﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾	٧٤	٧
١٢١	﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ أُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾	٧٥	٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٢٢	(سورة الحجر)		
١٢٣	﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٦٢
١٢٤	﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	6	١٦٣
١٢٥	(سورة النحل)		
١٢٦	﴿ وَأَنْهَرَا وَسَلْبًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	١٥	١٣٩
١٢٧	﴿ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	١٦	٩٨
١٢٨	﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ مُبِينٌ ﴾	١٠٣	٩٦
١٢٩	(سورة الإسراء)		
١٣٠	﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفِينَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	١٠١	١٥٧
١٣١	(سورة الكهف)		
١٣٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾	١	١٤٩
١٣٣	﴿ أَمْ السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾	٧٩	١٦٥
١٣٤	﴿ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا ﴾	٨٠	١٦٥
١٣٥	﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ ﴾	٨١	١٦٦
١٣٦	(سورة مريم)		
١٣٧	﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾	٧٦	٩٨
١٣٨	﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾	٩٥	٧٦
١٣٩	(سورة طه)		
١٤٠	﴿ وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾	٦٣	١٣٩
١٤١	﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾	٧٧	١٣٩
١٤٢	(سورة الأنبياء)		
١٤٣	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾	٧٣	٩٧

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٤٤	(سورة الشعراء)		
١٤٥	﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٢٢	٢٣
١٤٦	﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾	٢٦	٣٤
١٤٧	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾	٢٧	١٦٣
١٤٨	(سورة النمل)		
١٤٩	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾	٥٢	١١٣
١٥٠	(سورة العنكبوت)		
١٥١	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾	٢٣	٥٩
١٥٢	(سورة فاطر)		
١٥٣	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾	٤٣	٣٥
١٥٤	(سورة يس)		
١٥٥	﴿قَالُوا طَئِبْرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾	١٩	٣٥
١٥٦	(سورة ص)		
١٥٧	﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾	٦٢	١٥١
١٥٨	﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾	٦٣	١٥١
١٥٩	﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾	٦٤	١٥١
١٦٠	(سورة غافر)		
١٦١	﴿يَوْمَ هُمْ بَلْرُؤُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾	١٦	٢٨
١٦٢	(سورة الشورى)		
١٦٣	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٦٣
١٦٤	(سورة الزخرف)		
١٦٥	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٥٩	٦٣

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
١٦٦.	(سورة الدخان)		
١٦٧.	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	٤٩	٩١
١٦٨.	(سورة النجم)		
١٦٩.	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾	٢٣	٩٧
١٧٠.	﴿ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾	٣٢	١١١
١٧١.	(سورة الواقعة)		
١٧٢.	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴾	٢٥	١١١
١٧٣.	﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴾	٢٦	١١١
١٧٤.	(سورة الحديد)		
١٧٥.	﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾	٢٨	١٣٧
١٧٦.	(سورة المجادلة)		
١٧٧.	﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾	٢٢	٩٢
(سورة الممتحنة)			
١٧٨.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّ وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾	١	٢٣
١٧٩.	﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾	١٠	١٢٩
١٨٠.	(سورة الملك)		
١٨١.	﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ﴾	١٦	٣١
١٨٢.	﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾	١٧	٣١
١٨٣.	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ وَيَقِظْنَ ﴾	١٩	٣١
١٨٤.	﴿ أَمْ نَظُنُّكَ أَنْتَ الْغَافِلُونَ ﴾	٢٠	٣١
١٨٥.	(سورة الحاقة)		
١٨٦.	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ﴾	٢٥	١٤٩

الرقم	السورة	الآية	الصفحة
.١٨٧	﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ﴾	٢٦	١٤٩
.١٨٨	﴿يَلْبِثَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾	٢٧	١٤٩
.١٨٩	﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾	٢٨	١٤٩
.١٩٠	(سورة القيامة)		
.١٩١	﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ﴾	٤	٦١
.١٩٢	(سورة النبأ)		
.١٩٣	﴿يَلْبِثَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾	٤٠	٦٢
	(سورة الانفطار)		
.١٩٤	﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾	١٩	٢٨
.١٩٥	(سورة الزلزلة)		
.١٩٦	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	١	١٠٠

فهرس الأحادس

الرقم	الحديث	الصفحة
.١	(الءال على الءسرف كفاعله)	١
.٢	(سوموا فإن الملائكة قد سومت)	٥٥
.٣	(الئسب ءعرب عما في نفسها)	٦٤
.٤	(الراءى ءول ءمى يوشك أن يقع فيه)	١٠١
.٥	(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)	١٢٠
.٦	(من أطاع أميري فقد أطاعني)	١٢٨
.٧	(إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)	١٣٣
.٨	(اللهم فقه في الدين وعلم التأويل)	١٥٥
.٩	أما إبراهيم عليه السلام فانظروا إلى صاحبكم)	١٥٨

فهرس الأشعار

الرقم	الشطر الأول من البيت	الشاعر	الصفحة
١.	ومسوم كره الكمات نزاله	لعنتره	٥٦
٢.	من البيض لم تظعن بعيداً ولم تطأ	جرير	٧٨
٣.	نفس فداء أمير المؤمنين إذا	الأخطل	٨٠
٤.	الخائض الغمر الميمون طائره	الأخطل	٨٠
٥.	ولقد خطبت بيوت يشكر خبطة	المهلهل	٨٠
٦.	لا يبعدون قومي الذين هم	خرنق	٨١
٧.	النازلون بكل معترك	خرنق	٨١
٨.	كل شيء ما خلا الموت جلل	أبيد	٨٧
٩.	لا تحسبن الموت البلى	ابن المقفع	٩٥
١٠.	وتشرق بالقول الذي أذعته	الأعشى	١٠٥
١١.	إذا نهى السفية جرى إليه	لأبي قيس	١٠٧
١٢.	أنا ابن جلاء وطلاع الثنايا	لسحيم بن وثيل	١٢٠
١٣.	لمية موحشا طلل	ذو الرمة	١٦١

فهرس الأعلام

الرقم	الاسم	الصفحة
.١٠	إبراهيم أنيس	٤٠ ، ١٦
.١١	ابن أبي إسحاق	٦٨
.١٢	ابن الجزري	١٥٤ ، ١٥٢
.١٣	ابن جرير الطبري	(١٦٠ ، ١٥٧ ، ١٣٢ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥
.١٤	ابن جني	١٧ ، ١٥ ، ١٣ ، ١٤ ، ٥
.١٥	ابن خلدون	٦٧
.١٦	ابن عامر	٥٨
.١٧	ابن عامر	٨٢ ، ٧٤
.١٨	ابن فارس	٥
.١٩	ابن قتيبة	٩٤
.٢٠	ابن كثير	٥٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٣ ١٥٧ ، ٨٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٧
.٢١	ابن كيسان	١٦٣
.٢٢	ابن مالك الأندلسي	١٠٥ ، ٥١
.٢٣	ابن هشام الأنصاري	١٠١ ، ٤٩
.٢٤	أبو البقاء	١٠٨
.٢٥	أبو بكر	٣٦
.٢٦	ابو حيان الأندلسي	١٤٤ ، ١١٦ ، ١١١ ، ١٠٩ ، ١٠٦
.٢٧	أبو ذؤيب الهزلي	٩٤
.٢٨	أبو عمر الشيباني	٩٥
.٢٩	أبو عمرو	٦٠ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٣ ١٥٦ ، ٨٢ ، ٧٦ ، ٧٢ ، ٦١
.٣٠	أبو هشام	١١٢ ، ٧٨

الرقم	الاسم	الصفحة
.٣١	أبي الأسود الدولي	٦٧
.٣٢	الأخطل	٨٠
.٣٣	الأخفش	١٦٣ ، ١٥٩
.٣٤	ارسطو	٤
.٣٥	الأشموني	١٦٠
.٣٦	الأعشى	٩٤
.٣٧	إفلاطون	٤
.٣٨	الإمام البخاري	١٣٣
.٣٩	أوجدرن ورتشارد	٩٢
.٤٠	أولمان	١٠٠
.٤١	بحر محمد حسين	٧٢
.٤٢	بكري محمد الحاج	٥٢
.٤٣	تشومسكي	
.٤٤	تمام حسان	١٥٢ ، ١٢٤ ، ١١٩
.٤٥	جرير	١١٢ ، ٩٤ ، ٧٨
.٤٦	الحاجظ	٩٦ ، ٩٥
.٤٧	الحجاج بن يوسف	١٢٠
.٤٨	الحسن	٦٨
.٤٩	حمزة	٣٦ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٧ ، ١٠٧
		١٦٠ ، ١٥٧
.٥٠	خرنق	٨١
.٥١	الخطيب الغزويني	٢
.٥٢	خلف	١٦٠
.٥٣	دي سوسير	٩ ، ٦

الرقم	الاسم	الصفحة
.٥٤	الراغب الاصفهاني	١٣٩
.٥٥	رمضان عبدالنواب	١٢٢ ، ٩٥
.٥٦	الزرقاني	١٠٠
.٥٧	الزمخشري	١١٠ ، ١٠٨ ، ١٠٦ ، ١٠١ ، ٣٠ ، ٥ ١٣٥ ، ١١٣ ، ١١٢
.٥٨	سقراط	٤
.٥٩	سمير شريف	٦
.٦٠	سيبويه	٨٠
.٦١	السيوطي	١٠٠ ، ٩٨ ، ٥
.٦٢	صاحب أبو جناح	
.٦٣	الصاحبي	٥
.٦٤	صلاح سلطان	١٢٧
.٦٥	عاصم	٨٠ ، ٦١ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٣٠ ١٦٠ ، ٨٢
.٦٦	عبدالقادر	٤٦ ، ٢٢
.٦٧	عبدالقاهر الجرجاني	٩٥ ، ٩٤
.٦٨	عبدالمنعم	١١٨
.٦٩	علقمة الثقفي	١٢٣
.٧٠	عنتر بن شداد	٥٦
.٧١	عيسى بن عمر	٦٨ ، ٢٢
.٧٢	الفخر الرازي	١٣١
.٧٣	الفراء	١٦٣ ، ١٥٩
.٧٤	فيرث	١٠٠ ، ٨٩
.٧٥	فيصل حسن	٢٥

الرقم	الاسم	الصفحة
.٧٦	القرطبي	١٤٦ ، ١٢٥
.٧٧	الكسائي	٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٧٣ ، ١٦٤ ، ١٥٨
.٧٨	لبيد	
.٧٩	محمد الصابوني	١٥١
.٨٠	محمد طاهر عاشور	
.٨١	محمود عكاشة	١٧ ، ٢١ ، ٧٠
.٨٢	مروان بن الحكم	١٢٦
.٨٣	مثيل بريال الفرنسي Breal	٦ ، ٨
.٨٤	المهلهل	٨٠
.٨٥	نافع	٣٣ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٨٢ ، ١٥٨ ، ١٦٠
.٨٦	هادي نهر	١٩ ، ٢٢ ، ٢٣
.٨٧	هنري فلش Fleievch	١٦
.٨٨	يحي رمضان	١٠٣ ، ١١٦
.٨٩	يعقوب	١٥٩ ، ١٦٣
.٩٠	يونس	٨١

المصادر والمراجع

١. ابن قتيبة ومقايسة البلاغة، د. محمد الحبيب، دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٩٧م
٢. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، د. أحمد عبدالقدير، مكتبة الرشد، د.ت.
٣. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٩٩٥م.
٤. أثر اختلاف القراءات في الوقف والابتداء، د. الجيلي على أحمد، دار العلم للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٧م.
٥. أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التغيير الدلالي من خلال القراءات القرآنية، د. بكري محمد الحاج، شركة مطابع السودان للعملة، ط ٢٠٠٩م
٦. أساس البلاغة للزمخشري، دار الفكر بيروت، ط ١٩٩٧م
٧. أسباب النزول الحسن على بن الواحدي، تحقيق د. عبدالصديق قماوي، القاهرة، شركة مصطفى للنشر، التوزيع ط ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.
٨. أسرار ترتيب السور، للسيوطي، دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت.
٩. الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، د. أحمد مختار، عالم الكتب، ط ٢٠٠٣م.
١٠. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم للإمام أبي عبدالله بن أحمد المعروف (بن خلاوية) دار المنار، ط ١٤١٧ هـ ١٩٧٧م.
١١. إيضاح الرموز ومفاتيح الكنوز، شمس الدين محمد بن خليل القباني، دراسة وتحقيق د. أحمد خالد شكري، ط دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
١٢. البحر المحيط، لحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ط.د. ت.
١٣. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين أبي عبدالله الزركشي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢٠٠٧م.
١٤. التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه د. كريم حسام الدين، دار غريب للنشر والتوزيع، د.ت.

- ١٥ . التحليل اللغوي في ضوء علم الدالة دراسة صوتية صرفية نحوية دلالية محمود
عكاشة، دار النشر للجامعات ط ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م
- ١٦ . التحويل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، لعبدالله العباس
عبدالحاسم، المجمع الثقافي أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١ م
- ١٧ . شرح الهداية لأبي العباس محمد عمار الهروي، تحقيق حازم سعد دار عمار للنشر
والتوزيع، ط ٢٠٠٦ م
- ١٨ . التفسير الجامع للأحكام القرآن للإمام القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ط
١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م
- ١٩ . التعريف في علوم البلاغة جلال الدين بن عبدالرحمن الخطيب الغيروني تحقيق
عبدو البرقوقي، دار الفكر العربي بيروت ط ٢ .
- ٢٠ . التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٠ م.
- ٢١ . التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، د هادي نهر، عالم الكتب الحديث،
الأردن ط ٢٠٠٨ م
- ٢٢ . تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري تحقيق، د.
عبدالمحسن التركي، دار الكتب للطباعة والنشر ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م
- ٢٣ . تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب والتحليل طه رضوان طه
دار الصحابة للتراث ط ٢٠٠٧ .
- ٢٤ . التوجيه اللغوي لمشكل القرآن، د. مجدي محمد حسين ط ٢٠٠٧ م
- ٢٥ . جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ، دار الكتب العلمية، بيروت ط . ١٩٩٢ م
- ٢٦ . الحجة في القراءات السبع للإمام بن الحسن الفارسي، دار الكتب العلمية ، ط
٢٠٠١ م
- ٢٧ . الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموشي ، عالم الكتب الحديث أبرد
الأردن ، ط ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٢٨ . دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة الإعرابية ، د ت.
- ٢٩ . دراسة في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها د. صاحب أبو جناح جامعة مؤتة
الأردن ، دار الفكر للنشر والطباعة ، والتوزيع ط ١٩٩٨ م

٣٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلي تحقيق د أحمد محمد الخراط دار القلم ، دمشق ط ١٤٢٧م - ٢٠٠٦م
٣١. الدلالة الاجتهادية بين الغلو والإنكار دراسة نقدية دلالية في المذاهب الإسلامية ، د. صلاح سلطان ، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢٠٠٦م
٣٢. الدلالة والحركة محمد محمد داوود ، دار الغريب القاهرة ، ط، ٢٠٠٢م
٣٣. الدلالة الصوتية دراسة لغوية دراسة الصوت ودوره في التواصل، محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو مصر، ط ١٩٩٢م.
٣٤. الدلالة اللفظية د. محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو مصر د.ت
٣٥. ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٣٦. ديوان لبيد، شعر لبيد، تأليف زكريا عبد الرحمن حسام، ط ١٩٧٦م، القاهرة، مطابع دار النشر.
٣٧. الروايات الأربع السائدة في العالم الإسلامي، قالون، ورش، الدوري حفص من طريق الشاطبية (حزب الأمان)، د. الأمين محمد أحمد مصطفى، دار السداد للطباعة والنشر الخرطوم ط ٢٠٠٥م .
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي بالبغدادي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ت.
٣٩. الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت ط ١٩٥٩م
٤٠. صفة التفاسير للصابوني، دار القلم، بيروت ط ١٩٨٦م.
٤١. عبدالقادر الجرجاني بلاغته ونقضه د. علي رمضان. د.ت
٤٢. العلامة الإعرابية بين القديم والحديث، د. محمد حماسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢٠٠١م
٤٣. العلاقة بين النص والسياق في سورة البقرة د. خلود العموش عالم الكتب الحديث عمان الأردن ط ٢٠٠٥م
٤٤. علم البيان بين القدماء والمحدثين دراسة نظرية تطبيقية، د حسن عبدالجليل يوسف، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر القاهرة ط ٢٠٠٧م
٤٥. علم الدلالة أحمد مختار، عالم الكتب ، بيروت ط ١٩٩٢م

٤٦. علم الدلالة الحديث عبدالقادر .
٤٧. علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق دراسة تاريخه تأصيلية تقريرية ، دار الفكر المعاصر بيروت، ط ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
٤٨. علم الدلالة د. هادي نهر، عالم الكتب، بيروت، ط ٢٠٠٢م.
٤٩. علم العربية محمود فهي حجازي، دائرة المكتبة الوطنية، ٢٠٠٥م.
٥٠. علم اللغة العام، عبدالصبور شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٥١. علم اللغة مقدمة للقاري العربي د. محمود السعرائي، دار المعارف ط ١٩٩٢م
٥٢. فتح القدير الجامع بين الفنين الرواية الدراسية في تفسير للشوكاني، دار الفكر بيروت ، د. ت
٥٣. قراءات في علم اللغة، أحمد شفيق الخطيب ، دار النشر للجامعات ط ٢٠٠٦م
٥٤. القراءة القرآنية وما يتعلق بها، د. فيصل حسن دار النفائس للنشر والتوزيع عمان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م
٥٥. القراءة في الخطاب الأصولي الاستراتيجي والإجراء، د. يحيى رمضان، عالم الكتب الحديث ، ط ٢٠٠٧م
٥٦. كتاب الحيوان لأبي عمر الكناني المعروف بالجاحظ البصري ، د ت
٥٧. دراسة الأصوات اللغوية، د. إبراهيم وأنيس ، مكتبة الأنجلو مصر، ط ١٩٩٩م
٥٨. الكشاف للإمام الزمخشري، دار المنار، ط ١٩٧٧م.
٥٩. لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، د.ت.
٦٠. اللسانيات المجال والوظيفية والمنهج، د. سمير شريف، دائرة المكتبة الوظيفية الأردن ط ٢٠٠٥م.
٦١. لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، د محمود عكاشة دار النشر للجامعات د . ت
٦٢. اللغة بين المعيارية والوصفية، د تمام حسان د.ت.
٦٣. المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت ط ١٩٩٩م.
٦٤. المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية د.ت.

٦٥. محاضرات في معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية القاهرة، ط ١٩٧٥ م
٦٦. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبدالنواب مكتبة الخانجي القاهرة ط ١٤١٧ هـ . ١٩٩٧ م
٦٧. مرجع الضمير في القرآن الكريم د محمد حسين، دار غربية للنشر والطباعة، والتوزيع ط ٢٠٠١ م
٦٨. المستصفي للإمام حجة الإسلام الغزالي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
٦٩. معاني القرآن للزجاج تحقيق د. عبدالجليل، عالم الكتب، ط ١٩٨٨ م.
٧٠. معجم المصطلحات اللغوية رمزي البعكلي دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٩٠ م.
٧١. مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن مبارك، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٥ م.
٧٢. مفردات القرآن الكريم، للأصفهاني تحقيق محمد سعيد كيلاني جامعة القاهرة، دار المعرفة بيروت، د.ت.
٧٣. مقدمة لدراسة علم اللغة، د. حملي خليل، عالم الكتب، ط ٢٠٠٦ م.
٧٤. مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، الدار البيضاء، ط ١٤٠٧ هـ.
٧٥. مناهج في علم اللغة، د. حلمي نور الهدى، جامعة الشارقة، ط ٢٠٠٨ م.
٧٦. مناهل العرفان للزرقاني، تحقيق أمين سليم، المكتبة العصرية، ط ١٩٩٨ م.
٧٧. الموضح في وجوه القراءات وعللها للفارسي تحقيق د. عمر حمدان، دار عمار للنشر، ٢٠٠٥ م.
٧٨. النشر لأبن الجزري الحافظ محمد بن محمد الدمشقي الشهير بن الجزري المتوفى ١٣٣٠ هـ. د.ت
٧٩. نظرية الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، د محمود عكاشة، دار النشر الجامعي.
٨٠. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، د. عبدالمنعم، دار الوقف، لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٧ م

٨١. نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسني
٨٢. النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د. صلاح الدين، الكويت مؤسسة الصباح، ١٩٦٢م.
٨٣. الوقف في القرآن الكريم وآثره على المعنى الإعرابي د. محمد حسن ط ٢٠٠٢م
٨٤. الوجوه البلاغية للقراءات القرآنية المتواترة د. محمد أحمد الجمل، كلية الشريعة جامعة، اليرموك، دار الفرقان للنشر ط ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
٨٥. الوقف اللازم في القرآن الكريم وعلاقته بالمعنى والإعراب د. محمد عبدالفتاح، القاهرة ط ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ج	الشكر
د	مقدمة
١	التمهيد
	الفصل الأول: الدلالة الصوتية
١١	المبحث الأول: التعريف بأهمية الدلالة الصوتية
٢٥	المبحث الثاني: أثر الدلالة الصوتية على النص القرآني
	الفصل الثاني: الدلالة الصرفية
٤٥	المبحث الأول: التعريف بعلم الصرف وأهميته
٥٣	المبحث الثاني: أثر الدلالة الصرفية على النص القرآني
	الفصل الثالث: الدلالة النحوية
٦٤	المبحث الأول: التعريف بعلم النحو وأهميته
٧٢	المبحث الثاني: أثر الدلالة النحوية على النص القرآني
	الفصل الرابع: السياق وأثره في تحديد المعنى
٨٥	المبحث الأول: تعريف السياق
٩٧	المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي على النص القرآني
١١٨	المبحث الثالث: دلالة سياق المقام وأثرها على النص القرآني
	الفصل الخامس: أثر الوقف على معنى الإعراب
١٤٨	المبحث الأول: التعريف بالوقف وأهميته
١٥٣	المبحث الثاني: أثر الوقف على الآيات
١٦٤	خاتمة
١٦٧	الفهارس الفنية